تاريخ السودان القديم

دكتور/ محمد ابراهيم بكر

١٩٩٨

الناشر مكتبة الأنجلو المصرية
١٦٥ شارع محمد فريد - القاهرة

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يَأَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ . إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ
دُونِ اللهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ . وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ
الذُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ . ضَعُفَ الطَّالِبُ
وَالْمَطْلُوبُ ﴿٧٣﴾ مَا قَدَرُوا اللهَ حَقَّ قَدْرِهِ .
إِنَّ اللهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٧٤﴾

(من سورة الحج)

صدق الله العظيم

الإهـــداء

إلى الشعب الســـودانى

بسم الله الرحمن الرحيم

للـه الحمـد من قبـل ومن بعـد ...

فقد غمرنى اللـه بعظيم فضلـه ، فبعـد أن صدرت لى الطبعـة الأولى من « تاريخ السـودان القـديم » ١٩٧١ ، ثم أعـيـد الطبع ١٩٨٣ ، ١٩٨٤ ، من واقع تخصصى فى دراسة الآثار السـودانية منذ سنة ١٩٥٧ ، وإعدادى لأول دراسة دكتوراه فى أصل الحضارة السـودانية القديمة وعلاقاتها بالحضارة المصرية وحضارات العالم القديم سنة ١٩٩٢ ، واستـأنفت دراساتى من داخل السودان وخارجه حيث أخذت نتائج أبحاث البعثات الأثرية فى مناطق الآثار تضيف الكثير من المعلومات من منطقة البطانة الواقعة ما بين النيل الأزرق ونهر العطبرة والنيل الرئيسى ، وفى البجراوية (مروى القديمة) ، ومن النوبة وغيرها .

والواقع إننى فخور بأن وفقنى اللـه فى إظهار وجه السودان الحضارى القديم ، وأن أساهم فى تأسيس مؤتمر الدراسات السودانية المروية نسبة إلى العاصمة القديمة مروى الواقعة شرق النيل ما بين بلدة الكبوشية والبجراوية شمال مدينة شندى بين الشلالين الخامس والسادس ، ذلك المؤتمر الذى بدأ صغيراً بتمثيل من مصر والسودان وألمانيا وفرنسا وإيطاليا وكندا ، ثم جذب إليه المهتمين من أنحاء العالم ، وصدرت عنه فى كل من تورنتو بكندا وباريس وبرلين والخرطوم وروما عديد من الدراسات القيمة فى الآثار واللغة والتاريخ والحضارة بوجه عام .

كما انتهى زملاء أفاضل من السودان ومصر وألمانيا من تأسيس متحف آثار السودان فى منطقة المقرن بالخرطوم حيث إلتقاء النيلين الأزرق بالأبيض يضم مجموعة هائلة ونادرة من الآثار ، واستطاع المهندس الأثرى العبقرى الألمانى ومع فريق من الخبراء السودانيين أن ينقلوا آثار النوبة السودانية المعرضة للغرق فى بحيرة السد العالى ، وإعادة إقامتها فى حديقة المتحف .

وقبل أن أتصدى للكتابة فى تاريخ السودان القديم تزودت بعد الدراسة المتخصصة للآثار واللغات القديمة والتاريخ والحضارة بزيارات علمية لمناطق الآثار بالسودان ، والإشتراك بنصيب فى إجراء بعض الحفائر مع البعثة الألمانية ،

والمساهمة فى جميع المؤتمرات تقريباً التى تهتم بالدراسات السودانية القديمة ، وقمت بتدريس مادة آثار وتاريخ السودان القديم لطلاب الجامعات فى مصر والسودان ، وقدمت مجموعة من الدراسات فى الآثار واللغة المروية ، وكانت كتاباتى فى تاريخ السودان القديم مدعومة بمصادر أصلية من واقع الآثار والكتابات المصرية والمروية والآشورية والأثيوبية واليونانية واللاتينية .

ويؤسفنى أن يتسلل إلى هذا التخصص الدقيق بعض ممن ليس لديهم أية خلفية علمية ، ومن حيث عدم درايتهم باللغات القديمة ولا الآثار ، فيحاول التطاول على كتابى « تاريخ السودان القديم » ، ويحور معلوماته بطريقة المحترفين ، ويخدع إحدى دور النشر والقراء وتظهر النسخ المحرفة وهى منقولة من كتابى « تاريخ السودان القديم » . وأنا إذ أسجل هذه الواقعة للتاريخ أحتسبها عند الخالق البارىء المصور . وفى النهاية لا يصح إلا الصحيح .

والله الموفق ،،،

القاهرة يوليو ١٩٩٨

د. محمد ابراهيم بكر

تصـديـر

إن دراسة التاريخ القـديم لأمة من الأمم من واقع آثارها لهى المدخل الطبيعى لتفهم حاضر شعبها . فلا جدال أن كيان كل منا فيه شىء ما من تراث آلاف السنين من الحضارة التى ابتدعها فـكر وعمل أجدادنا القدماء . ومحال أن تنطفىء كل تلك الأضواء ، وتصمت تلك الحياة دون أن تخلف وراءها جذوة أو رجعاً لصدى تلك الأيام فى ضمير أحفاد أولئك القدماء ، خلفاء تلك الحضارة .

وفى السنوات الأخيرة أخذ العالم يتبين أبعاد الدور الذى يمثله تاريخ السودان القديم بالنسبة لتاريخ الحضارة الإنسانية عموماً ، بعد ما توالت أعمال الحفر على يد رجال الآثار فى مناطق مختلفة من السودان وعلى الأخص فى شمال البلاد ، وقبل أن تغمر بحيرة السد العالى كثيراً من المناطق الأثرية الهامة .

كما أن بعض المدارس الأجنبية العلمية التى تخصص باحثوها منذ عهد بعيد فى مجال الدراسات الأثرية المصرية ، قد بدأ يتحول إلى الإهتمام بالآثار السودانية بعد أن أصبحت الدراسات الأثرية المصرية فى حالة اكتفاء نسبى .

ودراسة الآثار والتاريخ القديم لا يمكن أن تبقى إلى ما لا نهاية حكراً لنفر من الأجانب ، مهما خلصت نواياهم . فإنهم بعيدون كل البعد عن التذوق السليم لحضارتنا . والتفهم الصادق لتراثنا القديم . والمكتبة العربية ليس فيها كتاب متخصص فى التاريخ القديم والآثار السودانية ، وعصرنا الحديث لا يتحمل تلك الكتب التى يحاول واضعوها أن ينتسبوا للدراسات القديمة ، ثم تكون النتيجة قشوراً من المعلومات ، ونسخا لأقوال السابقين ، أو سرداً لمراحل التاريخ السودانى كله ، قديمه وحديثه ، ولا خـلاف فى أن التاريخ الطويل والبطولى لشعب سودان وادى النيل لا يمكن أن يحيط بجميع مراحله المتعددة — القديمة والوسيطة والحديثة والمعاصرة — دارس واحد . كما أن

زماننا هو زمن التخصص بكل ما تعنى الكلمة من دقة فى البحث واستخلاص النتائج .

من هذا المنطق — مجال التخصص الدقيق الجاد — أتقدم إلى المكتبة العربية بهذا البحث ، معتمداً على الله ، مع علمى المسبق بما يكتنف هذه المحاولة من صعاب ، حتى لا نظل مترددين إلى الأبد نخشى عواقب المحاولة . وقد اتخذت من تجربتى الأولى « المدخل إلى تاريخ السودان القديم ١٩٦٨ » نواة لهذا البحث ، الذى لا يهدف إلى تقديم تاريخ السودان القديم من خلال التاريخ المصرى — رغم الصلة الوثيقة بين شعبى الوادى — ولكنه منذ البداية يرمى إلى تحديد الشخصية السودانية .

والفضل كل الفضل لأستاذى الدكتور أحمد بدوى رئيس قسم الآثار بجامعة عين شمس ثم مدير جامعة القاهرة سابقاً ، وأستاذى المرحوم الدكتور هيرمان كيس ، أستاذ الآثار المصرية ، من جامعة جوتنجن بألمانيا الغربية ، وأستاذى الدكتور فرتز هنترا مدير معهد الدراسات الأثرية المصرية والسودانية بجامعة هومبولد ببرلين الشرقية ، الذى درست على يديه علم الآثار السودانية .

ولا يسعنى إلا أن أتقدم بالشكر إلى الزميل محمد نجم الدين شريف مدير الآثار السودانية لتكرمه بتصحيح نطق وكتابة كثير من أسماء المواقع الأثرية بالنوبة . وكذلك بقية الزملاء الكرام بمصلحة الآثار السودانية وإلى رجال الآثار بمصر وأخص منهم الدكتور جمال مختار والدكتور جمال محرز . وزملائى بالمتحف المصرى وأخص منهم دكتور هنرى رياض مدير المتحف والأستاذ سامى مترى وكيل قسم التصوير به لتكرمهما بإهدائى الصورة الخاصة برأس الملك طارقه ، والصورة الخاصة بالأميرة أمنرديس ، والصور الخاصة بالأمير حورماخيس ابن الملك شباكو .

وكذلك الدكتور عبد القادر سليم والأستاذ محمد محسن الملاحظات القيمة التى أبدياها ، وإلى الزميل دكتور سليمان خاطر بمعهد الدراسات الإفريقية بالقاهرة لتكرمه بإعداد الخريطة التوضيحية للطبع .

وإلى الزميل محمد أمين بقسم التاريخ لمراجعته أجزاء من النص . وإلى الدكتور سيد الحسينى بقسم الجغرافية بجامعة القاهرة بالخرطوم لتوجيهاته القيمة فيما يختص بما كتب عن أصل الإنسان .

وإلى الأساتذة زملائى بجامعة القاهرة بالخرطوم للمساعدات التى قدموها وساهمت فى إعداد هذا الكتاب . أما بقية الزملاء ممن استعنت بمؤلفاتهم فلقد أشرت إليهم كل فى موضعه .

وأخيراً فإنى مدين بالشكر إلى طلاب وخريجى قسم التاريخ بجامعة القاهرة بالخرطوم وأخص منهم محمد الهادى هاشم ومصطفى محمد كمل لكل ملاحظة أبدوها وساعدت فى تقويم هذا البحث

المؤلف

المقدمة

ليس من أجل الدارس المتخصص وحده أخرج هذا المؤلف . وإنما لكل قارىء مثقف يسعى إلى المعرفة من مصادرها الأصلية .

ومصادرنا الأصلية تتمثل فى الكتابات التى خلفها أصحاب حضارة السودان القديم ، سواء باللغة المصرية المصورة (الهيروغليفية) ، التى استعملها ملوك السودان القديم كلغة رسمية ، أم بلغتهم المروية التى دونوا بها مؤخراً أيامهم ومعتقداتهم الدينية ، مع العلم أن مجهودات العلماء لفك رموز اللغة المروية تتقدم ببطء ، والجزء الأكبر من هذا الرصيد من الكتابات موزع ما بين السودان ومصر ومتاحف العالم . يضاف إلى ذلك بعض الكتابات بلغات الشعوب التى تعاملت مع الشعب السودانى فى الزمن القديم.

وهناك مصادر أصلية غير مباشرة ، وتشمل كل الآثار غير المكتوبة كالمعابد والقصور والمدن والمساكن وملحقاتها ، والمقابر ومحتوياتها ، والرسوم والتماثيل ، التى كشفت عنها أعمال الحفر المنظمة فى أنحاء السودان تحت إشراف رجال الآثار .

من واقع تلك المصادر يتناول هذا الكتاب التاريخ القديم لسودان وادي النيل ، منذ العصور الحجرية ، حتى دخول المسيحية أرض السودان حوالى منتصف القرن السادس الميلادي .

وخلال مراحل التاريخ القديم المتغيرة ، تعرضت البلاد التى كانت مسرحاً لأحداث ذلك التاريخ — لهجرات متعددة ، غيرت من عناصر سكانها على مر الزمن ، ولكنها طبعتهم جميعاً بطابعها المميز ، وحافظت عن طريقهم على عوامل إرثها الحضارى ، يتناقلها جيل عن جيل ، مما أفسح لشعب سودان وادى النيل

القديم مكانه المرموق بين الأمم القديمة . وبناء على ذلك حملت البلاد أسماء مختلفة في مراحلها التاريخية المتعاقبة .

ففي الزمن القديم ، أطلق على المنطقة الممتدة من أسوان شمالا حتى الشلال الثاني عند وادى حلفا — جنوباً ، إسم « واوات » ، أما المنطقة الواقعة إلى الجنوب من الشلال الثاني ، وتمتد جنوباً فسميت « كوش » . ثم أصبح إسم « كوش » يطلق على المنطقتين معاً ، وعرفت به المنطقة بين غيرها من بلاد العالم القديم ، فصارت المملكة التي تضم « واوات » و « كوش » تسمى « بلاد كوش » أو « مملكة كوش » . ولكن المؤرخين رغبة منهم في تبسيط الأمور أنشأوا تقسيما آخراً « لمملكة كوش » : فعندما كانت عاصمة تلك الدولة في مدينة « نبتة » جنوبي الشلال الرابع (بالقرب من كريمة الحالية) سموها « مملكة نبتة » . وعندما انتقلت العاصمة إلى الجنوب ، واتخذت من مدينة مروى (عند البجراوية شمال شندى) موطناً لها ، أطلقوا عليها إسم « مملكة مروى » . مع العلم أن هذه التقسيمات لا توجد في الوثائق القديمة ، بمعنى أن أهل البلاد لم يطلقوا على أنفسهم أو على بلادهم تلك التسميات ، تماما كما هي الحال بالنسبة للسكان الحاليين لمنطقة النوبة ، الذين نطلق عليهم إسم النوبيين ، في حين أنهم — فيما بينهم — لهم أسماء أخرى طبقاً للتقسيمات القبلية الشائعة .

وإسم النوبة : إسم حديث نسبيا إذا ما قورن بإسم كوش ، ذلك أن منطقة النوبة — الممتدة إلى الجنوب من أسوان شمالا حتى جزيرة « تنقسى » إلى الجنوب من «دنقلة العجوز » جنوبا — لم تحمل هذا الإسم إلا منذ القرن الثالث الميلادى تقريبا ، عندما استقرت الهجرات النوبية من حول النيل في تلك المنطقة .

وبعض المؤرخين يقسم المنطقة النوبية إلى قسمين :

النوبة السفلى : وتقع معظمها داخل الحدود المصرية — إذ تمتد من جنوبي أسوان حتى الشلال الثاني جنوبي وادي حلفا .

والنوبة العليا : وتمتد إلى الجنوب من الشلال الثانى شمالا حتى جزيرة تنقسى جنوبا[١] .

يبقى بعد ذلك إسم إثيوبيا وهو مشتق من الكلمة الإغريقية **Athiops** وتعنى صاحب الوجه المحروق أو الأسود . واسم الأثيوبيين أطلقه الرحالة والمؤرخون الإغريق والرومان على جميع الشعوب السوداء التى تعيش جنوبى الحدود المصرية — إطلاقا عاما بما عرف عنهم من عدم الدقة فى الإشارة إلى كل ما يتعلق بعلم الأجناس. ولكن عدداً من المؤرخين تناقلوه عنهم، مما سبب غموضا لدى القارىء ، لأن إثيوبيا هو الإسم الرسمى الحالى للحبشة ، ولا علاقة له بسودان وادى النيل .

ولعل المؤرخين العرب قد ساروا على نفس النهج عندما أطلقوا إسم « السودان » — أى بلاد السود — على البلاد الواقعة إلى الجنوب من الصحراء الكبرى .

وكان لسودان وادى النيل قصب السبق عندما حصل على إستقلاله قبل غيره من الدول التى تدخل ضمن النطاق السودانى ، فحمل دون غيره إسم السودان علما خفاقا ، مواصلا المسيرة فى ركب الحضارة العالمية .

وفى هذا المؤلف سوف نتجنب المصطلحات الغير محددة ، ونرجح إسم كوش وإسم السودان حيث يصبح ذلك ممكنا[٢] .

---

(١) ويحاول البعض افتراضاً أن يرجع إسم النوبة إلى كلمة مصرية قديمة معناها الذهب على اعتبار أن الذهب قديماً كان من أهم حاصلات النوبه .

(٢) لم أتمكن فى الوقت المناسب من الاطلاع على كتاب :

B. Trigger, History and Settlements in Lower Nnbia, New Haven 1965.

أوائل الرواد :

١ — James Bruce كان جيمس بروس من أوائل الرحالة فى العصر الحديث ، الذين استطاعوا التعرف على المنطقة التى يحدها نهر عطبرة والنيل الأزرق والنيل الرئيسى والتى كانت مراكزها من مراكز الحضارة القديمة وهى التى أطلق عليها المؤرخ ديودور الصقلى إسم «جزيرة مروى» . ثم نقلها عنه غيره من المؤرخين الكلاسيك والمحدثين، وذلك فى خريف عام ١٧٧٢م. وذكر أنه شاهد هناك آثارا قديمة كتلك التى رآها فى أكسوم بإثيوبيا الحالية ، ومر بواد بانقا Wad Ban Naga حيث شاهد آثار معابد قديمة وهى تلك الاثار التى كشفت عن بعضها مصلحة الآثار السودانية وظهر ضمنها قصر الملكة « أمانى شخيته » وأصدر كتابا بعنوان :

Travels to discover the source of the Nile, 6 vols, Edinburgh 1790.

٢ — John Lewis Burckhardt بوركهارد : هو ثانى كبار الرحالة الأوربيين فى العصر الحديث ، سافر من الدامر إلى شندى فى إبريل عام ١٨١٤م وذكر أنه شاهد آثارا على هيئة تلال من الأحجار والطوب الأحمر وأساسات أبنية ، ولكنه لم يتمكن من مشاهدتها عن كثب ، ولقد شبهها بآثار مدينة طيبة المصرية ، وعند عودته من شندى شاهد آثارا بالقرب من بعصه Ba'sa ، وعند كبوشيه ترك بوركهارد النهر ، وبذلك ضاعت منه الفرصة لزيارة منطقة أهرام مروى . وأصدر كتابا بعنوان :

Travels in Nubia, London 1819.

٣ — Frédéric Cailland فريدريك كايّو : ولد فى Nantes بفرنسا عام ١٧٨٧م وتوفى عام ١٨٦٩ ، يعتبر من أهم مؤسسى علم الآثار السودانية ، حضر إلى مصر عام ١٨١٥م ودخل فى خدمة محمد على باشا الذى أرسله إلى البحر الأحمر وإلى الواحات فى الصحراء الغربية فى رحلات استكشافية ، وفى ١٨٢٠م سمح له محمد على بأن يصحب الجيش إلى السودان .

والواقع أن اكتشافاته قد تمت وهو مرافق لتلك الحملة ، وبعدها عاد إلى فرنسا حيث نشر كتابه « رحلة إلى مروى » :

Voyage à Meroe au Fleuve Blanc, au delà du Fazogl, . . . à Syouah et dans cinq autres Oasis, Fait dans les annèes 1819, 1820, 1821 et 1822, Paris 1823—1827·

فى الفترة ما بين ١٨٢٣ — ١٨٢٧ . وظل فى مدينته القديمة حيث عمل أمينا لمتحفها إلى أن توفى عام ١٨٦٩م . ففى أبريل عام ١٨٢١م وصل إلى بربر ، وبعد أن أغرى الباشا بإمكانية العثور على الذهب أو الأحجار الكريمة أذن له بزيارة منطقة أهرام مروى ، ومكث هناك أربعة عشر يوما ، استطاع خلالها أن يسجل بالرسم آثار المدينة وأهراماتها. وزار سوبا Soba ، وهو أول من اكتشف هناك تمثالا لأحد الكباش على قاعدته نقوش بالهيروغليفية المروية ضمنها جزء من اسم ملك ، ولقد نقل هذا الكبش فيما بعد إلى حديقة الكنيسة الإنجيلية المجاورة للقصر الجمهورى، وفى طريق عودته زار وسجل آثار واد بانقا Wad Ban Naga فى مارس ١٨٢٢م ، كما شاهد آثار معابد عديدة فى النقعة Naga وسجلها . وبعد ذلك اكتشف آثار « المصورات » . وفى طريق عودته إلى شندى عثر على معبد صغير فى « وادى البنات » إلى الشمال من شندى ثم وصل إلى بعصه التى وصل إليها بور كهارد من قبل ، وعثر هناك على قطعة لأحد تماثيل الكباش رمز المعبود آمون رع . وكذلك تعرف على مروى القديمة .

٤ — G. A. Hoskins نشر عدة مصورات مع وصف لمدينة مروى القديمة وآثار منطقة المصورات الصفراء بالبطانة ولكنه لم يصل إلى النقعة خوفا من الأسود التى كثر وجودها فى المنطقة فى ذلك الوقت طبقا لما ذكره دليله السودانى وقد قام برحلته هذه عام ١٨٣٣م ، ونشر نتائجها عام عام ١٨٣٥ م تحت عنوان :

Travels in Ethiopia above the Second Cataract of the Nile; exhibiting the state of that country and its various inhabitants under the domination of Mohammed Ali, and illustrating the Antiquities, Arts and History of the Ancient Kingdom of Meroe.

٥ — G. Ferlini فرليني (١٨٣٤م): وهو طبيب إيطالي، عين أول الأمر في سنار ثم في كردفان، وبعدها عاد إلى الخرطوم حيث طلب الإذن من حاكم الخرطوم التركي خورشيد باشا بالتنقيب عن الآثار. وأثناء بحثه عن الكنوز المزعومة دمر عددا من أهرامات مروى (البجراوية) في الجبانة الشمالية عن آخرها، وذكر فرليني أنه عثر في أحد الأهرامات في الجبانة الشمالية (هرم الملكة أماني شخيته Amanishakhete رقم Beg.N.6 التي عاشت حوالي عام ٢٥ ق م) على مجموعة رائعة من الحلي والجواهر النفيسة، آل الجزء الأكبر منها إلى متحفي برلين الشرقية وميونخ بناء على توجيهات العالم لبسوس. له كتاب بعنوان:

Relation historique de Fouilles opérées dans la Nubie. Rome, 1838.

٦ — Heeren هيرن: نشر نتائج أبحاثه في كتابه:

Historical Researches into the Political Intercource and Trade of the Cartaginians, Ethiopians, and Egyptians. Translated by B. Pauncefote, London, 1884.

مع وصف لآثار الحضارات القديمة في السودان.

٧ — Richard Lepsius رتشارد لبسوس: أوفد من قبل الملك فردريك وليم الرابع ملك بروسيا في عام ١٨٤٤م إلى مصر والنوبة والسودان وسيناء، وزار المناطق التي اكتشفها من قبل وصورها بيده العالم كايو Cailliaud، وكان يرافقه نخبة من الفنانين. ورغم ان رسومه وخرائطه لا تتبع القواعد العلمية الحديثة إلا أنها أفضل مما فعله الفرنسي كايو Cailliaud، مع العلم أنه لم يسجل أي مكان جديد في «جزيرة مروى». وقد نشر لوحاته في عدة مجلدات مصورة في غاية الأهمية، ثم أتبعها بمجلد للنصوص المسجلة على الآثار. ويعتبر لبسوس من أهم مؤسسي علم الآثار المروية على الإطلاق. هذا وقد سجل أفراد الرحلة وصولهم إلى منطقة المصورات بالحفر على أحد جدران المجموعة المعمارية المركبة هناك.

ثم صدر له كتاب:

Letters from Egypt, Ethiopia and Sinai, London 1853.

وهو ترجمة للأصل الالمانى الذى صدر عام ١٨٥٢ لمؤلفه الاصلى :

Denkmäler aus Aegypten und Aetiopien, Plates I—XII, Berlin 1849—1859, Text,5 volumes (Leipzig, 1897—1913).

٨ — E. A. Wallis Budge بدج : أوفد إلى السودان من قبل المتحف البريطانى عام ١٨٩٧م بصحبة السردار كتشنر فى بعثة أثرية وقام باجراء حفائر فى منطقة أهرامات مروى لفحصها ، وفى عام ١٩٠٢م ثم فى عام ١٩٠٥م عاد لجمع مادة أثرية لمتحف الخرطوم . وأصدر مجموعة مؤلفات تحت عنوان :

1— The Egyptian Sudan I,II its History and Monuments, London 1907.
2— Annals of the Nubian Kings (London, 1912).
3— A History of Egypt, vol. VI, Egypt under the Priest-kings and Tanites and Nubians, London 1920.
4— A history of Ethiopia, London 1928.

٩ — J. Garstang جارستانج : قام بعمل حفائر فى العاصمة القديمة مروى من عام ١٩٠٤م إلى ١٩١٤م ، ورغم أنه لم ينشر كل نتائج أعماله، إلا أنه نشر تقارير مبدئية هامة عن أعمال الحفر من عام ١٩١١ إلى عام ١٩١٤م وأخيراً من ١٩١٤م — ١٩١٦م وذلك فى مجلة :

Liverpool Annals of Archaeology and Anthropology

F. Griffith and A. H. Sayce وبالاشتراك مع جرفث وسايس

أصدر كتابا تحت عنوان « مروى مدينة الإثيوبيين » :

Meroë The City of the Ethiopians, Oxford 1911.

هذا مع العلم أن حفائره لم تخرج عن نطاق القصر الملكى ومعبد آمون وملحقاتهما بما فى ذلك معبد الشمس . ولقد تسبب فى تعريض معظم الآثار التى كشف عنها للدمار الشديد بفعل عوامل التعرية . لأنه لم يتخذ أى إجراء لحماية تلك الآثار بعد أن تم الكشف عنها .

١٠ — وفى الربع الأول من هذا القرن مابين ١٩١٦ — ١٩٢٣ قام ريزنر G.A. Reisner على رأس بعثة بتكليف كل من جامعة هارفارد ومتحف بوسطن بعمل حفائر فى مناطق الكرو ، ونورى ، والبركل ، وفى مروى القديمة ، وهى تمثل مناطق الدفن الخاصة بالعاصمتين نبته ومروى ، وإلى

نتائج تلك الحفائر يرجع الفضل فى معرفتنا لتتابع ملوك نبته ومروى. وله فى هذا السبيل الكثير من المؤلفات :

1) Excavations at Napata, the Capital of Ethiopia, Bull. M.F.A., XV (1917) No. 89, pp. 25—34.
2) Known and Unknown Kings of Ethiopia, Bull. M. F. A., XVI (1918) No. 97, pp. 67—81.
3) The Royal Family of Ethiopia, Bull. M.F.A., XXI (1923). No. 124. pp· 12—27.

وكان قد بدأ حفائره الهامة على نطاق واسع فى عام ١٩١٢ بالقرب من الشلال الثالث حيث كشف النقاب عن حضارة كرمه .

كما ظهرت نتائج هامة لحفائر ريزنر مؤخرا قام بنشرها مساعده دنهام D. Dunham فى مجموعته القيمة :

The Royal Cemetries of Kush. vol. 1, El-Kurru; vol. II, Nuri, vol. III. Decorated Chapels of the Meroitic Pyramids at Meroe and Barkal, vol. IV, Royal Tombs at Meroe and Barkal, Boston, Massachusettes. 1950—7, : vol. V. The West and South Cemetries at Meroe. 1963.

١١ — F. L. Griffith جرفث : يعد من أنشط الباحثين فى محيط الدراسات المروية ، عكف على دراسة نتائج حفائر بعثة جامعة بنسلفانيا فى Karanog, Areika فى النوبة السفلى ، حيث عثر على رصيد لا بأس به من الكتابات المروية ، وتمكن بكثير من العمل والصبر أن يكتشف الأبجدية المروية ، ثم يفك رموز الكتابة نفسها . وتعرف على بعض مميزاتها . وقام أيضا بعمل حفائر غاية فى الأهمية بتكليف من جامعة أكسفورد بالإشتراك مع Kirwan فى فركة وكوه ونشر نتائجها فى حوليات جامعة لفربول، وكذلك حفر فى المنطقة المحيطة بالعاصمة نبته حيث كشف عن الموقع صنم Sanam ، كما أشرف على حفائر فى غاية الأهمية فى فرص بين عامى ١٩١٠ ، ١٩١٢ ، كشفت عن مخلفات هامة ، وقام بنشر النصوص المروية التى اكتشفت فى كل من كرنوج وشبلول و فرص و كوه ومروى: Meroitic Inscriptions, I, II London 1911 — 1912.

١٢ — Walter B. Emery إمرى :

أهم أعماله حفائره فى بلانه وقسطل بالنوبة السفلى المصرية حيث كشف ابتداء من عام ١٩٣١ حتى عام ١٩٣٤ عن مقابر أصحاب المجموعة المجهولة X-Group الذين استطنوا النوبة بين القرنين الثالث والسادس بعد الميلاد :

1) The Excavations and Survey between Wadi Es Sebua and Adindan (with L. P. Kirwan, Cairo 1935).
2) The Rogal Tombs of Ballana and Qustol, Cairo 1938.
3) Nubian Treasure 1948.
4) Egypt in Nubia, London 1965.
5) Preliminary Report on the Excavations of the Egypt Exploration Society at Buhen : Kush, vol. VII. 1959; vol. VIII, 1960, vol. IX. 1961, vol. X, 1962.

١٣ — A. J. Arkell آركل : أول مدير لمصلحة الآثار السودانية من عام ١٩٣٨ إلى عام ١٩٤٨ إليه يرجع الفضل فى وضع أسس حضارات ماقبل التاريخ فى السودان . كشف عن مواقع عديدة لحضارات العصور الحجرية بأنواعها . وله مؤلفات:

1 — The Old Stone Age in the Anglo-Egyptian Sudan;
2 — Shaheinab; 3 — Early Khartoum.

١٤ — Shinnie شنى : عمل مساعدا لمدير الآثار السودانية بعد الحرب العالمية الثانية ثم مديراً للآثار عام ١٩٤٨ وعمل فى أوغندا عام ١٩٥٨ وفى غانا ثم فى جامعة الخرطوم . قام بحفائر فى مناطق النوبة المسيحية، وفى مروى (البجراوية) لحساب جامعة الخرطوم وفى «دبيره غرب» ضمن حملة إنقاذ آثار النوبة لحساب جامعة غانا وله مؤلفات .

1) Meroe, A Civilization of the Sudan, London 1967.
2) Excavations at Soba 1961.
3) Ghazali-A Monastery in the Northern Sudan,
بالاشتراك مع Chittick

١٥ — Vercoutter فركوتى : تولى إدارة مصلحة الآثار السودانية وقام بحفائر هامة وأبحاث فى عدة أماكن أثرية . وكتب عن حفائر واد بانقا فى مجلة :

Syria, XXXIX, 1962. p. 263—299, 35 fig. et pl.—XVII—XX, Un palais des Candaces contemporian d'Auguste, Fouilles à Wad ben—Naga 1958—1960.

١٦ — Fritz Hintze : وتولى بروفسور هنتزا رئاسة بعثة حفائر معهد الآثار ببرلين الشرقية إلى السودان منذ عام ١٩٥٧ حتى عام ١٩٧٠. وخلال تلك الفترة أجرى أبحاثا هامة فى النوبة السودانية وفى المنطقة الواقعة ما بين نهر عطبرة وبين النيل الأزرق المعروفة بالبطانة . إذ تولت البعثة مهمة تسجيل الرسوم والنقوش الصخرية من الحدود الشمالية لجمهورية السودان حتى شلال دال (١٤٠ كم جنوبى وادى حلفا) وكذلك فى شرق النيل من الموقع جمى (٢٥ كم جنوبى وادى حلفا) حتى شلال دال. وتم تسجيل أربعين موقعا أثريا، منها ثلاثة عشر موقعا لم تكن معروفة من قبل . ضمن حملة إنقاذ آثار النوبة السودانية . كما أجرت البعثة حفائر فى المصورات الصفراء كشفت فيها عن معبد الأسد(١) وعن تفاصيل المجموعة المعمارية المركبة هناك، وكذلك كشفت عن بقية المعابد فى المنطقة ، ونتيجة لذلك تعرفت على طبيعة المنطقة من الناحيتين التاريخية والدينية .

١٧ — J. Leclant لكلان : قام بأبحاث هامة فى صصص بالنوبة المصرية وفى صادنقة بالنوبة السودانية،وله أبحاث كثيرة فى تاريخ السودان القديم وفى اللغة المروية .

وفى العصر الحديث ظهرت عدة مدارس أوربية وأمريكية ومصرية اتخذت من التاريخ والحضارة السودانية القديمة مجالا لتخصصها ، وساهم باحثوها فى إيضاح بعض الغموض الذى يلازم مراحل التاريخ السودانى القديم .

---

(١) وأعادت بناءه بالاشتراك مع مصلحة الآثار

وفى السودان موطن تلك الحضارة العريقة نشأ جيل وطنى من الباحثين الغيورين على تراث بلدهم ، وبدأ الإهتمام بالآثار والحضارة القديمة ضمن خطة قومية شاملة للسعى نحو التطور . ومنهم : ثابت حسن ثابت ، ونجم الدين محمد شريف والمرحوم عبد الرحمن آدم ، وأنضم إليهم عبد القادر محمود كمتخصص فى الدراسات المروية .

أصل الإنسان

من الناحية الجيولوجية، تعارف العلماء على أن تاريخ تكوين الكرة الأرضية ينقسم إلى أربعة أزمنة :

١ — الزمن الأركى = فجر الحياة

٢ — الزمن الأول = الباليوزوى ويسمى عصر الحياة القديمة

٣ — الزمن الثانى = الميزوزوى أى زمن الحياة الوسيطة

٤ — الزمن الجيولوجى الثالث = الكانوزوى أى زمن الحياة الحديثة والذى يمتد حتى العصر الحاضر .

١ — ولم يظهر أثر للحياة على سطح الأرض إلا خلال النصف الثانى من الزمن الأركى ، الذى إمتد حوالى ١,٥ مليون سنة ، وبدأت الحياة تعبر عن نفسها فى شكل كائنات دقيقة بسيطة التكوين ، ثم فى شكل نباتات مائية وأسفنجية وديدان . وأطلق على العصر الذى بدأت تظهر فيه الحياة على سطح الأرض اسم : عصر « الحياة الباكرة » .

٢ — فى الزمن الأول أو زمن الحياة القديمة ، الذى امتد حوالى ٣٢٥ مليون سنة ، ظهرت الأسماك والحشرات والحيوانات البرمائية Amphibia والزواحف Reptiles .

٣ — وفى الزمن الثانى أوزمن الحياة الوسيطة ، الذى امتد حوالى ١١٥ مليون سنة، ظهرت الزواحف الكبرى .

٤ — أما الزمن الثالث أو زمن « الحياة الحديثة » فقد تميز بظهور الحيوانات الثديية .

والزمن الثالث أو زمن الحياة الحديثة ينقسم بدورة إلى قسمين رئيسيين : —

(أ) الثلاثي Tertiary ويتفرع إلى خمسة أزمنة :

البليوسين ثم الإيوسين ثم الأوليجوسين ، الميوسين فالبلايوسين .

(ب) الرباعى Quarternary ويتفرع إلى زمنين اثنين :

البلايستوسين أو الجليدى الذى يمتد حتى الألف الثامن أو السابع ق. م، والذى اشتمل أيضا على عصر الجليد ، ثم الهولوسين وهو الزمن الذى يمتد حتى عصرنا الحاضر .

(ا) امتد الزمن الثلاثى Tertiary إلى حوالى ٧٠ مليون سنة وانتهى قبل مليون سنة من العصر الحاضر ، وفيه تمت تحولات خطيرة بالنسبة لتطور الكرة الأرضية . حيث حدثت تغيرات فى القشرة الأرضية نتج عنها سلاسل جبلية وبحيرات وبحار ، وتشكلت قارات بأكلها ، وشمل التطور جميع نواحى الحياة النباتية والحيوانية .

وفى نهاية الزمن الثلاثى Tertiary ونتيجة لعملية التطور المستمرة لعالم النبات والحيوان — ظهر من أطلق عليهم العلماء الأجداد المباشرين للإنسان ، ففى الطبقات الأرضية لزمن البلايوسين عثر العلماء فى القرن التاسع عشر على حفرية متحجرة لقرد متطور جداً أطلقوا عليه اسم قرد الأشجار واسمه العلمى Dryopithecinen (dryos = شجرة ، Pithecos = قرد) ، وفى منتصف القرن التاسع عشر استطاع علماء الطبيعيات وعلى رأسهم الإنجليزى داروين Darwin (١٨٠٩ — ١٨٨٢) أن يضعوا نظرية التطور والارتقاء المشهورة ، وأعلنوا رأيهم بناء على توافر المادة العلمية . واعتبر داروين أن قرد الأشجار هذا إنما هو الجد المشترك لكل من الإنسان والقرد الأفريقى الشبيه بالإنسان أى الغوريللا والشمبانزى .

وتوالت الاكتشافات لعظام هذا الحيوان الشبيه بالإنسان (قرد الأشجار) ، مما مكن العلماء من تغطية الثغرات بين الإنسان وغيره من الكائنات الحية :

١ — ففى شمال الهند عثر فى طبقات الزمن الثلاثى Tertairy على بقايا لقرد أكثر تطورا من السابق سماه العلماء Ramapithecus وهو فى شكله العام أقرب شبها بالإنسان ، ويتميز بأن أنيابه لا ترتفع عن بقية أسنان الفك .

٢ — وفى جنوب أفريقيا عثر عام ١٩٢٤ على بقايا لما سمى بالقرد الجنوبى Australopithecus (Australis = جنوبى) ثم اكتشف ما يقرب من ٣٠ عينة من هذا القرد فى المدة ما بين ١٩٣٥ ، ١٩٥١، وتميز بأن تكوين الجسم عنده أقرب إلى شكل الإنسان من أى من الأنواع السابقة . وكان القرد الجنوبى يتحرك فى معظم حركاته على قدميه . وكانت قامته عمودية قريبة إلى الاستقامة ، لأن تلك القرود كانت تعيش فى مناطق مكشوفة جافة نسبيا ، كما كان تركيب الجمجمة يتناسب مع القامة العمودية مما يشير إلى أن المخ كان فى تطور مستمر . وبطبيعة الحال فإن تلك القرود لم تتمكن من صناعة أو تشكيل الأدوات .

(ب) وفى الطبقات الجيولوجية من الزمن الرباعى Quarternary عثر فى نهاية القرن التاسع عشر فى جاوه Java باندونيسيا على بقايا للإنسان القرد Pithecanthropus الذى يمثل حلقة الوصل ما بين القرد الجنوبى وبين الإنسان الأول ، ويعتبر أقدم « إنسان أول » معروف حاليا ويبدو أنه فى حياته اليومية استعمل أدوات جاهزة من عمل الطبيعة ولم يكن قد توصل بعد إلى صناعة أدواته بنفسه[١] .

« قل كل من عند الله فما لهؤلاء القوم لا يفقهون حديثا » صدق الله العظيم

(١) بالنسبة لهذه النبذة من أصل الإنسان أنظر :
Weltgeschichte I,S.4. Herausgeber, Akademie der Wissenschaften der UdSSR, übersetzt in Deutsch Berlin 1962;
واعتمدت كذلك على بيانات وإيضاحات قدمها إلى الزميل دكتور سيد الحسينى بقسم الجغرافيا بجامعة القاهرة الخرطوم .

بداية المراحل فى التاريخ البشرى

أو

العصــر الحجرى القــديم

أما أقدم مرحلة للتاريخ البشرى فتسمى بالعصر الحجرى القديم ، ويرى رجال الآثار ويتفق معهم الجيولوجيون أن تلك المرحلة استمرت من حوالى عام ٧٠٠,٠٠٠ أو ٦٠٠,٠٠٠ ق . م إلى حوالى ٤٠,٠٠٠ ق . م ، حيث ظهرت أقدم الأدوات الحجرية التى شكلها الانسان بنفسه ، هذا مع الأخذ فى الاعتبار أن هذه السنين تختلف من مكان إلى آخر طبقا لظروف كثيرة .

وينقسم العصر الحجرى القديم فى جميع أنحاء العالم إلى الأقسام الآتية :

١ ـــ العصر الحجرى القديم الأسفل :

(ا) العصر الشيلى نسبة إلى موقع يسمى Chelle عند التقاء نهر المارن ونهر السين بفرنسا ، وهو أقدم الطبقات التى عثر فيها على أدوات من صنع الإنسان .

(ب) العصر الأشولى نسبة إلى سانت أشول ، وهى ضاحية لمدينة أمْـيَنْ Amiens بفرنسا . وفى هيدلبرج بألمانيا عثر عام ١٩٠٧ على فك الإنسان من العصر الأشولى وتلى ذلك اكتشافات فى الصين استطاع العلماء بعد دراستها أن يعلنوا أنها تغطى الثغرة ما بين مخلفات الإنسان القرد Pithecanthropus وبين إنسان المرحلة التالية أى (العصر الحجرى القديم الأوسط) المعروف باسم إنسان نياندرتال والذى عرف أيضا باسم Sinanthropus أو Africanthropus (من شرق أفريقيا) وقد انتشر هذا الإنسان فى أماكن كثيرة من العالم .

٢ ـــ العصر الحجرى القديم الأوسط :

ويسمى أيضا العصر الموستيرى Mustérien نسبة إلى Le Moustier

بفرنسا. واستمر من ١٠٠,٠٠٠ إلى ٤٠,٠٠٠ ق. م تقريبا حيث ظهر إنسان النياندرتال ، نسبة إلى نياندرتال (مابين دسلدورف وفبرتال Wuppertal بألمانيا الغربية) حيث عثر على أول عظام لهذا الإنسان، ثم توالت الاكتشافات في جهات كثيرة من أوربا وآسيا وجنوب أفريقيا وفي جزيرة جاوه بإندونيسيا.

٣ — العصر الحجرى القديم الأعلى :

ظهر فيه إنسان الكرومانيون Cro-Magnon نسبة إلى الكهف المسمى بهذا الإسم فى فرنسا حيث عثر على خمس هياكل لهذا الإنسان ، والذى يسمى بالإنسان المفكر أو Homo Sapiens أى الإنسان الحديث أو الحالى، وقد استمر هذا العصر من حوالى ٤٠,٠٠٠ ق.م إلى ١٤,٠٠٠ ق.م تقريبا.

الفصل الأول

العصـــــور الحجرية

سنبدأ بدراسة تفصيلية لحضارات العصر الحجرى القديم فى السودان . وقبل ذلك يجب أن نوضح أن هذه الفترة بالذات مازالت الأبحاث فيها فى طور النمو كما أن الحفائر تعطينا كل يوم مادة جديدة تصحح بعض أفكارنا وتملأ الكثير من الثغرات .

وحتى للآن تتفق الأبحاث الأثرية التى تمت فى أنحاء مختلفة من السودان على أن أقدم حضارات السودان الحجرية كونها أناس من العنصر الزنجى من نوع يختلف عما هو موجود حاليا ، وكان آركل أول من وضع النقط على الحروف بالنسبة لتلك العصور الحجرية فى السودان (١) . وتبع ذلك أبحاث عديدة كشفت عن مخلفات حضارية تنتمى للعصور الحجرية بأنواعها المختلفة فى مناطق عديدة من السودان .

العصر الحجرى القديم

أولها : تلك التى تنتمى إلى العصر الحجرى القديم وأهم تلك المخلفات ما عثر عليه من أدوات حجرية أوضحها ذلك السلاح المعروف بالفأس اليدوية — وهى عبارة عن قطعة بيضاوية من حجر الصوان ، مدببة من الطرف الأسفل ومسنونة وذات حد قاطع ، وكانت تمسك فى قبضة اليد من جانبها البيضاوى ، جهزها الإنسان واستعملها فى الصيد والقتال وقطع الأشجار — واكتشفت تلك الأدوات فى المكان المعروف باسم « خور أبو عنجة Abou 'Anga (٢) ويقع غربى النيل على بعد أقل من كيلو متر واحد من مكان التقاء النيل الأبيض بالأزرق عند المقرن ، وهناك عثر على أدوات من العصر الحجرى القديم

---

(١) أنظر :

Arkell, Ear.y Khartoum; Shaheinab; The Old Stone Age in the Anglo-Egyptian Sudan.

(٢) وهو قائد من قواد المهدية عسكر فى نفس المنطقة .

الأسفل بنوعيه الشيلى والأشولى وهما أقدم أزمنة العصر الحجرى القديم على التوالى [١] .

وهذه تسميات تعارف عليها العلماء ، وتنسب إلى أول الأماكن التى عثر فيها على آثار من هذا النوع فى فرنسا ، ومع أن الاكتشافات توالت بعد ذلك فى أماكن أخرى من العالم إلا أن الباحثين احتفظوا بالتسميات الأولى كما هى . وأهم الأدوات الشيلية هى الفأس اليدوية أما أهم الأدوات الأشولية فالى جانب تهذيب الفأس اليدوية ، صنع الإنسان من شظايا الظران سكاكين حادة استعملها فى تجهيز الجلود وغير ذلك . وفى أبريل ١٩٦٦ عثرت بعثة جامعة كلورادو فى خور أبو عنجه كذلك على أدوات من أقدم أزمنة العصور الحجرية القديمة وعثر على آثار أخرى عمرها حوالى ١٢,٠٠٠ سنة(٢). كما عثر على أدوات ترجع إلى تاريخ يسبق ظهور الحضارة الشيلية . وفى مكان آخر يسمى وادى سيرو Wadi Seru غربى النيل أيضا ، وعلى بعد ٢٤ كم شمالى أمدرمان عثر على أدوات من العصر الأشولى المتأخر ، كما عثر أيضا على آثار أشولية فى المكان المعروف باسم وادى عفو Wadi Afu ويقع إلى الجنوب من امددرمان بحوالى ٨٠ كم غربى النيل الأبيض ، وتعتبر هذه المنطقة أقصى نقطة فى الجنوب حتى الان عثر فيها على آثار تنتمى إلى العصر الحجرى القديم ، وذلك حتى حدود السودان فى الجنوب مع أوغندا ، هذا باستثناء بعض الآثار التى وجدت على سطح الأرض فى مدينة الفاشر والموجودة حاليا فى متحف أكسفورد بانجلترا ، ولو أن بعض العلماء يشك من انتمائها أصلا للفاشر ، والواقع إن الأمر يحتاج إلى الكثير من عمليات الاستكشاف والبحث قبل أن نطلق الكلام بهذا التعميم .

وبعد ذلك يمكن أن نحدد الأماكن التالية والواقعة إلى الشمال من الشلال السادس والتى عثر فيها على آثار من العصر الحجرى القديم : فمثلا فى خور المودى (الذى يلتقى بنهر عطبرة قبل اتصاله بالنيل بحوالى ١٦ كم)

(١) الشيلية نسبة الى Chelles على نهر المارن Marne ، الأشولية نسبة الى سانت أشول بالقرب من أمين Ameins فى فرنسا كما سبق أن ذكرنا.

(٢) أنظر :

Leclant, Fouilles et travaux en Egypte et au Soudan, 1965-1966, p. 215, in Orientalia 36 Fasc. 2, 1967, pp. 181-227

هناك وعلى بعد ٣ كم تقريبا من نقطة التقاء الخور مع نهر عطبرة عثر على آثار شيلية وأشولية ، وبالقرب من الشلال الخامس فى وادى الشيخ هلال شمالى الجبل المعروف باسم جبل نخرو Nakharu ظهرت آثارشيليةواشولية ، وفى نورى Nuri جنوبى الشلال الرابع عثر على آثار من الحضارتين الشيلية والأشولية ، وبالقرب من تنقاسى Tangassi جنوبى نورى عثر على آثار عبارة عن قطع تمثل السلاح المعروف بالفأس اليدوية ، وهناك أماكن أخرى عديدة مثل وادى قعب Ga'ab ويقع غربى النيل بالقرب من مدينة دنقلة العرضى ثم وادى خوى Khoui فى شرق النيل ، وفى واوا Wawa عثر على آثار سابقة فى ظهورها للشيلية والاشولية ، وفى جزيرة صاى وعبرى Sai, Abri حيث عثر على آثار شيلية وأشولية . أما المنطقة الممتدة شرقى النيل بين عبرى جنوبا وبين الشلال الثانى شمالا ، أى على امتداد المنطقة الصخرية المعروفة حاليا باسم « بطن الحجر » والتى تمتد مسافة ١٤٤ كم جنوبى وادى حلفا فلم تمدنا بأية آثار من العصر الحجرى القديم الأسفل . وعلى وجه العموم فإنه لم يعثر فى المنطقة الغربية من بطن الحجر إلا على محلات متفرقة من عصور ما قبل التاريخ إذا ما قورنت بالمنطقة المحيطة بوادى حلفا . كما عثر على أدوات يرجع تاريخها إلى ما قبل ٣٠٫٠٠٠ ق. م أى إلى العصر الحجرى القديم الأوسط . وكذلك على أدوات تعود إلى العصر الحجرى القديم الأعلى تحدد عمرها بمساعدة الكربون ١٤ المشع (C 14) فتبين أنها ترجع إلى حوالى عام ١١٫٧٠٠ ق . م ± ٣٠٠ سنة[١] وعثر فى نفس المنطقة أيضا على أدوات حديثة نسبيا من العصر الحجرى الوسيط والعصر الحجرى الحديث ، وبعضها ينتمى إلى حضارة المجموعة الأولى المؤرخة بحوالى عام ٣٫٠٠٠ ق. م . ولكن الملاحظ أنه لم يعثر ضمن تلك الأدوات التى ترجع إلى العصر الحجرى القديم على ما يعرف بالفؤوس اليدوية المميزة لذلك العصر .

(١) ومعنى ذلك أن جهاز الكشف عن عمر الآثار ، من واقع نسبة الكربون المشع الى الكربون العادى — والموجودين بنسب ثابتة فى كل مادة عضوية (عظام — أخشاب) تبدأ فى التغير نتيجة لفقدان الكربون المشع جزءا من وزنه بعد وفاة الكائن الحى — يشير الى عمر الأثر بالرقم ١١٫٧٠٠ سنة مثلا ثم يضيف احتمال خطأ بالزيادة (+) والنقصان (—) مقداره = ٣٠٠ عاماً .

كما لم يعثر فى تلك المنطقة على أية مخلفات لعظام الإنسان من عصور ما قبل التاريخ . على الرغم من توافرها فى جزيرة دبروسه Dabarosa إلى الشمال من وادى حلفا . ومن دراسة مخلفات إنسان العصر الحجرى القديم فى تلك المنطقة نعرف أنه عاش على صيد الحيوانات كالغزال أو الماعز البرى أو الحمر الوحشية ، وربما كان قد تمكن من استئناس الماعز . كما عثر على كثير من أجزاء لبيض النعام الذى كان يستعمله فى حياته اليومية ، ولم تعثر البعثة الأثرية على دليل يبين معرفة هؤلاء القوم لصيد الأسماك أو أنهم قد توصلوا لمعرفة الزراعة ، على الرغم من أن صيد الأسماك كان أمره معروفا بدرجة كبيرة عند مضايق الشلال الثانى من حول Abka وإلى الشمال منها وذلك فى العصر الحجرى الوسيط ، إلا أنه لم يعثر سوى على القليل من الدلائل التى تشير إلى توصل سكان منطقة بطن الحجر إلى صيد الأسماك[1] .

وفى واحة سليمة التى تقع إلى الغرب على مسافة بعيدة من الوادى عثر على آثار شيلية متأخرة ، كما عثر بالقرب من وادى حلفا على مخلفات ترجع إلى العصر الحجرى القديم الاعلى . وغربى النيل تجاه وادى حلفا عثرت بعثة جامعة كلوراد وعام ١٩٦٣/٦٢ على سبع مواقع لحضارة العصر الحجرى القديم الأوسط والعصر الحجرى القديم الأعلى ، وبالرغم من عدم ظهور الفؤوس اليدوية هناك وبقايا الأوانى الفخارية ، إلا أن الأدوات المشطوفة والمصنوعة من الظران وعظام الحيوانات وكذا أماكن مواقد النار التى استخدمها أولئك القدم كانت واضحة جلية .

أما فيما يتعلق بمنطقة النيل الأزرق فقد عثر عند مدينة سنجه فى عام ١٩٢٤م على جمجمة لإنسان ، وبعد فحصها تبين أنها تنتمى إلى عنصر قديم من نوع ماقبل البوشمن أو البوشمن الأوائل Proto — bushman وتعد من أقدم المخلفات البشرية التى عثر عليها فى السودان على الإطلاق ، وقد دلت الأبحاث على أن ذلك النوع من البشر عاش فى الزمن الأخير الواقع بين العصر الحجرى القديم الأسفل والعصر الحجرى القديم الأعلى. والملاحظ

(١) Gordon W. Hewes, Investigations on the West Bank in the Batn el Hagar, Kush XIV. pp. 25—43, p. 28.

أن مخلفات ذلك الانسان فى كل من مدينتى سنجة وأبو حجار Abu Hugar على عمق ٨,٤٠ مترا فى باطن الأرض ، تختلف عن مخلفات إنسان العصر الحجرى القديم فى غيرها من مناطق السودان من ناحية قلة ظهور الفؤوس اليدوية .

وفى عام ١٩٦٥ عند جبل الصحابة إلى الشمال من مدينة حلفا عثرت بعثة الحفر الأمريكية على خمسين هيكلا عظميا ، تبين أن عمرها ما بين ١٢,٠٠٠ ، ٨,٠٠٠ قبل الميلاد أى أنها ترجع إلى العصر الحجرى القديم الأعلى ،وهى أكبر مجموعة من الهياكل البشرية من نهاية زمن البلايستوسين يعثر عليها فى قارة أفريقيا على الإطلاق وقد عكفت البعثة على دراسة تلك المجموعة الهامة من العظام الآدمية لتخرج منها بدراسة مفصلة عن العنصر البشرى الذى كون تلك الحضارة الموغلة فى القدم . ومن الدراسات الأولية اتضح أنها للإنسان المفكر homs sapiens أو الإنسان الحديث (وهو نفسه إنسان الكرومانيون الذى ظهر أول ماظهر فى فرنسا ونسبت إليه حضارة العصر الحجرى القديم الأعلى .) وكان إنسان ذلك العصر ضخما قوى العظام . وقد نقلت البعثة تلك الهياكل معها إلى جامعتها South Methodist بالولايات المتحدة الامريكية لدراستها ، وتركت هيكلا واحدا لمتحف الخرطوم (رقم 18685) [1] .

وكان إنسان ذلك العصر صيادا يعيش على صيد البر والنيل ، وعلى مايجمعه من ثمار الأشجار ، وليس هناك من الشواهد ما يدل على معرفته للزراعة أو لاستئناس الحيوان . وكانت الصحراء الحالية تمتلىء بالحياة النباتية والحيوانية [2] .

ولقد أثبتت الاكتشافات الجيولوجية التى قامت بها البعثات الحديثة فى النوبة أن نهر النيل قبل أن يتمكن من شق مجراه الحالى فى هضبة النوبة قبل

(١) انظر
The 1965 Field Season of the Southern Methodist University, by Wendorf, Shiner, Marks, Heinzelin, Chmielewski, Schild in Kush XIV (1966) pp. 22 23.

(٢) Rex Keating, Return to the Land of Kush, in Unesco Courir, December 64, p. 29/30)

حوالى ٥٠،٠٠٠ سنة كان له عدة فروع داخل الصحراء . وعلى طول تلك المجارى المائية القديمة أيضا عاش إنسان العصر الحجرى فى السودان ، ولقد عثر على مخلفات ترجع إلى ذلك العصر على مسافة ٣٢ كم داخل الصحراء. وحوالى عام ١٠،٠٠٠ ق . م إزدادت نسبة الأمطار التى كانت تسقط على منطقة النوبة مما هيأ الجو المناسب لكثير من الحيوانات الضخمة كأفراس النهر والفيلة والزراف ، ولابد أن تلك الصور والرسوم الصخرية المنتشرة على صخور النوبة ، إنما هى تسجيل قام به إنسان ذلك العصر لما حوله من الطبيعة .

قام إنسان العصر الحجرى القديم بدفن موتاه قريبا من مساكنه ، وزودهم بما ظن أنه يعينهم على الحياة بعد الموت من متاع الدنيا وأسلحتها ، حسب أعتقاداتهم الدينية التى يتضح منها إيمانهم بالبعث بصورة أو بأخرى . وقد لوحظ أن السكاكين ورؤوس السهام المستعملة والمصنوعة من حجر الصوان كانت من نوع يشبه ما كان موجوداً فى شمال الوادى من زمن العصر الحجرى القديم الأعلى . كما أستعمل إنسان ذلك العصر خطافا معينا لصيد الأسماك صنع من العظام

العصر الحجرى الوسيط

وينسب هذا العصر عادة إلى منطقة الخرطوم ـ نظرا لأن أهم موقع عثر فيه على آثار من ذلك العصر أسفل الأرض التى أقيم فوقها مستشفى الخرطوم الحالى ويطلق عليه عصر حضارة الخرطوم الباكرة Early Khartoum .

ولعل هذا العصر بدأ بعد عام ٧،٠٠٠ ق . م واستمر ألفين أو ثلاثة آلاف عام . وكان الجو رطبا عما هو عليه الآن حيث عاش الإنسان على صيد الأسماك والحيوانات التى كثر وجودها فى النهر وعلى البر ، وعلى جمع الثمار أيضا . وصنع إنسان العصر الحجرى الوسيط فى السودان لأول مرة الأوانى الفخارية بشكل غير مصقول ، ولكنه زينها بالزخارف البسيطة. وصانع هذه الحضارة التى أخرجت للعالم أول أوانى فخارية خاصة بحضارة السودان القديم على الإطلاق ـ وربما كانت هى أقدم أوانى فخارية من قلب أفريقيا على الإطلاق ـ هو من النوع المتأثر بالسلالات الزنجية .

حضارة العصر الحجرى الحديث

أما بالنسبة للعصر الحجرى الحديث فقد عثر على مركز من أهم مراكزه الحضارية فى الشهيناب ، غربى النيل وعلى بعد حوالى ٤٨ كم شمالى أمدرمان . وتتميز تلك الحضارة بأنواع الفخار الأسود أو ذى الحافة السوداء ، ومما يجدر ملاحظته أنه لم يعثر على مدافن لأصحاب تلك الحضارة لا فى داخل المساكن ولا بالقرب منها أو بعيد عنها . ولذلك يظن أن هؤلاء الناس كانوا يتخلصون من جثث موتاهم بإلقائها فى النهر وقد كشف بروفسور هنتزا عن مركز حضارى لأصحاب حضارة العصر الحجرى الحديث فى Shagadud جنوب شرقى النقعة فى منطقة البطانه . والملاحظ أن عملية البحث عن مراكز حضارة العصر الحجرى الحديث ، لم تبدأ بعد بطريقة منظمة فيما عدا المنطقة الواقعة شمالى الشلال الثانى ، والتى تعرضت لبحيرة السد العالى .

ومن أجل عدم توافر المادة الأنثروبولوجية (بقايا العظام الآدمية) لايمكن الجزم إن كان أصحاب حضارة العصر الحجرى الحديث من نفس العنصر البشرى الذى أقام الحضارة السابقة أم أنهم ينتمون إلى العنصر الأسمر Brown race ، وعلى أى حال فإنَّ ما تحت أيدينا من الآثار يدل على أن إنسان العصر الحجرى الحديث بالسودان قام بتطوير أدواته الحجرية واستعمل كثيراً من حلى الزينة ، ولا شك أنه استطاع أن ينتقل عبر النيل بما يشبه القوارب البسيطة ، ولعله أستعملها أيضا فى الصيد . وليس هناك من شواهد تدل على معرفة إنسان ذلك العصر للزراعة . مع العلم أنه توصل إلى استئناس بعض الحيوان ، كما يتبين من بقايا العظام الحيوانية التى تركها ضمن مخلفاته . وتدل الشواهد على أن الطقس قد بدأ يتغير عنه فى العصر السابق حيث أخذت الامطار تنحسر تدريجيا نحو الشمال ويسود الجفاف النسبى . وقد أستطاع آركل[1] بمساعدة الكربون ١٤ (المشع) أن يعطى عمرا لبعض مخلفات تنتمى إلى العصر الحجرى الحديث عثر عليها فى الشهيناب كالآتى : ٥٠٦٠ ± ٤٥٠ عاما ، ٥٤٤٦ ± ٣٨٠ عاما . وفى جبل قررى

(١) Arkell. Shaheinab, p.107 ; Kush II p. 90

Jebel Qerri [1]. إلى الشمال من محطة السكة الحديد من حول تل جرابيق عثر على عدد من المقابر على شكل أكوام Tumuli عددها حوالى ثمانيه أو عشرة ومساحتها ما بين ٥ر١ مترا ٠ر٣ مترا ومن حولها قطع كبيرة من الفخار بعضها يحمل زخارف بسيطة عبارة عن خطوط متموجة أو منقطة والتى تميز حضارة الخرطوم الباكرة وحضارة الشهياب عن غيرها ، مما يبعث على الإعتقاد بأن هذا المكان كان مأهولا فى العصر الحجرى الحديث .

وينتمى إلى تلك الحقبة كثير من النقوش الصخرية التى عثر عليها مسجلة على صخور النوبة المصرية والسودانية. وجدير بالملاحظة أن كثيراً من مظاهر حضارة العصر الحجرى الحديث بالخرطوم كان لها نظير معاصر ، يتمثل فى حضارة العصر الحجرى الحديث بالفيوم ، وهى أقدم حضارات العصر الحجرى الحديث فى مصر على الإطلاق ، وتنحصر تلك المظاهر فى :

(ا) كثرة استعمال النار فى طهى الطعام. (ب) وتوصل أصحاب الحضارة لاستئناس بعض الحيوان . (ج) عدم التوصل لمعرفة الزراعة . (د) وعدم دفن الموتى داخل المساكن . (ه) واستعمالهم لنوع معين من رؤوس السهام الحجرية ذات الرؤوس المجنحة . ثم استعمالهم لأنواع متشابهة من الفخار وخرز الزينة . ولا جدال فى أن ذلك يؤكد الصلة الحضارية بين شطرى الوادى منذ أقدم العصور .

هذا وما زلنا نفتقر إلى المعلومات عن التطور الحضارى الذى حدث ما بين حوالى عام ٣٨٠٠ ق . م ، وحوالى عام ٣١٠٠ ق . م بالنسبة لتاريخ السودان القديم ، وهى نفس المرحلة التى ظهرت فيها حضارة عصر ما قبل الأسر فى مصر .

وفى واقع الأمر إن ما تم اكتشافه من محلات حضارية ترجع للعصور الحجرية لا تزيد على نسبة ضئيلة مما يمكن أن يظهر فى المستقبل القريب ، إذا ما بدء فعلا فى الكشف المنظم عن ذلك التراث القديم

(١) أنظر Hintze, Kush VII p. 177. f. Preliminary Report of the Butana Expedition pp. 177—196 .

الفصل الثانى

المجموعات الحضـــــارية

حضارة المجموعة الأولى

بدأت تظهر فى شمال البلاد حوالى عام ٣١٠٠ق.م مجموعة حضارية جديدة ذات صفات مميزة أسماها مكتشفها ريزنر بالمجموعة الحضارية الأولى. وجل مخلفاتها عثر عليه فى النوبة ، ولقد عثر حديثا على آثار خاصة بالمجموعة الأولى حتى عكاشة (١٢٨ كم جنوبى وادى حلفا) وكان قد سبق الكشف عن موقعين لأصحاب تلك الحضارة فى السودان : الأول فى فرص شمال وادى حلفا، والثانى فى جمى جنوبى وادى حلفا ، ولكن الباحثين عثروا على بعض الفخار المشابه لفخار المجموعة الأولى فى أنحاء متفرقة من شمال السودان وبخاصة بالقرب من أمدرمان . ولعل الأدوات النحاسية التى عثر عليها فى مقابر تلك المجموعة فى فرص أن تكون أقدم ما ظهر من أدوات معدنية فى السودان القديم حتى الآن .

وبالإستعانة ببعض الآثار المستوردة من مصر ، والتى وجدت فى مقابر تلك المجموعة ، أمكن للباحثين أن يعطوا لها تاريخا يعاصر منتصف زمن الاسرة الأولى فى مصر (٣٠٠٠ — ٢٩٠٠ ق . م) .

وهكذا نجد أن حضارة المجموعة الأولى فى شمال السودان وفى النوبة المصرية تظهر معالمها الحضارية منذ العصر الذى تم فيه توحيد شمالى الوادى فى مصر وتكوين الحكومة المتحدة الثانية تحت زعامة ملوك الأسرة الأولى. ففى ذلك الزمن يبدو أن منطقة النوبة قد وفدت عليها هجرات من الشمال لقبائل لا يختلف أصحابها فى عنصرهم كثيرا عن العنصر البشرى الذى ساد فى مصر فى عصر ما قبل الأسر .

وأخذت حضارة المجموعة الأولى تزدهر فى أقاليم النوبة أيام الأسرة الأولى فى مصر ، بعد أن كانت أقاليم النوبة من قبل تفتقر كثيرا إلى العنصر الإشرافى ، ويبدو ذلك جليا عند مقارنة مخلفات المجموعة الأولى فى عصرها المتأخر بما تم العثور عليه فى المواقع التى تنتمى إلى عصور أقدم لنفس المجموعة الحضارية . وأهم ما يميز حضارة المجموعة الأولى استعمال أصحابها لأنواع الفخار، الذى عثر على عديدمنه فى المقابر، كالقدور الكبيرة ذات اللون الأحمر الفاتح (الوردى) ثم الاوانى الصغيرة المزدانة بحايات تقليداً للسلال المصنوعة من القش ، أما طريقة الدفن فكانت تتم بوضع الميت إما فى حفرة بيضاوية مباشرة ثم إهالة التراب عليه أو بإضافة حفرة أخرى جانبية متصلة بها يتم فيها الدفن على عمق قد يبلغ ١٫٣٠ مترا من سطح الأرض(١) . وكان الميت يدفن فى وضع الجنين وعلى جانبه الأيمن بشرط أن يكون الرأس ناحية الغرب ، ولعل فى ذلك إشارة ضمنية لبعض معتقداتهم الدينية ، وكما هى العادة فى مقابر ما قبل الأسر فى مصر كان الميت يحاط بعدد من الأوانى الفخارية أو الحجرية وبعض الأدوات النحاسية ثم عقود الزينة من الأحجار نصف الكريمة والصدف .

وكشفت البعثة الاسكندنافية فى أحد الوديان القريبة من « أبكه Abka » على الجانب الشرقى للنيل عند وادى حلفا ، عن عدد لا حصر له من الرسوم الصخرية حيث نقشت على السطح الأملس للصخور الجرانيتية السوداء صور الأبقار والزرافات والفيلة وأفراس النهر وغيرها من الحيوانات التى انقرضت من هذا الجزء من القارة بالإضافة إلى صور للصيادين يقومون بالصيد يرجع بعضها إلى أيام المجموعة الأولى(٢) .

وكذلك كشفت البعثة الاسكندنافية فى حفائرها عند وادى حلفا عن دميتين صغيرتين من الطين المحروق أحداها لفتاة صغيرة والأخرى لامرأة فى مقبرة سيدة ضمن مقابر تنتمى للمجموعة الأولى(٣) .

---

(١) أنظر Emery, Egypt in Nubia, p. 125

(٢) أنظر Rex Keating, Unesco-Courir December 1964, pp. 28/29

(٣) نفس المرجع السابق p. 28 .

وآثار ملوك الأسرة الأولى ـ والتى عاصرت حضارة المجموعة الأولى السودانية ـ على ندرتها يجب أن تدرس بعناية لما فى ذلك من فائدة فى كشف النقاب عن علاقة حضارة المجموعة الاولى بجيرانها فى الشمال فكما درس لوح الملك نعرمر الذى اقترن فيه الرمز بالصورة والذى بواسطته أمكن التأكد بطريقة تكاد تكون قاطعة من قيام الحكومة المتحدة المصرية على يد الملك « نعرمر » ، يجب كذلك أن يدرس الأثر الذى كان محفوراً على صخور جبل الشيخ سليمان فى غرب النيل عند كور إلى الجنوب من بوهين، ثم نقل إلى متحف الخرطوم الجديد ليعرض فى حديقة المتحف . والخاص بالملك « جر » من من أوائل ملوك الاسرة الأولى المصرية لما له من أهمية بالنسبة لدراسة تاريخ السودان القديم ، ويعتبر ذلك الاثر الهام نموذجا فريدا للمحاولات الأولى التى اقترن فيها التسجيل بالرسم الذى يكاد يقرب من الكتابة المصورة فى أول أطوارها مع بعض العلامات الهيروغليفية هنالك صور الإسم مكتوبا كما هى العادة المتبعة فى كتابة الأسماء الملكية بالعلامة التى تقرأ فى الهيروغليفية « جر » فوق ما يشبه تمثيلا لواجهة القصر الملكى يعلوها جميعا رسم الصقر رمز الإله حورس ، ورمز الملك كوريث للاله حورس على العرش، وهو المعنى المأخوذ من التقليد القديم الذى تحول إلى أسطورة منذ أن قامت الوحدة الأولى فى مصر قبل وحدة الملك « نعرمر — منا » التاريخية ، هنالك طبقا للأسطورة « إيزيس وأوزيريس » كان يحكم مصر ملوك فى قدسية الآلهة، أوهم آلهة فعلا وكان الإله حورس هو القائم على تلك الوحدة الأولى العريقة بعد أن ورث العرش بأمر الآلهة بعد مقتل والده أوزيريس ، ومن يومها تيمن الفراعنة باسمه، وأضافوا إلى أسمائهم اسم حورس . وأمام اسم الملك « جر » المذكور صور أحد الأسرى واقفا بينما قيدت يداه من خلف ظهره بحبل . وتمثيل الأسرى مقيدين على تلك الصورة ظل معمولا به فى الرسم والرمز طوال التاريخ المصرى السودانى ، حتى نهاية حضارة مروى . وأمام الأسير رمز لما يشبه المياه . ولعل المقصود به أن موقعة حربية دارت بين جنود ملك مصر وبين أهالى المنطقة من أصحاب المجموعة

الأولى فى منطقة الجنادل حيث الملاحة الصعبة، أو ربما يعنى ذلك أن القتال قد دار فى النهر بالقرب من الموقع الذى دون فيه الحدث على الصخور، ثم صور الفنان دائرتين فى داخل كل منهما خطان متقاطعان وفوق أحداهما صورة طائر يشبه الصقر، وفوق الأخرى علامة غامضة، وتلك الدوائر عرفت فى الكتابة الهيروغليفية بعد ذلك على أنها رموز لكلمة « مدينة » بمعناها القديم كما أن الرسوم كالصقر والعلامة الغامضة كانت ترمز إلى أقاليم أو بلدان، وربما المقصود أن القتال الذى دار فى منطقة الجنادل قد نتج عنه إخضاع الثائرين فى مدينتين بتلك المنطقة من السودان الشمالى.

وبعد ذلك يحاول الفنان أن يفسر الرموز السابقة، فيصور مركبا مصريا صميما ربط فى مقدمته أحد الأسرى بحبل يلتف حول رقبته ويديه الموثوقتين خلف ظهره. ومن أسفل المركب وتحت رسم الأسير المذكور صور الفنان أربعة رجال صرعى وكما هى العادة فى الكتابة المصورة (الهيروغليفية) التى أخذت محاولاتها الأولى ترسخ وتأخذ شكلها النهائى خلال عصر الأسرتين الأولى والثانية. نجد الفنان فى هذا الرسم يحاول كتابة الحدث بالرموز المتعارف عليها. ثم يزيد فيفسره برسم يقرب إلى الصورة منه إلى الكتابة.

وإذا ما أضفنا نقش الملك « جر » من صخور جبل الشيخ سليمان السالف ذكره، وكذا العديد من الصناعات اليدوية التى تميزت بها الأسرة الاولى المصرية والتى ظهرت بين مخلفات مقابر أصحاب حضارة المجموعة الاولى السودانية(١)، إلى تلك القطع التى تتمثل فى أوانى حجرية من الطراز الخاص بعصر الأسرتين الأولى والثانية والتى ظهرت مؤخرا داخل قلعة بوهن على بعد بضعة كيلو مترات إلى الشمال من المكان الذى سجل فيه نقش الملك « جر » فى جبل الشيخ سليمان، إذن لحاولنا إرجاع أول عهد المصريين بارتياد تلك البلاد إلى أيام الأسرة الأولى فى مصر. وليس هذا بمستبعد، إذا ما علمنا أن ملوك الأسرتين الأولى والثانية قد احتاجوا لذهب النوبة من مناجمه شرقى أسوان وبالقرب من وادى حلفا

(١) Emery Archaic Egypt p. 60.

حيث صنعوا منه كثيرا من آثارهم الخالدة . فكما حدثتنا نصوص الاهرام(١) التى يرجع تاريخ الكثير منها إلى ما قبل تسجيلها فى أيام الدولة القديمة بقرون عديدة ، كان الذهب معدنا ملكيا مقدسا ، فكل ما يخص فرعون فهو ذهبى مقدس . ولا شك أنهم حاولوا بتلك الحملات إخضاع منطقة النوبة السفلى ليضمنوا وصول ذلك المعدن المقدس إلى القصر الملكى فى الشمال .

ونحن نلجأ إلى دراسة تطور العلاقات التى قامت بين أصحاب تلك الحضارات وبين جيرانهم فى الشمال، نظرا لاهتمام المصريين بتسجيل أخبارهم، ومنها نستطيع أن نتبين بعض ملامح التاريخ السودانى فى ذلك الحين .

وظلت الأحوال مستقرة فى النوبة ، واستمرت حضارة المجموعة الأولى فى الإزدهار إلى أن وصلت الأيام زمن الملك « خع — سخم » أواخر زمن الأسرة الثانية(٢) هنا لك يبدو أن الأحوال قد اضطرته إلى إرسال حملة قوية إلى الجنوب من حدود مصر ، ولعل سبب ذلك أن أصحاب حضارة المجموعة الأولى قد حاولوا التوغل جنوب مصر ، مضطرين إلى ذلك إما بسبب ضغط هجرات جديدة عليهم أو بسبب سوء الأحوال الطبيعية ، فضمن الآثار القليلة التى عثر عليها فى « هيراكن بوليس » — الكوم الأحمر — غربى النيل شمالى إدفو ، جزء من لوح صور عليه الملك تسجيلا لانتصاره على أهل الجنوب « تاستى » ، ويلاحظ أن الشخص الذى صور ليرمز لأهل الجنوب فى ذلك الحين كان ملتحيا ، ويعتبر هذا الرسم من أقدم الرسوم التى تمثل سكان منطقة النوبة فى الوثائق المصرية .

والظاهر أن حملات الملك « خع — سخم » من العصر العتيق لتأمين حدود مصر الجنوبية وفتح الطريق أمام التجارة والتعدين قد قضت على أزدهار

(١) وهى نصوص دينية أمر آخر ملك من ملوك الأسرة الخامسة ومن بعده ملوك الأسر السادسة بتدوينها على الجدران الداخلية لغرف دفنهم داخل أهراماتهم فى سقارة ظنا منهم أنها تساعدهم على البعث والصعود إلى السماوات العلى .

(٢) وليس خع — سخموى كما ذكر Arkell History p. 40

حضارة المجموعة الأولى فى كل من النوبة المصرية والسودانية . وببداية عهد الدولة القديمة تظهر ملامح حضارية جديدة تختلف فى مجموعها عن إنتاج حضارة المجموعة الأولى .

حضارة المجموعة الثانية (؟)

وتجدر الإشارة إلى أن كثيرا من العلماء يعترض على وجود تلك الحضارة أصلا ، والمفروض أنها عاصرت زمن الدولة القديمة فى مصر ، أى فى الفترة ما بين حوالى عام ٢٨٠٠ وحوالى عام ٢٢٠٠ ق. م أى من الأسرة الثالثة حتى الأسرة السادسة ، وتتميز حضارة المجموعة الثانية بفقرها كما يتضح من قلة ورداءة مخلفات أصحابها . ولابد أن أصحاب المجموعة الثانية ينحدرون من نفس عنصر المجموعة الأولى مع ظهور أثر الاتصال بالجنوب ، والرأى المخالف يرى أن أصحاب حضارة المجموعة الثانية ماهم إلا عناصر من المجموعة الثالثة ، عاشت فى ظروف سيئة فانحدرت حضارتهم وخلفت تلك الآثار التى تقل جودة عن آثار المجموعة الثالثة فى بداية عهدها .

ولعل أهم الصلات التى تم تسجيلها بصورة واضحة مابين مصر فى زمن أوائل الأسرة الرابعة فى عهد الملك سنفرو(١) وبين أصحاب حضارة تلك المجموعة ، أن تكون تلك الحملة التى سجلت أخبارها ضمن حوليات الملك على حجر بالرمو(٢) . ومن الأرقام التى ذكرها سنفرو نستطيع أن نكون فكرة عن مدى مقاومة أهل البلاد وعن جبهم للقتال وعن كثافة العنصر البشرى حينذاك ، فرغم أن تلك المعلومات سجلت بطريقة مقتضبة جداً كما أتبع فى كل الأحداث المسجلة على الحجر المذكور ، فقد وردت أرقام الأسرى التى بلغت ٧٠٠٠ أسيرا بالإضافة إلى ٢٠٠٫٠٠٠

(١) والد الملك خوفو صاحب الهرم الأكبر بالجيزة .

(٢) محفوظ بمتحف بالرمو بصقلية وهو عبارة حجر من الديوريت مكتوب من الوجهين ٤٣٫٥ × ٢٥ سم وعليه قائمة بأسماء ملوك مصر بالتتابع من عصر ماقبل الأسرات حتى أيام الأسرة الخامسة ، ومسجل عليه اسم كل ملك وأهم أحداث عصره، ونصوصه الهيروغليفية صعبة الفهم ،وهناك بعض قطع من هذا الحجر محفوظة بمتحف القاهرة . أما اسم الملك سنفرو وحربه فى النوبة فمدون على الوجه الآخر للحجر.

رأس من الأغنام والماشية ، وقد أطلق سنفرو على سكان الجنوب وقتذاك اسم « نحسيو » أى السودانيين ، وكان المقصود بهذه التسمية كل القبائل التى تسكن جنوبى الحدود المصرية . وقد يبدو طبيعيا أن نتصور بعد ذلك سبب اضمحلال الحضارة التى عرفت بحضارة المجموعة الثانية فى شمال السودان وفى النوبة المصرية ، فلابد أن هجمات الملك خع ـ سخم ، ومن بعده الملك سنفرو كانت من العوامل الحاسمة . ذلك أننا نلاحظ بعد ذلك أن الآثار المصرية تسهب فى الحديث عن إرسال البعثات التعدينية والتجارية نحو الجنوب من أجل الحصول على منتجات تلك البلاد ، وأهمها جميعا الذهب ، دون أن تعترضها العقبات كما كان يحدث فى الماضى .

وضمن آثار الدولة القديمة التى أمدتنا بها منطقة أهرام الجيزة ،وعلى وجه الخصوص منذ أيام الأسرة الرابعة نلاحظ ظهور حجر الديوريت فى صناعة التماثيل الملكية مثل تمثال خفرع الشهير بالمتحف المصرى، وهو من الأحجار الصلبة جداً كالجرانيت ، ولقد دلت الأبحاث على توافر ذلك الحجر فى المنطقة الواقعة إلى الغرب من توشكى بحوالى ٨٠ كيلو مترا ، هنالك وفى منطقة المحاجر عثر الأثريون على أسماء الملوك خوفو وددفرع ثم ساحورع وإسيسى من الأسرتين الرابعة والخامسة على التوالى ، خلفتها وراءها بعثات مصرية أرسلت مرارا لقطع الديوريت اللازم للعمائر الملكية ، كدليل على وصولها إلى تلك البقاع ، وحبا فى تخليد ذكرى الملوك .

ومما هو جدير بالذكر أن أحدث الأبحاث فى منطقة بوهين إلى الجنوب من وادى حلفا كشفت النقاب عن توافر معدن النحاس هناك ، وقيام مدينة سكنية كبيرة محصنة للعمال والمشتغلين المصريين ، بالإضافة إلى عدد قليل من أهل المنطقة،ذكر رونسور « إمرى » أنهم ينتمون إلى المجموعة الثانية ، إلا أن شواهد الأمور تدل على انتمائهم إلى مرحلة متأخرة من المجموعة الحضارية الثالثة بعد اضمحلالها . والغريب أن كثيرا من الدلائل تشير إلى أن تلك المدينة ترجع فى تأسيسها إلى العصر العتيق ، أى قبل قيام الدولة القديمة ، فإلى جانب أنواع الفخار التى عثر عليها هناك والتى تشبه

فخار الأسرة الثانية المصرية — ويحتمل أن استعمالها قد استمر حتى أيام الأسرة الرابعة أيضا — هناك طراز الطوب الكبير المشيدة منه حوائط المدينة ، فهو من نفس طراز الطوب المقامة منه عمائر الأسرة الثانية .

وقد عثر فى بوهين على أسماء كل من الملوك خفرع ومنكاورع صاحبي الهرمين الثانى والثالث بالجيزة من الأسرة الرابعة ، ثم أوسر كاف وساحورع ونفرإر كارع ونيوسرّع من ملوك الأسرة الخامسة ، سواء على شكل أختام أو على قطع الفخار ، وغنى عن البيان أنه إذا ثبت هذا الرأى عن اكتشاف تلك المدينة السكنية ، التى قامت لتصبح مركزا لاستخلاص معدن النحاس ، فلابد أن مناجم ذلك المعدن كانت وما تزال بقاياها موجودة فى مكان ما بالقرب من بوهين . وهكذا يمكن أن يضاف إلى محاصيل ومنتجات النوبة معدن آخر هو معدن النحاس . فهل ورد ذكره فى النصوص المصرية ضمن محصولات تلك البلاد فى زمن الدولة الحديثة ، أم أن استخلاص النحاس من المنطقة المحيطة ببوهين اقتصر فقط على زمن الدولة القديمة ثم تلاشى ؟

الواقع أن هذا المعدن لم يرد ذكره ضمن قوائم منتجات بلاد كوش أيام الدولة الحديثة كما أن الآثار التى وجدت بالمدينة المذكورة كانت قاصرة على زمن الدولة القديمة فقط ولم تتعداها كما ذكر بروفسور إمرى(١) .

وفى رأيى إن علاقة مصر بجيرانها فى الجنوب أيام العصر العتيق — زمن الأسرتين الأولى والثانية المصريتين — تحتاج إلى كثير من البحث والجرأة أيضا فى استخلاص النتائج ذات الأثر البعيد فى تاريخ السودان القديم . فمثلا هناك أثر الملك خع سخم من الأسرة الثانية وهو عبارة عن قطعة من لوح حجرى يسجل عليه بطريقة مقتضبة انتصاراً على أهل الجنوب ، وفيه أشير إلى إسم تلك البلاد بالإشارة التى تم التعارف عليها طوال التاريخ المصرى القديم « تاستى » ، وبشكل واضح ليس فيه تردد المبتدئين ، مما يدل على معرفة سابقة بمدلولها . وبروفسور إمرى له رأى مخالف (٢) إذ يرى أن الكلمة تعنى فقط « البلاد الأجنبية »(٣) . ولو أخذنا فى الأعتبار العديد من

---

(١) Emery, Egypt in Nubia, pp. 111/112.

(٢) Emery Archaic Egypt, p. 100.

(٣) راجع ص ٣٢ من هذا الكتاب : Arkell, History, pp. 40/41

الشواهد السالفة الذكر ، لما أصبح هناك مجالا للتردد فى حقيقة أن المصريين – وعلى الأخص فى النصف الثانى من العصر العتيق زمن الأسرتين الأولى والثانية المصريتين – ارتادوا تلك البقاع وعرفوها سواء للتجارة والتعدين أو عند صد الغارات ، ويبدو ذلك بشكل واضح خلال التاريخ الطويل للأسرة الثانية ، فالمتعارف عليه أن العصر العتيق قد دام نحو أربعمائة وخمسين عاما ، بل إن بعض المؤرخين يقدره بحوالى خمسة قرون ونصف قرن ، وهى فترة كافية بلاشك لرسوخ أقدام الحضارة المصرية ، التى مرت خلال تجارب رائدة لإرساء دعائم حضارة عريقة ، وذلك قبل بداية العصر العتيق ، أى قبل قيام الوحدة الثانية على يد الملك نعرمر – منا مؤسس الأسرة الأولى فى تاريخ مصر ، والتى قامت ما بين ٣٤٠٠ ، ٣٢٠٠ ق . م طبقا لرأى فريق من المؤرخين(١).

وفى تلك العصور السحيقة أطلق المصريون على جيرانهم فى الجنوب إسم (تاستيو) وسموا أرضهم « تاستى » بمعنى « أرض أهل الأقواس » بل إن أسمهم كتب بالإشارة الدالة على الأقواس ، مع العلم بأن إقليم أسوان ، وهو أول أقاليم الصعيد الواقع فى أقصى حدود مصر الجنوبية ، كان يطلق عليه نفس الإسم ، ولعلهم قصدوا بذلك أنه إقرب الأقاليم لأهل الجنوب . والواقع أنه من الناحية البشرية أقرب مايكون إلى أقاليم النوبة . بل إنهم بذلك يكادون يعتبرونه ضمن أقاليم النوبة ، والحقيقة أن معظم أهل النوبة تميزوا منذ القدم بمهارة استعمالهم للأقواس والسهام فى الإغارة ، وطالما قامت بعض جماعاتهم بمهاجمة الحدود الجنوبية لمصر ، والإغارة على البعثات العديدة للمصريين فيما وراء الشلال الأول عند أسوان . ويكاد يتفق الرأى على أن غارات أهل النوبة السفلى على حدود مصر فى عصورها المختلفة وبخاصة تلك المرحلة من التاريخ القديم ، إنما مردها إلى طبيعة البلاد الجغرافية ، التى أصيبت بالجفاف فقلت مواردها ، مما دفع أهلها إلى تكرار مهاجمة الحدود المصرية .

ومما يدل على أهمية تلك المناطق من بلاد السودان القديم ، بعد أن أصبحت

---

(١) الوحدة الأولى كانت عاصمتها مدينة هليوبوليس (عين شمس ، من ضواحى القاهرة) وتزعمها الإله الملك حورس ، أشارت إليها المصادر الدينية كثيرا . ويعتبر العلماء أنها قامت فى عصر ما قبل الأسرات — أى عصر ما قبل ظهور الوثائق المكتوبة .

موطنا للعديد من الهجرات ، أن اهتمام المصريين بالجنوب ازداد منذ أواخر الأسرة الخامسة المصرية ، فأخذوا فى تنظيم علاقاتهم بجيرانهم فيما وراء الشلال الأول ، وهنالك ظهر منصب جديد هام أطلق على صاحبه « حاكم الجنوب » ، وكانت مهمته سياسية واقتصادية ، فهو المسئول عن حراسة الباب الجنوبى لمصر ، والقضاء على الاضطرابات العديدة التى غالبا ما سببتها هجرات غريبة عن المنطقة ، وكان يقوم بتنظيم التبادل التجارى بين حاصلات السودان وحاصلات مصر ، ثم كان عليه أن يمهد وسائل المواصلات لبعثات التجارة والتعدين المصرية فيما وراء الشلال الأول ، وكان يشترط فى شاغل ذلك المنصب عدا الخبرة بشئون التجارة والبدل أن يتقن لغات ولهجات القبائل المقيمة فى النوبة ، ليسهل التعامل معها ، وربما كان ذلك أوضح مثال للدبلوماسية فى العالم القديم ، وهى لا تتم إلا بين طرفين وصلا إلى درجة لا بأس بها من الحضارة . وقد سميت أسوان بهذا الاسم ومعناه بالمصرية « السوق » إشارة إلى مهمة المدينة الفعلية حيث أقام حكام الجنوب وخلفوا عددا من المقابر الصخرية ، ومن أمثلة حكام الجنوب أيام الأسرة السادسة (٢٤٢٠—٢٢٥٨ق م)«خوف حور»و«أونى»وقد سجل الأخير تاريخ حياته على صفحات قبره بموطنه أبيدوس(١) حيث نقل هذا النقش الهام من هناك إلى المتحف المصرى بالقاهرة ، وخدم أونى زمن الملوك تيتى وببى الأول ومرنرع من الأسرة السادسة .

ولا جدال فى أن إنشاء منصب«حاكم الجنوب» تطور واضح فى سبيل تنظيم علاقة مصر بجيرانها فى الجنوب ، وتهذيب للعلاقات الدبلوماسية بين الدول ، وبداية وضع الأسس للدبلوماسية المصرية التى اتضح دورها بعد قيام الدولة الوسطى والحديثة ، عندما أصبحت التقاليد الدبلوماسية راسخة . وبديهى أن ذلك يدل على تطور حضارى بالنسبة للمجموعات الحضارية السودانية من حيث استقرارها ، وازدهار حضارتها مما استلزم تنظيم علاقات مصر مع أصحابها . وذكر حاكم الجنوب أونى ضمن ماذكر أنه استعان بجنود من جهات النوبة المختلفة مثل ارثت ، البجا ، إيام ، واوات ، وكاعو، وذلك عند قيامه بتجهيز جيش للتصدى لغارات البدو الآسيويين . كما كلف

(١) Kurt Sethe, Urkunden des Alten Reiches I, 98 – 110.

أونى من لدن مليكه بإحضار تابوت حجرى كامل وقمة هرمية ليتوج بها هرم الملك فى سقارة ، من منطقة محاجر تدعى إبهيت بالنوبة ، ويفخر أونى بوصوله إلى تلك البقاع ، التى لم تصلها بعثات مصرية من قبل على حد تعبيره . وفى مهمة أخرى أرسل أونى إلى واوات لإحضار خشب السنط اللازم لبناء سبع مراكب ملكية ويوضح أونى كيف أن رؤساء إقليمى إرثت والبجا قاموا بإمداده بالخشب اللازم ، وأنه استطاع أن ينجز تلك المهمة ، فأنزل المراكب إلى النيل بعد أن حملها بكثير من حجر الجرانيت اللازم لبناء الهرم الملكى فى سقارة .

حضارة المجموعة الثالثة

انتهت دورة من دورات التطور وقامت الثورة الشعبية العارمة ، وسقطت على أثرها أعتى وأقوى العروش حينذاك ، ونعنى بها الدولة القديمة فى مصر وانقطعت الصلات التجارية المنتظمة بين السودان ومصر ، وتذكر المصادر الأدبية التى تردد صداها بعدئذ أن جنود الجنوب الذين كانوا ضمن حرس فرعون ساهموا فى إذكاء نار الثورة . ويحدثنا أمير إقليم أدفو أيام عصر المحنة الأولى فى مصر بعد سقوط الدولة القديمة (على جدران قبره فى المعلة قرب إدفو) عن إرسال الغلال والمؤن إلى إقليم واوات بسبب انتشار المجاعة هناك ، للمساهمة فى حل الأزمة ، وفى ذلك إشارة إلى استمرار وجود الصلة بين مصر وبين البلاد الواقعة إلى الجنوب منها فى ذلك الوقت(١) .

كما ظهر الجنود السودانيون ضمن فرق أمراء الأقاليم أيام ازدهار الإقطاع بعد سقوط الدولة القديمة ، فكان لهم دور فعال فى الصراع الذى احتدم بين الأقاليم بعضها البعض ، حيث كون منهم الأمراء فيالق كاملة وحاولوا الاستفادة من شهرتهم فى استعمال القوس والسهم فى الإغارة . فعلى سبيل المثال هذا أمير إقليم أسيوط يحتفظ فى جيشه بفيلق نوبى ، وقبل أن يغادر الأمير هذا العالم كان قد أمر بصناعة نموذج خشبى لذلك الفليق ، مع نموذج آخر لفليق مصرى مسلح بالحراب والدروع ، لكى يوضع معه فى القبر

(١) Vercoutter, Kush V, Upper Egyptian Settlers in Middle Kingdom Nubia, p. 69; Vandier. Mo alla, Le Caire, 1950 p. 220 ff.

ورافقه فى رحلة الخلود . ويحتفظ المتحف المصرى بالقاهرة بهذه المجموعة التى تجسد فكرة اهتمام القوم وتقدير هؤلاء الأمراء للجنود السودانيين .

وفى تلك المرحلة الزمنية التى نسميها بالعصر الوسيط الأول (٢٢٥٠ — ٢٠٤٠ ق . م) نلمح ظهور شعب جديد فى منطقة النوبة السفلى ، سميناه المجموعة الثالثة ، وكانت أقصى حدود تلك المجموعة فى الشمال قرية « كبانية الشمالية » Kubanieh وموقعها إلى الشمال من كوم أمبو[1] وحدودها الجنوبية موقع عكاشة[2] . وكانت الحرفة الرئيسية لأهل تلك الحضارة هى رعى الأبقار وغيرها من الحيوان ، وتتميز حضارتهم بأنواع خاصة من الصناعات اليدوية وأهمها الفخار ، إذ ينسب إليهم نوع معين من القدور السوداء ذات الخطوط البيضاء المتقاطعة[3] ، وتلك الدمى الصغيرة من الطين التى تمثل الانسان والحيوان ، وهى التى لانجد مثيلا لها عند أصحاب حضارة كرمه التى سيرد ذكرها فيما بعد ، كذلك انتشرت بين أصحاب تلك المجموعة عادة التحلى بأقراط مصنوعة من الصدف كما صنعوا منه زينة للشعر ، بالإضافة إلى استعمالهم لخرز الزينة . ويلاحظ أيضاً عدم وجود فوارق كبيرة بين حجم المقابر الخاصة بأصحاب تلك الحضارة ، وكذلك فيما يختص بشكلها المستدير ، فلقد اتخذت مقابرهم شكلا مستديرا جعلها تبدو متشابهة فى المنظر[4] ، كما عثر على مقابر خاصة لبعض الحيوانات كالكلاب أو الكباش مدفونة بعناية فى مقابر خاصة أو مع أصحابها فى مقابرهم ، ولا شك أن ذلك يمثل نوعا من التقديس لهذه الحيوانات .

حضارة كرمه

وإلى الجنوب من منطقة انتشار حضارة المجموعة الثالثة ظهرت المجموعة الحضارية التى أطلق عليها إسم حضارة كرمه نسبة إلى مركزها الرئيسى الذى

(١) Junker. Kubanieh Nord. pp. 35 ff.

(٢) Posener. Pour une Location du pays Koush au Moyen Empire, Kush VI, pp. 40, 63;

وفيما يتعلق بتصحيح أقصى حدود المجموعة الثالثة فى الجنوب ، يرجع الفضل للأستاذ محمد نجم الدين شريف .

(٣) انظر اللوحة رقم ١ .

(٤) أنظر الشكل رقم ١ .

يقع عند كرمه الحالية بالقرب من الشلال الثالث، حيث عثر حديثاً على مخلفات هذه الحضارة .

وهذه الحضارة الهامة مثلها كمثل حضارة المجموعات الأولى والثانية والثالثة لم تترك آثاراً مكتوبة لعدم استعمال أهلها للكتابة ، ولذلك تنصب كل مجهوداتنا على الحفائر وما نكشفه من مخلفات ، ولقد انتشرت تلك الحضارة على ما يبدو فى منطقة « دنقله العرضى » حتى جزيرة « صاى » و « عماره » فى الشمال ، وهى منطقة يتسع فيها الوادى نسبياً وتكثر الخيرات الزراعية . وتميزت حضارة كرمه بنوع من الفخار الأحمر المصقول ذى الحافة السوداء ، وبنوع فريد من الخناجر بالإضافة إلى صناعات جلدية مميزة كالأحزمة ، وصناعات خشبية مطعمة بالمايكا أو العاج ، فى شكل صور للحيوانات والطيور ، كما استعملوا نوعا من مساند الرأس يتميز عن الأنواع المصرية بأن قاعدته طويلة نسبياً ، بعكس مساند الرأس المصرية ذات القاعدة القصيرة ، نظراً لأنها كانت تستعمل داخل توابيت الدفن ، التى لا يسمح اتساع عرضها بقواعد طويلة لمساند الرأس ، إلا أن الأهم من ذلك هو الفارق الكبير بين شكل وحجم المقابر وطريقة الدفن نفسها ، ولكى نوضح المقصود يكفى أن نبين أن القبر فى كرمه(١) — الذى اتخذ شكل الكوم المستدير المنخفض — قد شغل أحيانا مساحة كبيرة جداً ، ففى إحدى المقابر الهامة التى يحتمل أنها تخص أحد الأمراء ، بلغ قطر الكوم المستدير حوالى ٩٠ متراً ، ولم يتعد ارتفاعه نحو ثلاثة أمتار فقط ، وفى داخل الكوم المستدير وبخاصة فى المقابر الكبيرة أقيم حائطان من الطوب النى بمحازاة القطر يكونان ما يشبه الممر ، يتفرع منهما بزاوية قائمة حوائط تصل إلى محيط المقبرة ، الغرض منها المحافظة على شكل المقبرة الخارجى ، ويجمعها حائط دائرى منخفض ، ويغطى القبر بعد ذلك بالرمال ، ويوضع على قمته لوح غير مكتوب ، ويحدد من الخارج بدائرة من الأحجار الصغيرة السوداء . وفى منتصف الكوم من الداخل بنيت حجرة رئيسية ، كانت تحتوى أحيانا على حفرة يتم فيها دفن صاحب القبر بلا تحنيط ، بوضعه على سرير من الخشب (عنقريب) وكانت هذه الحجرة فى المقابر الكبيرة ذات قبة من الطوب النى . وفى داخل منطقة

(١) أنظر الشكل رقم ٢ .

الدفن فى كرمه عثر على مقاصير مبنية من الطوب أيضاً وتحمل صوراً مرسومة كانت بمثابة أماكن لإقامة الطقوس الخاصة بجميع مقابر الجبانة(١).

أما المقابر الصغيرة نسبيا فخير ما يمثلها تلك المقبرة التى عثر فيها على الخنجر(٢) رقم ١٢٢٨ بمتحف الخرطوم حيث دفن الميت على سرير على جانبه الأيمن والرأس إلى الشرق واليد اليمنى أسفل الرأس . أما الخنجر فقد وجد ملقى بين الساقين مما يرجح أنه كان فى الأصل متصلا بحزام الوسط، وبالإضافة إلى الخنجر وضعت بعض القدور من الفخار، ومروحة من ريش النعام ، وبعض حبات الخرز ثم زوجان من القرون ، يتكون كل زوج من قرنى الحيوان المتصلين بعظام الجبهة ، وعادة ما كانت تلون بالجير ثم يرسم فوقها بعض الزخارف البسيطة ولعلها عملت لغرض دينى ، ومع الميت دفن شخصان بعد أن ضحى بهما ومعهما كبشان .

أما الخنجر فكان من البرونز (النحاس والقصدير) فقد صنع بطريقة الضرب على المعدن الساخن ، وله مقبض من العاج يثبت بالسلاح بواسطة أربعة مسامير تدخل فى ثقوب السلاح والمقبض معا .

انتشرت بين أصحاب حضارة كرمه عادة التحلى بالأقراط المستديرة الأسطوانية الشكل، وظهرت بين أصحاب تلك الحضارة عادة التضحية بالأتباع والخدم والحيوانات الأليفة بدفنهم دفعة واحدة مع صاحب المقبرة . فى المقابر الكبيرة بلغ عدد الأشخاص الذين دفنوا مع سيدهم عنوة ما بين ٢٠٠ إلى ٣٠٠ شخصا من الرجال والنساء والأطفال ، أما المقابر الأصغر شأنا فيتفاوت عدد ضحاياها ما بين ١ إلى ١٢ شخصا ، كانوا يتركون فى أرضية غرفة الدفن الرئيسية ، وفى الدهليز الكبير داخل المقبرة فى غير ما نظام . وجدير بالذكر أن بعض مقابر ملوك الأسرة الأولى فى أبيدوس وسقارة فى مصر ربما اشتملت على دفنات من هذا النوع(٣) . ويلاحظ أن عادة

---

(١) Reisner. M F A.B. I3. p. 72; Vercoutter, Excavations at Sai 1955—7, pp. 144—169 and pl. XLI in Kush VI.

(٢) Vercoutter, A Daggar from Kerma, Kush VIII. p. 265

(٣) Emery, Archaic Egypt p. 66.

التضحية بالأتباع ودفنهم مع صاحب المقبرة ، ظهرت مرة أخرى فى منطقة النوبة بعد سقوط مملكة مروى لدى أصحاب حضارة المجموعة المجهولة X—Group ، حيث عثر فى مقابرهم الضخمة فى بلانة وقسطل إلى الشمال من وادى حلفا على عديد من الضحايا الآدمية والحيوانية ، دفنوا بنفس الطريقة التى مارسها أصحاب حضارة كرمة حول الشلال الثالث وحاول بعض رجال الآثار أن يدعى بأن أواخر ملوك مروى مارسوا أيضا نفس عادة التضحية بالأتباع ، إلا أن الدليل على ذلك ضعيف جدا ، وكل مايمكن قوله فى هذا السبيل هو أن بعض ملوك أسرة نبتة قد مارسوا ذلك التقليد بالنسبة للتضحية بالحيوان ، والخيل على وجه الخصوص . فقد عثر على مقابر خاصة بالخيول فى الكرو بالقرب من أهرامات أصحابها من الملوك بالإضافة إلى مقبرتين تضم كل واحدة منهما أحد الكلاب ، كما سيرد ذكره فيما بعد .

ويبدو من طريقة الدفن . ومما عثر عليه هناك من صناعات يدوية متقدمة أن حضارة كرمه امتازت عن حضارة المجموعة الثالثة فى الشمال بنظام مركزى قوى ونظام داخلى متقدم ، فكان يتزعم أهلها أمير من تحته جهاز إدارى ، ولولا عدم وجود وثائق مكتوبة لعدم استعمال أهل كرمه للكتابة ، لأمكن تحديد أسماء وأنساب أولئك الحكام أصحاب تلك المقابر الضخمة فى كرمه ، ولامكن معرفة الكثير عن طريقة تفكيرهم ومستوى حضارة قومهم .

ومما هو جدير بالذكر أن المرجع الأول لحضارة كرمه تمثل لفترة طويلة فى نتائج حفائر Reisner فى كرمه . وفيما بين عامى ١٩٥٥ ، ١٩٥٧ كشف فركوتى فى صاى إلى الشمال من كرمه عن جبانة كبيرة من جبانات حضارة كرمه . ولاحظ أن عدد الضحايا الآدمية لدى أهلها قليل إذا ماقورن بأصحاب سهل كرمه ، ومع أن تقارير ريزنر أمدتنا بالكثير من المعلومات عن حضارة كرمه ، إلا أنها تحتاج إلى مزيد من الدراسة وإعادة التقييم ، فهناك احتمال كبير أن أصحاب تلك الحضارة هم الأصل فى قيام الحضارات

المستقلة فى شمال السودان فى الفترة الواقعة بين سقوط الدولة الوسطى وقيام الدولة الحديثة فى مصر . أى أنه ليس بمستبعد أن أهل سهل كرمه والمنطقة المحيطة به هم أصحاب دولة كوش ، التى عاصرت الهكسوس الآسيويين فى شمال مصر والتى حاول أبوفيس ملك الهكسوس(١) أن يعقد معها حلفا يساعده على إخضاع أهل طيبة . (وهم أصحاب الأسرة السابعة عشر المصرية كما سيرد ذكره فيما بعد) وينتمى إلى تلك الحضارة مبنيان من الطين فى الدفوفه، كان أحدهما يمثل قصر أمير كرمه . وكان القصر عبارة عن مبنى ضخم من الطوب التى. وقد أخطأ ريزنر فى تقييم هذين المبنيين بعدما قام بالكشف عن القصر الملكى لأفراد حضارة كرمه ، أو ملوك كوش كما ينبغى لنا أن نسميهم . وثبت أن كل ما بناه ريزنر من نظريات نتيجة حفائره فى كرمه عام ١٩١٧ ، من أن هذا المكان كان مستعمرة مصرية إسمها قلعة إمنمحات « Inebu Amenembat » وأن حاكمها هو أمير إقليم أسيوط المدعى « حب جفا » Hepzefa بعيد عن الحقيقة .

هذا وقد عاشت كلا الحضارتين بجانب بعضهما البعض حتى دخول الهكسوس وغزوهم لمصر حوالى عام ١٧٣٠ ق . م .

أما الآراء حول أصل أصحاب حضارتى كل من المجموعة الثالثة وكرمة فقد تضاربت : ويفرق ريزنر بين أصحاب كل من الحضارتين ، فيعتبر أن أصحاب المجموعة الثالثة يمثلون شعبا بدويا ، ربما يمت بصلة قرابة لليبيين الجنوبيين (الطمياح) ، أما أهل حضارة كرمه فيعتبرهم مجموعة بشرية استوطنت البلاد منذ أيام الدولة القديمة ، وربما قبل ذلك(٢) . ويضيف أن كليهما لم يدخل عليه إلا مسحة قليلة من العنصر الزنجى .

أما شتايندورف(٣) فيعتبر أصحاب حضارة كرمه ضمن طائفة شعوب شمال إفريقيا مثلهم فى ذلك مثل الليبيين، أما رأيه بالنسبة للمجموعة الثالثة فيتلخص فى أن أصحابها وفدوا من منطقة منابع النيل الأزرق وعطبره أو من منطقة كردفان.

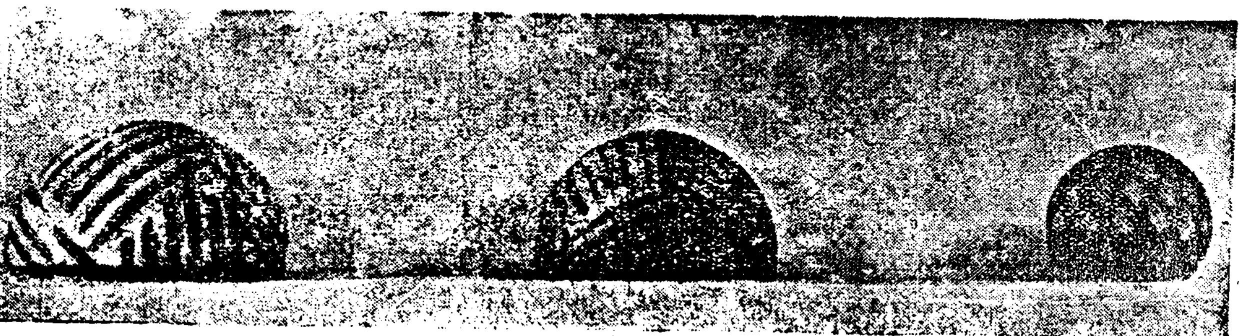
---

(١) وهو الشعب الآسيوى الذى غزا مصر فى أواخر زمن الدولة الوسطى ومكث بها حتى قيام الدولة الحديثة .

(٢) Reisner Kerma V, p. 555 ff.

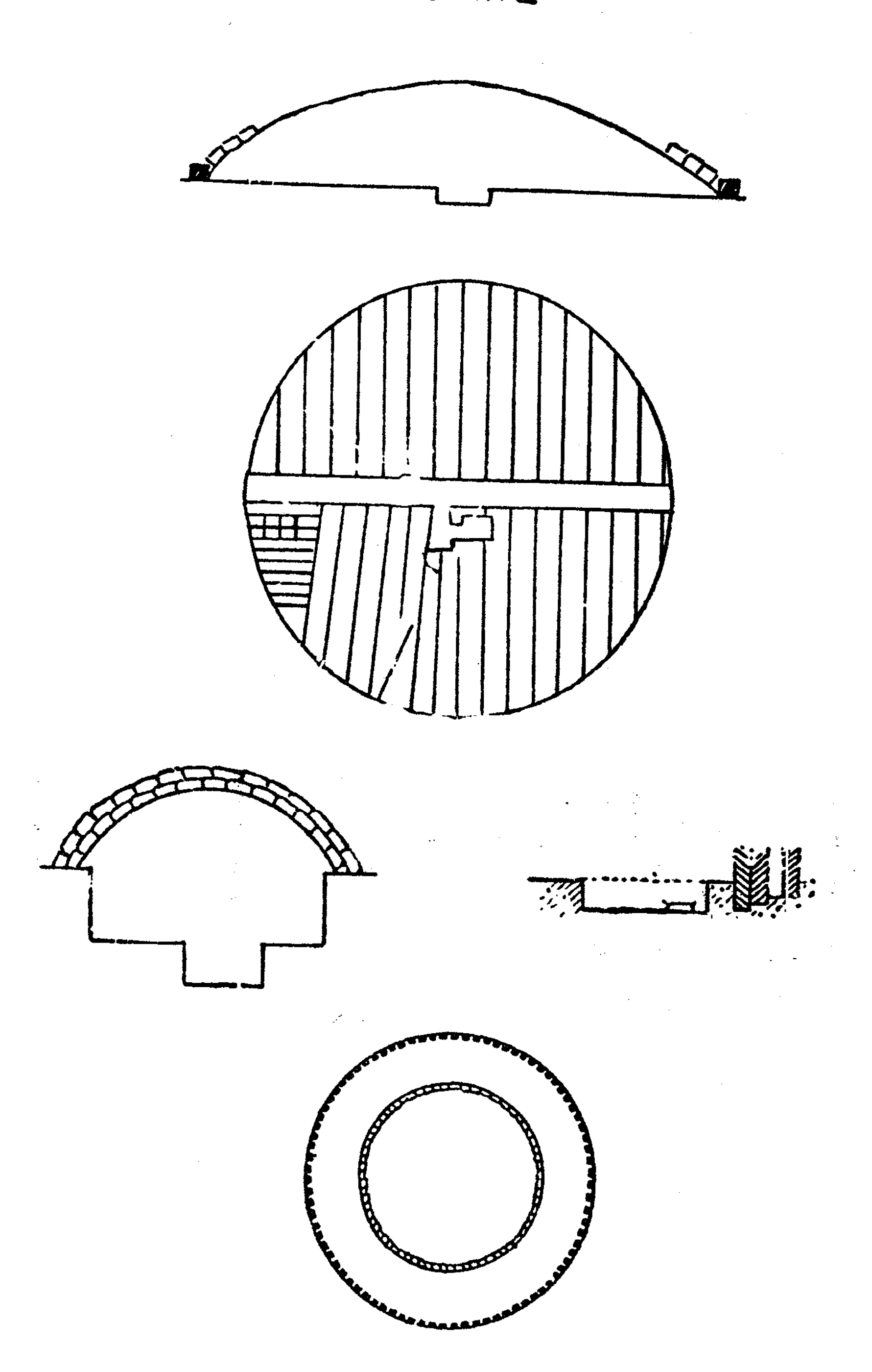
(٣) Steindorff. Aniba. p. 13



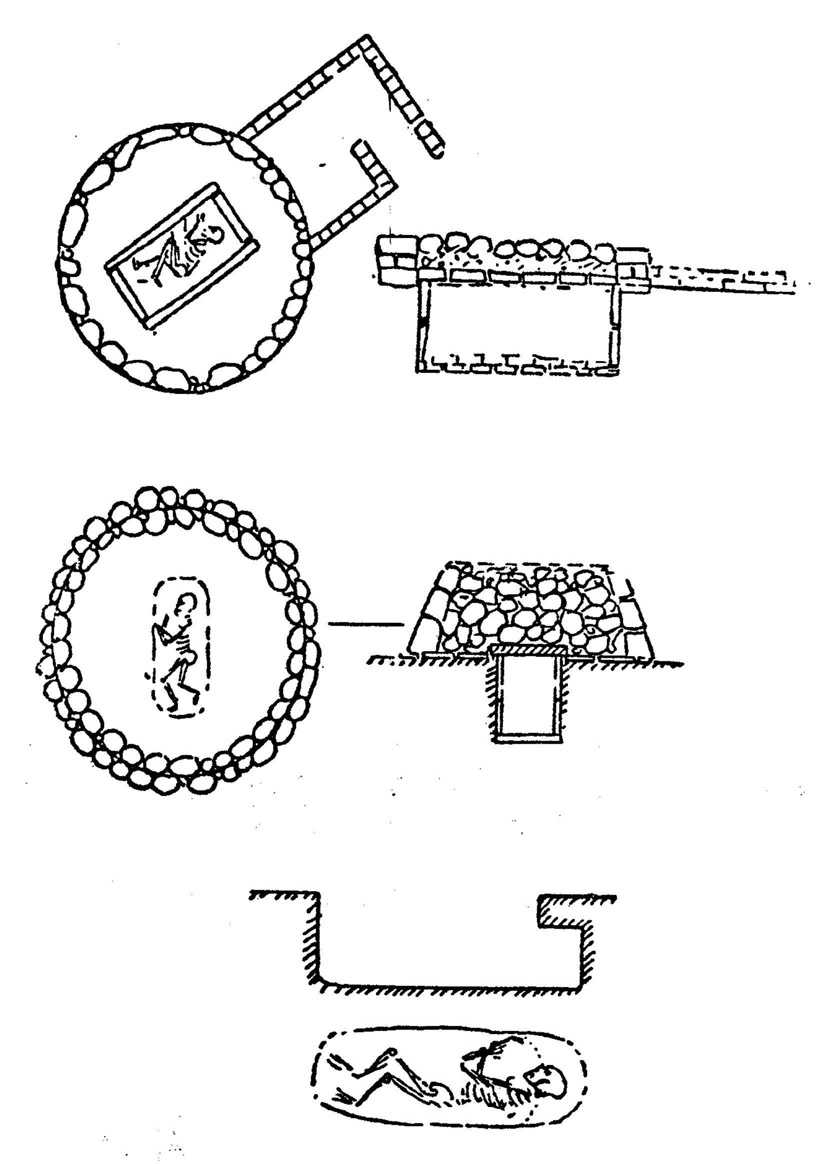


لوحة رقم ١ — فخار المجموعة الثالثة (حفائر جامعة القاهرة)

Kerma



شكل رقم ٢ — حضارة كرمه — شكل المقبرة



شكل رقم ١ — حضارة المجموعة الثالثة — شكل القبر وطريقة الدفن

ويعتبر يونكر[١] أن كليهما من العنصر الحامى اختلط بهما الزنوج إلى حد ما ويؤكد يونكر أنهما قبيلتان لشعب واحد .

ويقول آركل[٢] إن أصحاب المجموعة الثالثة ليبيين جنوبيين . وفى رأيى إن الدراسة المستفيضة لمخلفات الحضارتين[٣] توضح الصلة الحضارية بينهما وبخاصة فى طريقة الدفن على سرير ، وعادة التضحية بدفن الحيوان مع صاحبه ، وربما أيضا فى شكل القبر المستدير يضاف إلى ذلك بعض الصناعات المتشابهة[٤] أما ما يظهر من إختلاف كبير فى حجم المقابر وفى دفنات الأتباع التى تمتاز بها حضارة كرمه، فربما كان مرده إلى ذلك النظام الاجتماعى المركزى الذى تمتعت به حضارة كرمه ، بعكس حضارة المجموعة الثالثة . وليس بغريب أن أقصى الحدود التى بلغها المصريون. أيام الدولة الوسطى تنتهى عند الحدود التى تفصل جغرافيا بين هاتين الحضارتين ، أى عند الشلال الثانى .

اخضاع أصحاب حضارة المجموعة الثالثة

ولقد اضطرت الإغارات المتتالية على حدود مصر الجنوبية ملوك الأسرة الحادية عشر (٢١٣٤—١٩٩١ ق م) إلى إرسال الحملات الحربية لتأمين الحدود وإخضاع أصحاب حضارة المجموعة الثالثة بالنوبة ، وليس معنى ذلك نهاية لعصر حضارة المجموعة الثالثة كلية ، لأن مظاهرها استمرت فى التواجد لفترة طويلة . وربما كان فى تسجيل أسماء بعض الملوك المصريين فى مناطق النوبة السفلى مثل « جرف حسين ، توماس ، وإبريم ، توشكى وأبو سمبل » وغيرها ما يشير إلى وصول حملات الأسرة الحادية عشر إلى تلك البقاع أثناء قيامها بمطاردة المغيرين ، وتأمين سبل التجارة بين مصر وبين شمال السودان

(١) Junker. Kubanieh Nord p. IV,V.

(٢) Arkell. History p. 46 ff.

(٣) أنظر: M. Bakr, The Relationship between the C-Group, Kerma. Napatan and Meroitic Cultures, Kush XIII, (1965), pp. 261—264.

(٤) Steindorff Aniba I. p. 16.

وهناك نقش من دهميت جنوبي أسوان لأحد رجال الملك منتوحتب الثاني عاهل الأسرة الحادية عشرة ، وموحد مصر عام ٢٠٤٠ ق.م بعد فوضى الإنقسام خلال الفترة المسماة بالعصر الوسيط الأول(٢٢٦٣ - ٢٠٤٠ق.م) ، وصاحب النقش(١) يتحدث عن قيامه بجمع جنود لجيش مصر من أبناء النوبة ليساهموا في الحرب ضد الآسيويين . من ذلك نرى مدى تقدم العلاقات التي أمكن إعادتها في بداية الدولة الوسطى (١٩٩١ — ١٧٧٨ ق . م) . ولا يفوتنا الإشارة إلى ملامح منتوحتب الثاني عاهل الأسرة الحادية عشرة ، ولون بشرته التي تميل إلى السواد . وفي النبؤة التي أطلقها الملك أمنمحات الأول عاهل الأسرة الثانية عشر تمهيداً لتولية عرش مصر ومحاولة إعطاء حكمه الصبغة الشرعية(٢) ، لأنه كان مغتصبا لعرشه ، ما قد يشير إلى أن أم أمنمحات الأول من منطقة النوبة .

والراجح أن فتح النوبة أيام الدولة الوسطى بدأ زمن الملك أمنمحات الأول، بعد أن استقرت له أمور الملك والسياسة ، فالنقوش الصخرية عند وادي جرجاوي بالقرب من كورسكو(٣) المؤرخة بالعام التاسع والعشرين من حكمه تشير إلى إرسال حملة إلى واوات . يضاف إلى ذلك ما قرره أمنمحات بنفسه في تعاليمه لولي عهده سنوسرت الأول ، من أنه أخضع أهل واوات والمجا ويقصد البجا . ولعل في تسجيل اسم الملك أمنمحات الأول في محاجر الديوريت بأبي سمبل دليلا على نشاط بعثات المحاجر في أواخر أيامه .

وفي زمن الدولة الوسطى انتقلت الحدود الجنوبية لمصر من أسوان عند الشلال الأول إلى إقن مرقسة Mirgissa عن الشلال الثاني حيث أقيمت إحدى القلاع الهامة .

والواقع أن حملات الملك سنوسرت الأول على بلاد النوبة كانت بالنسبة لحضارة المجموعة الثالثة ذات أثر حاسم ، وقد سجل الملك أخبار انتصاراته ووصوله إلى أقصى منطقة وصلت إليها القوات المصرية أيام الدولة الوسطى على لوح أقيم في معبد بوهين ، تحت قيادة قائده المدعو منتوحتب ، وذلك

(١) أنظر أحمد بدوي ، في موكب الشمس الجزء الثاني ص ٢٢٧ وهامش رقم ٣ .

(٢) بردية بطرسبرج (لننجراد) رقم ١١١٦ .

(٣) أنظر أحمد بدوي — المرجع ص ٢٢٩ وما بعدها .

فى العام الثامن عشر من حكم الملك المذكور(١) وقد سجل على هذا اللوح أسماء عشرة أقاليم تقع إلى الجنوب من مصر ، وخضعت كلها للملك ، وأولها اسم كوش ثم شعات Shaat وهى صاى الحالية(٢) وشميك Shemyk = منطقة شلال دال(٣) .

ولعل أقدم نص يذكر فيه اسم كوش بطريقة مؤكدة على الأطلاق هو نص بوهين المذكور والمحفوظ حاليا فى متحف فلورنسا بإيطاليا رقم [2540] 1542 ، والذى يرجع إلى العام ١٨ من حكم الملك سنوسرت الأول ثانى ملك من ملوك الدولة الوسطى المصرية وقد ورد فيه اسم كوش بالنطق « كاس » على رأس قائمة بأسماء المناطق الواقعة إلى الجنوب من مصر ، والتى هزمها الملك فى حملته الحربية وهناك نص آخر من زمن الملك سنوسرت الأول ورد فيه اسم كوش مرتين على أنه « كاس » وذلك فى مقبرة حاكم الجنوب ساربنوت الأول Sarenput المحفورة فى صخور جزيرة الفنتين بأسوان . وورد اسم كوش بهذا النطق أى « كاس » مرة أخرى فيما بعد فى زمن الملكة حتشبسوت بمعبدها بالدير البحرى .

وفى حملة أخرى سجلت أخبارها على جدران مقبرة الأمير « إمنى » حاكم إقليم بنى حسن فى مصر الوسطى ، ومؤرخة بالعام الثالث والأربعين من حكم الملك سنوسرت الأول ، ذكر اسم كوش بالنطق « كاش » ومعنى ذلك أن المقصود بهذه التسميات إنما هى منطقة كوش التى تردد ذكرها كثيراً فيما بعد أيام الدولة أيام الدولة الحديثة بالنطق « كش » وقد يكون من المناسب أن نذكر فى هذا المقام مصدراً آخرا من مصادر الدولة الوسطى ، والتى ورد فيها ذكر اسم بلاد كوش ، والذى يعتبر من أقدم المصادر التى ذكرت اسم كوش ، ونقصد به تلك النصوص السحرية التى تشتمل على قوائم بأسماء البلاد والشعوب والأمراء أو المصريين ممن ، كانوا فى صراع مع ملك مصر . ومنهم شعوب وأسماء وأماكن من جنوب مصر ، وكانت تلك القوائم تكتب مع نصوص سحرية بالحبر على :

---

(١) BAR, 510, : Arkell, History. p 59 f. ؛ ثم أحمد بدوى ، المرجع السابق ص ٢٣٢ وما بعدها .

(٢) Vercoutter, Kush VI, 147/8.

(٣) عن الأستاذ نجم الدين شريف .

(ا) الأوانى الفخارية

(ب) دمى من الصلصال

(ح) تماثيل صغيرة من الألبستر .

وقد كتبت تلك النصوص بالخط الهيراطيقى وهو الشكل المبسط للخط الهيروغليفى (المصور) ، ويحتمل أنها كانت تكسر بعد ذلك فى مهرجان أو احتفال لتبعد سوء الطالع عن مصر ، وعثر على كميات كبيرة جداً من كسورها ، وتعرف فى الكتب العلمية بالإنجليزية Proscription Lists « نصوص الإحتقار والإبعاد أو النفى » ، وبالألمانية Aechtungstexte . ذلك أن تلك الدمى كانت تمثل أسرى الشعوب المجاورة لمصر ، والتى كانت تكثر من الغارة على حدودها ، كما أن الأوانى الفخارية كانت تحمل أسماء تلك الشعوب وأمرائها ، بالأضافة إلى كل ما كان يجلب سوء الحظ للبلاد ، فلعلهم تخيلوا أنهم بواسطة السحر يستطيعون التخلص من شرورهم .

(ا) أما التماثيل الصغيرة (الدمى) من الألبستر فتؤرخ من النصف الأول من الأسرة الثانية عشرة ، ويرد عليها أسماء إحدى عشر أميرا من منطقة النوبة وضمنهم اسم أميرة ، بينما يرد اسم أمير كوش فى المقدمة ، وتذكر أسماء أربعة بلاد مأهولة فى منطقة النوبة هى واوات ، كوش شعات ثم بقس Beqes .

(ب) وتؤرخ الدمى الصلصالية التى عثر عليها فى سقارة من المرحلة الاخيرة لحكم سنوسرت الثالث حتى بداية الأسرة الثالثة عشرة (أى من حوالى ١٨٤٠ إلى حوالى ١٧٨٠ ق.م) ، وعلى الدمى المذكورة أسماء ٢٩ مكانا ، وكذلك أسماء خمس أفراد من منطقة النوبة أولهم اسم أمير كوش .

(ح) وأخيراً فإن الأوانى الفخارية المعروضة فى متحف برلين تعطى أسماء إثنين وعشرين مكانا فى النوبة ، وأسماء خمس أو ست أمراء ، أولهم أمير كوش . ونؤرخ الأوانى بحوالى زمن الملك سنوسرت الثالث (حوالى ١٨٧٨ — ١٨٤٣ ق.م) .

وتشير أحدث الابحاث التى قام بها العالم فركوتى Vercoutter(١) فى بوهين والمنطقة المحيطة بها، إلى احتمال نزوح عدد كبير من المصريين وبخاصة من بين أهالى منطقة طيبة، وقد قام هذا العالم بدراسة مخلفاتهم هناك، وبخاصة اللوحات التذكارية التى تركوها ، واستنتج من دراسة أسماء أصحابها ومن معبوداتهم تواجد عدد غير قليل منهم فى الفترة التى تلت فتوحات الملكين سنوسرت الأول والثالث، ليقيموا داخل القلاع العديدة التى أخذت تنتشر فى البلاد، وتشير جباناتهم بما تحتويه من تقاليد وعادات مصرية صميمة إلى موطنهم الأصلى طيبة . والواقع أن موضوع إستيطان عدد من المصريين فى بلاد النوبة فى بداية أيام الدولة الوسطى مازال يحتاج إلى مصادر تاريخية أو فى وأشمل ، حتى يمكن أن تقال فيه الكلمة الاخيرة ومعظم النصوص التى تتحدث عن حملات حربية مصرية ضد الثائرين من أصحاب المجموعة الثالثة من أهل تلك البلاد لا تشير إلى استيطان الجنود المصريين للبلاد ، فنقوش أمنمحات حاكم إقليم بنى حسن فى مصر الوسطى ، التى تحكى عن حملات حربية ضد الثائرين فى تلك البلاد ، تشير إلى عودة الجنود بعد انتهاء مهمتهم إلى موطنهم الاصلى فى مصر. ورغم قلة المصادر الموثوق بها فى هذا المجال إلا أن عددا من الالواح التى عثر عليها فى بوهين تؤكد استيطان بعض عائلات مصرية لمدد طويلة أيام الدولة الوسطى فى النوبة ، ليس فقط لأنهم يحملون أسماء مصرية بل أيضا لأنهم أحضروا معهم معبوداتهم المصرية ، هذا بالإضافة إلى تقديسهم لمعبودات المنطقة المحلية(٢) .

وبالإضافة إلى الكتابات المذكورة من بوهين هناك أخبار ثلاث حملات أخرى قام بها إمنى حاكم الإقليم السادس من أقاليم مصر العليا (بنى حسن — المنيا) إلى النوبة لحساب فرعون : الحملة الأولى حربية ، والحملتان الثانية

---

(١) Upper Egyptian Settlers in Middle Kingdom, Kush V, p. 61—69.

(٢) BAR I, 519 — 20; Newberry & Griffith, Beni Hassan I, pl. VIII.

والثالثة لاستخراج المعادن وأهمها الذهب(١) وهناك بعض الكتابات على بعض الألواح تشير إلى أن قلعتى بوهين وكوبان (وربما غيرهما من القلاع) قد تم إنشاؤهما فعلا أيام الملك سنوسرت الأول وذلك ضمن السبعة عشر قلعة التى أقامها ملوك الدولة الوسطى فى النوبة السفلى لتأمين الحدود ، وتسهيل سبيل المرور والحماية لبعثات التعدين والتجارة ، ولوحظ أن قلعة كوبان أقيمت عند مدخل وادى العلاقى الموصل إلى مناجم الذهب . وقد أقيم فى كل قلعة معبد صغير من الطوب اللبن الذى استبدل بالحجر فيما بعد فى زمن الدولة الحديثة . وفى منطقة الشلال الثانى أقيمت القلاع متجاورة بحيث يمكن لبعضها مؤازرة البعض الآخر فى حالة الضرورة . ولم يمكث فى القلاع إلا أعداداً قليلة من الجنود ، كانوا يكلفون أيضا بسحب وحماية القوارب أثناء مرورها بين صخور منطقه الجنادل هناك ، هذا بالإضافة إلى عملهم الأساسى وهو حماية الحدود . أما القلاع المقامة فى المنطقة ما بين الشلال الأول ووادى حلفا فكان الغرض منها ضمان السيطرة على أصحاب حضارة المجموعة الثالثة ، خشية إثارة الإضطرابات على حدود مصر الجنوبية . هذا وقد خضعت منطقة حضارة المجموعة الثالثة من الشلال الثانى حتى الشلال الأول من الناحية الإدارية لحاكم أسوان ، الذى أصبح حاكما للنوبة أيضاً ، وكان أول من عين فى هذا المنصب زمن الدولة الوسطى أيام الملك سنوسرت الأول هو الحاكم سارنبوت ، ومقبرته فى أسوان . وقد عثر كويبل Quibell عام ١٨٩٦م فى مقبرة من أواخر الدولة الوسطى ، تقع أسفل معبد الرمسيوم — الذى بناه رمسيس الثانى — على بردية تحمل قائمة بأسماء القلاع السبعه عشرة المذكورة(٢) مثل سمنة وقه ثم أورن آرتى وشلفك Shalfak وتقع غربى النيل فى مواجهة فرص ومرقسه ، وقد كشف عنهم ريزنر ، ونشر دنهام نتائجها مؤخراً(٣) .

---

(١) BAR I, 88, 520, 521.

(٢) Arkell, History p. 62 ff, Budge I, 539 ff.

(٣) Dunham, MFAB 1967 «Second Cataract Forts, Uronarti, Shalfak, Mirgissa, excavated by Reisner and Noel Wheeler».

ثم إقن فى الجانب الغربى للنيل أمام Maynarti ، بوهين — التى كشف عنها إمرى — وعنيبة (ميعم) ، باكى (كوبان) ، بجه Biga وغيرها .

وعند قلعة سمنه أقام الملك سنوسرت الثالث ألواح الحدود ، وفى متحف برلين الشرقية لوح للحدود رقم ١٤٧٥٣ ، يثبت فيه الملك حدود مملكته مع الجنوب وشروط المرور :

«الحدود الجنوبية ثبتت (عملت) فى العام الثامن [من حكم] جلالة ملك الجنوب والشمال سنوسرت (الثالث) المعطى الحياة ».

وبينما أخضعت حضارة المجموعة الثالثة للأثر المباشر للحضارة المصرية فى زمن الدوله الوسطى المصرية ، استمرت حضارة كرمه فى معظم الأحيان فى التطور بلا انقطاع ، واتخذت شكلا سياسيا أكثر تحديداً ، وعرفت باسم دولة كوش .

الفصل الثالث

قيام دولة كوش

إن الوثائق تؤكد أن كوش كلها-قد أصبحت تكون دولة موحدة مستقلة خلال المائة والخمسين عاما الواقعة ما بين سقوط الدولة الوسطى و قيام الدولة الحديثة (١٧٣٠ — ١٥٨٠ ق . م) سميت باسم دولة كوش و كان على رأسها حاكم من أهلها عرف فى المحيط الدولى حينذاك باسم حاكم كوش، يقف على قدم المساواة مع الدولتين اللتين اقتسمتا شمال الوادى ، وهما دولة الهكسوس وتسيطر على كل من الدلتا ومصر الوسطى ، ودوله المصريين ومقرها طيبة والتى سميت فيما بعد بالأسرة السابعة عشرة التى امتدت من أسوان جنوبا حتى « القوصية » فى مصر الوسطى شمالا .

أما بالنسبة لمصر فلقد انتهت حلقة أخرى من حلقات تطورها ، بعد أن سقطت الدولة الوسطى بدخول الهكسوس الآسيويين عام ١٧٣٠ ق.م ولعل استقلال كوش فى تلك الفترة يفسر سبب انتشار العناصر المميزة لحضارة كرمه فى منطقة حضارة المجموعة الثالثة فى آخر مراحلها ، مما يدل على سقوط الحواجز السياسية بين أصحاب المجموعة الثالثة فى منطقة النوبة السفلى وبين أصحاب حضارة كرمه من حول الشلال الثالث ، والتى امتدت إلى مناطق أخرى شمالا وجنوبا ، وذلك بعد أن انضمت الحضارتان تحت لواء أصحاب حضارة كوش .

والوثائق القليلة التى ترجع إلى تلك الفترة من تاريخ كوش وتتحدث عن قيام تلك الدولة فى شمال السودان كلها مصادر مصرية :

١ — أهمها لوح الملك كاموسى ثانى ملوك الأسرة السابعة عشر الطيبية الذين رفعوا راية الثورة على الهكسوس(١) . يضاف إلى ذلك

---

(١) أنظر أحمد بدوى ، فى موكب الشمس ، الجزء الثانى ص ٣٠٤/٣٠٥ ؛
Lacau, Ann. du Serv. 39. p. 254, pl. 37/38

ما يبدو أنه نسخة أخرى للوح الملك كاموسى مكتوبة على اللوح المدرسى المعروف بلوح كارنا فون(١) وفيه ما يؤكد قيام دولة مستقلة فى كوش ، حدودها الشمالية الفنتين عند أسوان ، وعلى اللوح يسجل الملك كاموسى كيف جمع رجال بلاطة ليستشيرهم فى الموقف السياسى ، فيقبلون عليه ممجدين قوته قائلين « إن الفنتين (أسوان) قوية . . . » ومعنى ذلك أن مملكة كوش امتدت شمالا لتصبح أسوان هى الحدود بينها وبين مصر ، ويرد عليهم الملك كاموسى بقوله « وما فائدة قوتى طالما هناك أمير فى أواريس (وهى تانيس عاصمة الهكسوس فى شرق الدلتا) وآخر فى كوش وأنا أجلس هنا بين آسيوى (يقصد ملك الهكسوس) وبين جنوبى (نحسى) (يقصد ملك كوش) ، وكل واحد منهما يمتلك جزءاً من مصر ويقتسمان البلاد معى » .

٢ — ومن حسن الطالع أن يعثر مؤخرا على لوح آخر(٢) عليه نص ربما كان تكملة لذلك النص المدون على اللوح الذى سبق ذكره ، ويشتمل على معلومات تاريخية ذات قيمة عن الدور الذى كان يلعبه « حاكم كوش » فى ذلك الوقت وعن مركزه بين غيره من الحكام الذين تقاسموا الملك فى وادى النيل ، وفى هذا النص يذكر الملك كاموسى كيف أنه استطاع أن يأسر مبعوث ملك الهكسوس وهو فى طريقه جنوبا يسعى إلى حاكم كوش « على طريق الواحة » ، وهو نفس الطريق الذى سلكه الرحالة « خوف — حور » من الدولة القديمة فى إحدى رحلاته ، أما الرسالة التى يحتمل أنها كتبت بالمصرية ، والتى حملها الرسول ، فقد دونت بنصها على اللوح ، وتتمثل فيها صورة من أقدم صور الدبلوماسية التى كانت سائدة بين الممالك حينذاك ، فبعد المقدمة بما فيها من تحية نرى ملك الهكسوس يخاطب « حاكم كوش » بقوله « لماذا لم تحطنى علما عندما أصبحت حاكما » ثم يدخل فى صلب الموضوع طامعا فى كسب « حاكم كوش » إلى جانبه فى صراعه المرتقب مع المصريين فى طيبة « حتى يمكن

---

(١) Gardiner. JEA 3, p. 95 ff. pl. XII, XIII.
(٢) Säve Söderbergh, Kush IV, 54—61.

اقتسام مصر فيما بيننا » كما ورد في الرسالة . ومن وجهة نظر المؤرخ فإن خليفة حاكم كوش المقصود في الرسالة ، قد وقف على الحياد ، هذا إذا لم يكن قد انحاز إلى جانب المصريين ، وذلك ظاهر من اشتراك قوات مساعدة من كوش إلى جانب القوات المصرية في نهاية مرحلة صراعها لطرد الغزاة عن وادي النيل .

٣ — وفي المرتبة الثانية من الأهمية يأتي لوحان عثر عليهما في بوهين :

(ا) الأول في متحف الخرطوم يحمل رقم ١٨ ويخص الموظف « أياح وسر » حيث يذكر أنه كان في خدمة الحاكم الكوشي فيقول : « كنت خادما شجاعا لحاكم كوش ، ولقد غسلت قدمي في مياه كوش (دليلا على الولاء) أثناء مرافقة الحاكم . . . ثم عدت لأسرتي سالما معافيا » ،وفي رأيي إن هذا التعبير (غسل الأقدام) هو الأصل في التقليد الذي ظهر كثيراً أيام الحضارة المروية المتمثل في ظهور رسوم القدمين ومن حولهما النصوص بالخط المروى . ولعلنا من هذا المنطق يمكننا تفسير بعض ما ورد في هذه الكتابات الخاصة برسم الأقدام على الصخور . وقد اتفق على أن هذا اللوح يرجع إلى أيام الحلقة الأخيرة من حلقات الصراع ضد الهكسوس . وفي هذا النص يؤكد الموظف اياح وسر — الذي يعتقد أنه من أصل مصري — إخلاصه لحاكم كوش الوطني ، ولا شك كذلك أن عودة هذا الموظف من رحلته مع حاكم كوش كانت إلى بوهين حيث أقام هذا اللوح .

(ب) أما اللوح الثاني الذي عثر عليه في بوهين فصاحبه الذي يحمل إسم «سبدحور» قد كان في خدمة حاكم كوش المستقل (متحف فيلادلفيا رقم ١٠٩٨٤)(١) ويرجع تاريخ هذا اللوح إلى نفس العصر السابق. ويتباهى سبدحور بأنه « كان قائداً في بوهين ، وأنه قام ببناء معبد للإله حورس هناك ليدخل السرور به على حاكم كوش » ، وقد يظن هنا أن المقصود « بحاكم كوش »

(١) Mac-Iver and Woolley, Buhen, p. 113.

هو « ملك مصر » أيام الدولة الحديثة . إلا أنه ما دام المؤكد ان حاكم كوش » فى اللوح الأول يقصد به فعلا الحاكم المحلى لدولة كوش ، وحيث أن اللوحين ينتميان إلى نفس المجموعة ، فليس هناك ما يمنع من اعتبار المقصود بهذا أيضا « حاكم كوش » المحلى . وكان حاكم كوش يستعين بعدد من المصريين للعمل فى دولته التى امتد سلطانها على كل منطقة سهل كرمه ، ثم شمالا حتى الفنتين عند حدود مصر الجنوبية أيام الدولة القديمة . والظاهر أيضا أن تلك الدولة المستقلة ازدهرت وعاشت أكثر من جيل وكان حكامها يتمتعون بمنزلة رفيعة فى وادى النيل . وعلى الأخص إذا نظرنا إلى مخلفات حضارة كرمه نظرة جديدة على اعتبار أن جزءا كبيرا منها يرجع إلى تلك المرحلة من تاريخ السودان القديم التى قامت فيها دولة كوش المستقلة .

وفى تلك الحالة يمكن اعتبار المقابر الضخمة فى كرمه هى مقابر حكام كوش أما المبانى المعروفة باسم دفوفة فهناك احتمال أن تكون مقرا لهؤلاء الحكام(١) .

ومن المؤسف حقا أن آثار السودان فى تلك الفترة (١٧٣٠ — ١٥٨٠ ق . م) لم تمدنا حتى الآن بمعلومات تاريخية تستحق الذكر ، فلم نعثر لأصحاب تلك الحضارة بعد على آثار مكتوبة وإنما جل اعتمادنا على المصادر المصرية القليلة التى تحدثنا باختصار عن تلك الحضارة ، ثم على نتائج علم الآثار والدراسات المقارنة لمخلفات أهل البلاد . وفى الواقع إن حملة إنقاذ آثار بلاد النوبة تمدنا بمعلومات أوفى وأدق عن تفاصيل تلك المرحلة ، وخصوصا عندما تظهر التقارير الكاملة لأعمال الحفر التى اشتركت فيها البعثات من مختلف الدول .

ولما انتهى الأمر فى مصر بطرد الهكسوس تطلع ملوك مصر إلى تأمين الحدود الجنوبية ، فاتجهوا إلى إعادة إرتياد النوبة وتأمينها ، ويعتقد

---

(١) الزميل مبارك بابكر الريح يعد رسالة علمية فى جامعة برلين عن هذا الموضوع .

البعض[١] أن ذلك قد بدأ فعلا منذ أيام كاموسى آخر ملوك الأسرة السابعة عشرة ، معتمدين على حقيقة تسجيل اسمه بجانب إسم خليفته أحموسى على إحدى الصخور عند « إرمنا شرق » Erminna—East ، وتتضح الأمور التى حدثت فى النوبة فى زمن الملك أحموسى هذا أكثر فأكثر ، والظاهر أنه وصل حتى بوهين ، وسيطر على المنطقة ما بين الشلالين الأول والثانى ، فقد أدت الحفائر التى أجريت تحت معبد الملك أمينوفيس الثانى فى بوهين ، بعد نقله إلى الخرطوم لإنقاذه من الغرق فى بحيرة السد العالى ، إلى الكشف عن عتب لأحد الأبواب يحمل إسم الملك أحموسى ، من بقايا معبد ، كان الملك قد أقامه خارج أسوار القلعة التى شيدها ملوك الدولة الوسطى من قبل ، ومن هنا يعتقد أنه ربما قام أيضا بتوسيع القلعة لكى تضم معبده الجديد . وعلاوة على ذلك عثر على جزئين لتمثال أحموسى فى جزيرة صاى ، وعلى نقش يحمل إسم الملك أحموسى واسم زوجته هناك[٢] .

أما السجل الوافى لأعمال الملك أحموسى الحربية فى جنوب الوادى فقد أمدنا به أحد رجاله المخلصين وهو أمير الأسطول المدعو « أحموسى بن إبانا » وهو مسجل على جدران مقبرته بمدينة الكاب[٣] . فيذكر أنه أبحر جنوبا مع الملك إلى مكان يدعى « خنت — حن — نوفر » ، ولا شك أنه إسم أطلق على مكان ما من بلاد النوبة ، وذكر أيضا أن ساكنى المنطقة هم « اليونويجتيو » وهم « أصحاب الأقواس » وهو اسم عام ، ربما قصد به قبائل البجا أسلاف البشاريين الحاليين . ويستطرد صاحب السجل فيقول إن موقعة كبيرة دارت بينه وبينهم ، مما يدل على ضخامة القوات التى حاربها القائد أحموسى . ورغم انتصار أحموسى فى هذه المعركة فإن الثورة قامت من جديد تحت

---

(١) Arkell, History, p. 80. ff.

(٢) Vercoutter , New Egyptian texts from the Sudan , Kush IV , 66—82 , ibid , Excavations in Sai 1955—7, Kush VI , 144—169.

(٣) وتقع الكاب بالقرب من أدفو ما بين أسوان والأقصر BAR II, 39.

زعامة أمير محلى يدعى « آآتى » كان يمتلك أسطولا نهريا ، حينئذ خرج إليه الملك أحموسى وتلاقيا عند « تنت — تا » Tint—ta وهو مكان بالقرب من النيل ، ولا نكاد نعرف موقعه على وجه التحديد ، وهناك وقع الأمير أسيراً ومعه كل أفراد عشيرته ولم يستقر الأمر لأحموسى بعد القضاء على تلك الثورة كما كان يتمنى ، وإنما تبع ذلك قيام أمير محلى آخر بالثورة ، وكان ذلك الأمير يحمل اسما مصريا هو « تى — عن » (تى الجميل) ، ولا شك أن حمل الأسماء المصرية من هذ القبيل إنما يرجع إلى تمصر الخاصة من أهل كوش نتيجة للعلاقات المستمرة مع أهل الشمال فى مصر ، وبعد أن جمع « تى — عن » من حوله نفراً من الأتباع الثائرين تصدى له أحموسى « وقتله ثم فرق شمل جماعته » .

وانتهت أيام الملك أحموسى الأول إلا أن سجل أمير الأسطول « أحموسى بن أبانا » يستمر فى ذكر حوليات الملك أمينوفيس الأول — الذى خلف أحموسى الأول — فى الجنوب فيقول : « إن جلالته أبحر جنوبا إلى كوش ليوسع حدود مصر[1] » ومعنى ذلك أن كل ما فعله الملك سنوسرت الثالث أيام الدولة الوسطى فى بلاد النوبة قد ضاع . « وضرب جلالته قائد الجيش الكوشى » ، وفى هذه الإشارة ما يؤكد الاعتراف بوجود جيش لدولة كوش على رأسه قائد محلى ، ويستطرد النص فيقول : « وبعد أن ساق كل قومه أسرى مع قطعانهم عاد الملك مبحراً إلى مصر ، فى رحلة استغرقت يومين » ، ولعل تلك الجملة هى نفسها التى أمر الملك أمينوفيس الأول بتسجيلها على الصخور عند « أورون — أرتى » (جزيرة الملك) ، والتى وقعت فى العام الثامن من حكمه . وفى أقوال أحد أمراء إقليم الكاب المدعى « حورمين »[2] من ذلك العهد ما يشير إلى أن إقليم الكاب قد اتخذ المركز القديم الذى كان لأسوان من قبل ، ذلك أن حاكم الاقليم الثالث من أقاليم الصعيد هذا (الكاب) قد

---

(١) BAR II, 39 ff ; Sethe Urk. IV, p. 75

(٢) Sethe, Urk. IIV p. 77

أصبح مشرفا على أقاليم الجنوب فيما وراء الشلال الأول(١) وقد عثر فى جزيرة صاى على لوحة هامة فى داخل القلعة ، وعليها الألقاب الملكية للملك أمينو فيس الأول كاملة(٢) ، كما عثر هناك أيضا على لوحين صغيرين عليهما اسم الملك وكذلك على تمثال لنفس الملك أيضا(٣) مما يؤكد بما لا يدع مجالا للشك بأن أمينوفيس الأول قد بلغ فى تقدمه جنوبا حتى صاى وأنه بنى وعمر هناك .

وكانت مهمة الملك تحوتمس الأول (١٥٣٠ — ١٥٢٠ ق . م) هى إتمام العمل، والتقدم إلى ماوراء الشلال الرابع عند « كرقس » Kurgus — مابين الشلالين الرابع والخامس — ويحدثنا أمير الأسطول « أحموسى بن إبانا » السالف الذكر أن تحوتمس الأول قد واجه ثورات فى بلاد النوبة ، فركب النيل مصعداً إلى « خنت — حن — نوفر » ، وهو نفس المكان الذى ذهب إليه أحموسى الأول من قبل ، ليقوم « بالقضاء على الثورة فى تلك البلاد ، وليضع حداً لجرأة أهلها » على حد تعبير النص(٤) وقد استطاع الأسطول بشق الأنفس الخروج من منطقة الشلالات إلى سهل كرمة حيث الموطن الأصلى للأمير المحلى ، وهناك قامت معركة كبيرة سقط فيها قائد الجيش الكوشى صريعا ، وسيقت جماعته أسرى . وعن هذه المعركة يحدثنا أيضا أحد رجال الملك ويدعى « أحموسى الكابى » على جدران قبره بموطنه الأصلى بمدينة الكاب ، ويؤكد ذلك أثر الملك أحموسى الأول عند « تنقور » Tangur فى منطقة بطن الحجر(٥) ، وكان المعتقد حتى وقت قريب أن الملك تحوتمس الأول لم يتقدم جنوبا إلى أبعد من « طمبس » Tumbus حيث ترك لوح الحدود المشهور خلف منطقة الشلال الثالث(٦) هنالك يذكر الملك أن أملاكه امتدت من « قرن الارض » فى الجنوب (وربما

(١) أنظر أحمد بدوى ، فى موكب الشمس ، الجزء الثانى ص ٣٨٧ ، ٣٨٨ .
(٢) Vercoutter Kush IV , p. 75
(٣) أنظر نفس المرجع السابق ص ٧٧ — ٧٩ .
(٤) Sethe, Urk. IV, 8, 36.
(٥) Sethe, Urk. IV, S, 82, ff
(٦) Sethe, Urk. IV, S. 82.

يقصد جبل البركل) حتى أطراف المياه المعكوسة (ولعله يقصد نهر الفرات) وقد تردد ذكر تلك الحدود الجنوبية مابين مصر وبلاد كوش فى النصوص التى تركها رجل الدولة المصرى المدعو «إننى» Ineni فى قاعة الكرنك (١)، والذى عاش منذ زمن أمينوفيس الأول حتى أيام الملك تحوتمس الثالث، كما عثر على نص لتحوتمس الثانى على الصخور مابين أسوان وفيلاى يحكى أحداث حملة حربية أرسلت إلى كوش، عندما وصلت أخبار ثورة قامت فيها واستطاعت الحملة أن تقضى على الثورة ، وأخذت أحد أبناء حاكم كوش أسيراً ، وكرهينة إلى فرعون فى طيبة(٢) وفى الحقيقة ، لا نستطيع تحديد المكان المقصود بكلمة « قرن الأرض » التى تكرر ذكرها فى تلك النصوص على باعتبارها تمثل أقصى نقطة جنوبية للتقدم المصرى فى السودان الشمالى أيام الدولة الحديثة .

ولقد كشفت الأبحاث حديثا عن نقش آخر للحدود عند « كرقس » Kurgus إلى الجنوب من أبى حمـــد — عند نهاية الطريق الصحراوى الذى يبدأ عند كرسكو أو كوبان فى النوبة السفلى ، ويختصر المسافة بتجنب المرور فى منطقة الشلالات الثانى والثالث والرابع ، هناك على إحدى الصخور صور الملك تحوتمس الأول على هيئة الأسد أمام المعبود آمون رع . ولا يستبعد أن تكون القلعة القديمة الموجودة بالقرب من النقش السابق ذكره عند « كرقس » Kurgus قد شيدت فى زمن الملك تحوتمس الأول .

وفى «حجر المروة» Hagar-el- Merwa شمالى مدينة بربر عثر على اسم الملكة زوجة تحوتمس الأول مدون على إحدى الصخور ضمن نقوش أخرى يحمل بعضها اسم الملك تحوتمس الأول .

---

(١) BAR II, 101.

(٢) Emery, Egypt in Nubia p. 180—182. ; BAR II, 119, 22; Sethe, Urk. IV, p. 139.

الفصل الرابع

كوش تستعد لدور قيادى فى وادى النيل
(١٥٨٠ — ٧٥٠ ق . م)

أثر الحضارة المصرية

يستطيع من يتتبع أثر الحضارة المصرية وانتشارها فى بلاد كوش أن يرى خطوات من التقارب والاقتباس تبدأ من طبقة الأمراء المحليين ، للأخذ بأسباب تلك الحضارة المتقدمة وفى نهاية العصر الوسيط ظهر لنا أن السدود التى كانت تفصل بين حضارة المجموعة الثالثة وحضارة كرمه بدأت تزول تدريجيا عندما تكونت فى السودان الشمالى حكومة محلية مركزية موحدة . فنجد أصحاب حضارة المجموعة الثالثة فى مرحلتها الأخيرة ينتهجون الأسلوب المصرى فى دفن موتاهم فبعد أن كان المألوف أن يوسد الجسد على جانبه الأيمن بينما الرأس فى اتجاه الشرق ، بحيث يتجه الوجه إلى الشمال(١) نراهم الآن يدفنون موتاهم بحيث يرقد الجسد على جانبه الأيسر والرأس ناحية الشرق على الطريقة المصرية السائدة فى ذلك الوقت (٢).

ومع إعادة الاتصال أيام الدولة الحديثة بدأت تظهر فى شتى أنحاء النوبة وشمال السودان عناصر مصرية عرفت طريقها إلى أهل المنطقة ، ولم يكاد عصر تحوتمس الثالث يبدأ حتى اختفى الشكل المحلى المعروف للمقابر ، فبدلا من الكوم المستدير القديم Tumulus انتشرت المقابر المصرية الشكل والتصميم ، مثل المقابر المحفورة فى الصخر والمقابر ذات الشكل الهرمى كأهرامات « دير المدينة » بطيبة(٣) .

(١) Junker Ermenna p. 15.

(٢) Op. cit. p. 49

(٣) A. Lhote, Les Chefs—d'Oeuvre de la Peinture Egyptienne, Paris 1954, pl. 170.

ودير المدينة عبارة عن جزء من جبانة طيبة ، خصص لإقامة ودفن عمال البناء والفنانين المشتغلين فى إقامة المعابد والمقابر الملكية المصرية فى العاصمة .

وأصبحت المراكز الحضارية مثل عنيبة وبوهين وغيرها تشبه فى مظهرها إلى حد كبير المدائن المصرية ، هـذا مع العلم بأن الميل إلى تقليد العادات المصرية التى أصبحت طابع ذلك العصر قد جعل مهمة الباحث فى مخلفات ذلك العصر غاية فى الصعوبة ، حيث تعذر عليه أن يفرق بين ما هو مصرى وما هو من أصل محلى . فالباحث بين مخلفات حضارة ذلك العصر يعثر فى المقابر على التوابيت والتماثيل الصغيرة التى تعرف باسم المجاوبين ، والتى كان الغرض منها فى عقيدة المصريين أن تقوم مقام صاحب المقبرة للعمل فى حقول أوزيريس ، وبلغ عدد تلك الدمى فى بعض المقابر ٣٦٥ تمثالا صغيراً بعدد أيام السنة المصرية ، أى أنهم خصصوا لـكل يوم من أيام السنة تمثال صغيرا ليقوم بالعمل نيابة عن صاحب المقبرة ، إذا ما طلب الإله أوزيريس منه ذلك ، كما عثر على جعارين وتمائم وأوان مصرية وغيرها ، مما يطول تعداده من عناصر الحضاره المصرية وكان الجعل (أو الجعران) يرمز إلى إله الشمس فى الصباح وهو من أكثر التمائم المصرية شعبية . فطبقا للعقيدة المصرية كانت الشمس تصعد إلى كبد السماء مدفوعة بواسطة جعل كبير غير مرئى كما أصبح رسم الجعل يعنى « الكينونة » أو الدوام فى اللغة المصرية المصورة (الهيروغليفية) .

ولـكى نكون موضوعيين فى نظرتنا للأمور ، ينبغى أن نفرق بين طبقة الحكام من الأمراء المحليين وبين عامة الشعب عند البحث فى مظاهر تغلغل عناصر الحضارة المصرية فى حياة أهل كوش أيام الدولة الحديثة . والواقع أن التمصر كان أكثر وضوحا بين الطبقة الغنية ذات النفوذ . فكانت رسوم مقابر الأمراء وأسماؤهم ذات طابع مصرى ، مما يدل على أن هؤلاء القوم اعتبروا الحضارة المصرية مثلهم الأعلى . ولو نظرنا مثلا إلى مقبرة الأمير « حقانفر » Heka—Nefer أمير مدينة عنيبة أيام « توت عنخ آمون » لوجدناها صورة من المقابر الصخرية المنتشرة فى مصر وعلى الأخص تلك المقابر المنحوتة فى البر الغربى لمدينة طيبة .

ولهذا الأمير أهمية خاصة بالنسبة لدراستنا ، فنحن نعرفه من قبل من خلال رسوم الجزية المصورة في مقبرة «حوى» نائب الملك فى كوش أيام الملك «توت عنخ آمون» ، هنالك صور الأمير «حقانفر» فى مقدمة الأمراء المحليين الذين حضروا لتسليم الجزية السنوية ، وإلى جانب صورته الملونة تلوينا صادقا أضاف الفنان اسم الأمير دون سائر الأمراء المرافقين . وعند فحص مقبرة هذا الأمير فى مدينة عنيبة نلاحظ فوق مدخل المقبرة مباشرة مقصورة صغيرة تحتوى على لوح منحوت فى الصخر ، وأمامه مكان يتسع لوقوف الزائر ، وعلى جانبيها قواعد لوضع التماثيل ، وهى فى مجموعها تشبه التفاصيل المعمارية السائدة فى مقابر «دير المدينة» ، ومن أجل ذلك افترض William K. Simpson وجود هرم صغير من نوع أهرامات «دير المدينة» بطيبة كان مقاما فوق المقبرة ، قبل أن تقضى عليه عوامل التعرية ، أما بالنسبة لتصميم المقبرة من الداخل فهى صورة من مقابر طيبة فى أواخر أيام الأسرة الثامنة عشر ، فبعد المدخل ذى النقوش يوجد ممر ثم قاعة بها مشكاة فقاعة أخرى على امتداد المحور بها أربعة أعمدة مربعة ، وفى أرضيتها فتحة عميقة توصل إلى غرفة الدفن . وقد غطيت جدران القاعة الأولى بالطين ثم طليت بالجص وبعدها رسمت وزينت بالمناظر المألوفة ، وأمكن بصعوبة التعرف على هذه المناظر ويبدو أنها من عمل فنان من طيبة ، من أولئك الفنانين الذين أسهموا فى تجميل معبد عنيبة ، الذى يقع فى نفس المنطقة . وإلى جانب طراز القبر ، فإن ما أمكن العثور عليه بداخله من الآثار ليقوم دليلا آخرا على تغلغل عناصر الحضارة المصرية بين أولئك القوم ، حتى فى أدق خصوصيات الشعوب ، ونقصد بذلك المقابر ، وفى طريقة الدفن . فقد عثر داخل المقبرة مثلا على أربعة تماثيل صغيرة من نوع تماثيل المجاوبين ، بالإضافة إلى بعض أوان من حجر الألبستر وبقايا عقود للزينة .

وبالإضافة إلى مقبرة «حقانفر» هناك مقبرة الأمير «جحوتى حتب» أمير «دبيره» أيام الملكة حتشبسوت[1] ، وتعتبر أيضا صورة طبق الأصل من

---

(١) Wild, Une danse nubienne d'epouque pharaonique, Kush VII , p. 76 .

مقابر مدينة طيبة المصرية ، هذا مع العلم أن أسماء صاحب المقبرة وزوجته كلها مصرية ، في حين أن والديه كانا يحملان أسماء محلية ، ويتضح من ذلك مدى سرعة انتشار مظاهر الحضارة المصرية بين أهل كوش .

ومن أهم المصورات المسجلة لمواكب تقديم منتجات كوش وجزيتها في الدولة الحديثة تلك المناظر المصورة في مقابر « نواب الملك في كوش » والمنحوتة بالبر الغربي بطيبة ، وفيها مصادر علمية وفيرة ، تبين مدى التأثير المستمر لعناصر الحضارة المصرية على أهالي تلك البقاع من أرض كوش . وإذا تجاوزنا عن بعض التفاصيل يمكن القول بأن كل الأمراء المرافقين لموكب الجزية كانوا يرتدون الأزياء المصرية ، كما أن رجال بلاطهم ومرافقيهم كانوا يلبسون الأزياء المصرية أيضا ، إلا أن ماسيق في أعقابهم من أعداء قد احتفظوا بملابسهم الوطنية ، ولم تؤثر فيهم حضارة مصر ، ربما لبعدهم عن مراكز تلك الحضارة ، التي وقفوا منها موقف العداء . كل ذلك يدفعنا إلى الاعتقاد بأن الحضارة المصرية قد وجدت سبيلها إلى كوش على يد أولئك الأمراء وأتباعهم .

وكان للفنانين المصريين دور كبير في نشر الفنون ذات الطابع المصري في ربوع كوش ، فكثيراً ما أوفدوا إلى كوش في مهام رسمية للإسهام في إقامة المنشآت المعمارية العديدة . وتذكر النصوص المسجلة على إحدى اللوحات التي عثر عليها في كوه أن فناني منف يرافقهم أحد المهندسين هم الذين أسهموا في بناء معبد كوه(١) ، كما أسهموا في بناء وتجميل معبد آمون الشهير بجبل البركل(٢) ، ولا شك أن هؤلاء الفنانين المهرة قد ساعدوا على تكوين جيل من الفنانين المحليين الذين أخذوا يشاركون في تطوير الفنون المحلية ، وظهرت نتيجة هذا الاتصال فيما نراه من الآثار الفنية الجميلة التي عثر عليها في المقابر ، كأدوات الزينة والأثاث والملابس والأواني .

وبدراسة مقارنة لمنتجات كوش المصورة على جدران مقابر الدولة الحديثة من قبل ثم من بعد عصر العمارنة(٣) يتضح لنا مدى التقدم الذي أحرزه الفنانون

---

(١) Stele Kawa IV, 22, Kawa I Text, p. 91.

(٢) Reisner, M.F.A.B. XXI, p. 16.

(٣) عصر العمارنة ، نسبة إلى تل بني عمران ، وهو موقع مدينة الملك اخناتون (في المنيا بمصر الوسطى) ، أول من نادى بالتوحيد ، وعصر العمارنة هو عصر تطور في جميع أنواع الفنون المصرية ، كما أنه عصر التحرر والتمرد على القوالب الفنية الجامدة (حوالي القرن الرابع عشر ق . م) .

المحليون ، فبالنسبة لعصر ما قبل العمارنة يمكن مقارنة الصورات والرسوم المسجلة على جدران مقبرة أحد رجال الدولة ويدعى « آمون موسى » على سبيل المثال(١) ومقبرة « رخميرع » ، ويلاحظ أن معظم منتجات كوش كان يتمثل فى المواد الخام وأهمها الذهب ثم العاج والأبنوس ، والبخور وجلود الحيوانات وبيض النعام والماشية والزراف والقردة . أما فترة العمارنة وما بعدها والممثلة على جدران مقبرة « حوى » ومقبرة « قن آمون » فى طيبة خير تمثيل ، فتتبين من خلال رسومها مدى التقدم الذى أحرزته كوش فى مختلف أنواع الفنون والصناعات اليدوية كصناعة الأثاث والعجلات ومراوح ريش النعـــام والأقواس والدروع(٢) .

وبطبيعة الحال أستمر عدد من القوات المصرية مقيما بالبلاد بعد الفتح للإشراف على حفظ الأمن ، كما تطلب الأمر الاستعانة بعدد من رجال الإدارة المدربين من مصر للعمل فى المراكز الحضارية ، حيث شاركوا فى إنشاء جهاز إدارى منظم ، على نمط ما كان موجودًا بمصر فى ذلك العهد ، وكان من نتيجة ذلك أن استقرت بعض العائلات المصرية فى تلك المراكز الحضارية .

وبدأت تلك المحلات الحضارية تغير من طبيعتها مع بداية الدولة الحديثة ، عندما انتقلت الحدود جنوبا إلى ماوراء الشلال الرابع ، هنالك فقدت القلاع القديمة أهميتها ، وبدأت تتخذ شكل المدن الكبيرة فاستخدمت حصونها القديمة لحفظ كنوز معبد المدينة . وإلى جانب تلك المراكز الحضارية القديمة أنشئت مدن جديدة ، كان الغرض منها المساهمة فى ازدهار التجارة لتعمل كأسواق لتبادل منتجات كل من مصر وكوش ، فعلى الجانب الغربى للنيل عند دكه فى مواجهة قلعة كوبان قامت محطة حضارية مأهولة بالسكان أيام الدولة الحديثة ، كما أثبت « فيرث »(٣) عندما أجرى فى تلك المنطقة حفائره ، وتحولت قلعة كوبان إلى مدينة مفتوحة(٤) ولقد عثرت مصلحة

(١) Wreszinski, Atlas I, 285; JEA 26, pl 23 f.

وآمون موسى معناه وليد آمون .

(٢) Davies, The Tomb of Kenamun, pl. 14; Davies, Tell el Amarna II, 38 and III, 15.

(٣) Firth III, 238

(٤) مجلة اليونسكو يناير ١٩٦٥ ص ٧ ، ٨ .

الآثار المصرية على معبد للإله «حورس فى كوبان» يقع تحت طريق الكباش الخاص بمعبد دكه ، وذلك عند فك المعبد الأخير ، وهو نفس المعبد الذى ما أشارت إليه الآثار كثيراً من قبل ، والذى خصصه الملك تحوتمس الثالث لعبادة الإله حورس القائم على الطريق المؤدى إلى مناجم الذهب فى تلك المنطقة وهناك أيضا قام رمسيس الثانى ببناء معبد له .

كما أصبح لعنيبة عدة ضواحى، بعد أن اتخذت شكل المدينة المحصنة. وفى «توشكى» عثرت البعثة الأمريكية (Pennsylvania Yale) على خاتم من الطين لقدر من الفخار من الأسرة الأولى، وفى « فرص » بنيت معابد لكل من الملكة حتشبسوت والملك تحوتمس الثالث والملك توت عنخ آمون من ملوك الأسرة الثامنة عشرة، وعثرت البعثة البولندية على معبد للملك تحوتمس الثالث أسفل الكنيسة التى كشفت عنها فى فرص، وتبين أن هذا المعبد أقيم على أنقاض معبد آخر من الدولة الوسطى. كما تدل النقوش التى عثر عليها فى «تحنوت — سره» على أن تلك البقعة كانت مقراً لأسرة محلية حاكمة وازدهرت مدينة بوهين كذلك واتسع نطاقها. أما منطقة الجنادل حيث القلاع التى أقامها ملوك الدولة الوسطى من قبل، فظهرت فيها مجموعة من المعابد الصغيرة . وفى المنطقة الاستراتيجية الهامة ما بين وادى حلفا وكرمه على الجانب الغربى أقام ملوك الدولة الحديثة عدداً من القرى المحصنة فى « عماره غرب » ، وصاى ، وسدنقه (صانقا) وصلب وسيسى Sesebi ، كان الغرض منها حماية المنطقة من غارات القبائل التى كانت تقطن الصحراء الغربية ، وتهدد بين الحين والحين بقطع طرق المواصلات التجارية أما الموقع «عمارة غرب» فقد أجريت فيه حفائر فى عامى ١٩٣٩، ١٩٤٧، وتبين أنه كان من المراكز الهامة التى أقيمت فى عهد الملك سيتى الأول. أما سيسى Sesebi فقد كشف عن آثارها كل من بلاكمان وفيرمان عام ١٩٣٧ وتبين أنها مدينة أنشأها اخناتون فى هذا الموقع لتكون منطلقا للتبشير بعقيدة التوحيد التى تزعمها(١). كما قام أمينوفيس الثالث بتأسيس مدينة كوه بمعبدها الشهير، وهناك أيضا أقام توت عنخ آمون معبداً . ولعل أول ذكر لمدنية نبته فى التاريخ المصرى كمدينة محصنة تقع فى أقصى الجنوب أن يكون أيام أمينوفيس الثانى[٢] .

(١) Emery, Egypt in Nubia, p. 95

(٢) Urk. IV. 1297, 15.

وحتى الآن تشير أقدم آثار البناء فى كوه إلى أن تحوتمس الرابع كان أول من شيد فى تلك المنطقة ، كما أن اللوحة الكبيرة التى عثر عليها هناك فى الموقع ... ب إنما ترجع إلى زمن تحوتمس الثالث .

وفى عمدا أقيم معبد اشترك فى تشييده كل من تحوتمس الثالث وأمينوفيس الثانى وتحوتمس الرابع(١)، وعند الدر تم بناء معبد آخر .

أما معبد كلابشة فأغلب الظن أنه شيد أيام أمينوفيس الثانى . وفى نفس هذا المكان أقام الإمبراطور الرومانى أغسطس معبداً كبيرا. ولا شك أن سلسلة المعابد الصخرية فى بيت الوالى وجرف حسين ووادى السبوع والدر وأبو سمبل التى أقامها رمسيس الثانى فى منطقة النوبة السفلى إنما تشير إلى المحاولات الجدية لنشر الحضارة المصرية فى ربوع تلك البلاد . إذ قامت تلك المراكز الحضارية التى انتشرت فى بلاد كوش ، بدور الوسيط فى نقل نماذج ملموسة من نتاج الحضارة المصرية المتطورة لتكون فى متناول أهل البلاد .

وفى مقابر أهل تلك المنطقة عثر على كثير من السلع المصرية ، جلبها إليهم التجار المصريون الذين شاركوا بنصيب فى نشر الحضارة .

وقامت المعابد بدور كبير فى نشر العقائد والثقافة المصرية . وكانت المعبودات الطيبية هى أوسع المعبودات انتشارا فى كوش ، حيث أصبحت نبته مثل طيبة ، مقرا رسميا لمعبود الدولة آمون رع ، الذى قدس هناك باعتباره « سيد الوجهين القائم على جبل نبتة المقدس » وبنى له معبد ضخم فى حضن جبل البركل، ولعبت عقيدة حورس دورا كبيرا أيضا ، وانتشرت فى الجزء الشمالى من كوش ، فبين الحين والحين تقابلنا نصوص تذكر الإله « حورس فى كوبان » ،« وحورس فى عنيبه » و« حورس فى أبو سمبل » ثم « حورس فى بوهين » . هذا إلى جانب تقديس الثالوث القديم لمنطقة الشلال الأول وهو خنوم ـ ساتت ـ عنوقيس ، وكان خنوم يصور فى هيئة آدمى له رأس كبش أما ساتت وعنوقيس فصورتا على هيئة النساء . ولكن هذا الثالوث لم يظهر

---

(١) Gauthier, Amada, 191

فى المعابد على أعتبار أنه ضمن الآلهة الرئيسية للبلاد . أما عادة تقديس الملوك فكان لها شأن كبير فى كوش ، وعلى سبيل المثال قدس الملكان سنوسرت الأول وسنوسرت الثانى من ملوك الدولة الوسطى المصرية، وكانت لهما مجهودات كبيرة فى بلاد النوبة . وكذلك الملوك تحوتمس الثالث وأمينوفيس الثالث وتوت عنخ آمون ورمسيس الثانى الذين اعتبروا حراسا للبلاد . وتردد إسم الإله مندوليس كإله محلى لمنطقة النوبة .

وهكذا نتبين أن انتشار العقائد المصرية فى كوش قد مهد كثيرا لانتشار الحضارة المصرية .

والواقع أن سياسة الدولة الحديثة تجاه كوش كانت تهدف إلى التعاون مع أهل البلاد ، حيث سمح للأمراء المحليين أن يستمروا فى حكم مقاطعاتهم ومدنهم ، كما كان يسمح لابنائهم بأن يتربوا فى القصر الملكى مع أولاد الملك، ليألفوا الحضارة المصرية ، وليعدوا إعداداً خاصا ليخلفوا آبائهم فى حكم أقاليمهم . وبعد أن أعيد ضم كوش إلى مصر فى أوائل أيام الدولة الحديثة ، وضع للبلاد نظام إدارى على غرار ما كان موجودا فى مصر ، فأصبحت البلاد بقسميها واوات وكوش تحت إشراف أحد كبار رجال الدولة ، وكان يختار من بين رجال الدولة المصريين ليس لمن الأسرة المالكة ويحمل لقب نائب الملك (ابن الملك) فى البلاد الجنوبية ، ثم أصبح يلقب بنائب الملك فى كوش وحرفيا كان يسمى «ابن الملك فى كوش» تجاوزاً . ويلاحظ أن معظم من حملو هذا اللقب أصلهم من طيبه . وقد تركوا لنا آثاراً عديدة ، وبخاصة فى دائرة عملهم، بعضها عبارة عن نقوش صخرية، وبعضها تماثيل وألواح ،وأحيانا أخرى تركوا مقاصير حجرية كاملة ، كما هو الحال فى قصر إبريم وجبل الشمس(١) . وطبقا للتقاليد المصرية السائدة حينذاك كانت إقامة المقاصير ودور العبادة بأنواعها وكذا إقامة التماثيل فى المعابد وقفا على الملوك وأفراد أسرهم ، ولم يكن لتماثيل الافراد محل فى دنيا المصريين إلا فى سراديب المقابر المغلقة أو فى مزاراتها ، ولم يحدث فى تاريخ مصر القديمة خروج على تلك القاعدة إلا فى حالات نادرة وبأمر من الملك شخصيا ، وفى حدود ضيقة جداً ، كما حدث فعلا بالنسبة للمهندس ورجل الدولة

L. Habachi, Kush VII, The First Two Viceroys of Kush (١) and their Family, pp. 45-62; Porter-Moss VII, p. 92/93, 122.

إيمحتب أيام الملك زوسر مؤسس الأسرة الثالثة ، وإيمحتب هذا هو الرجل الثانى بعد الملك زوسر ومهندسه القدير ، مصمم ومنفذ الهرم المدرج بسقاره ولقد سمح له الملك بإقامة تمثاله داخل مجموعته المعمارية ، وعثر على قاعدة للتمثال تحمل اسم « رئيس الفنانين (النحاتين) ايمحتب » (محفوظ بالمتحف المصرى) . ثم عندما منحت الملكة حتشبسوت وزيرها ومهندسها « سنموت » الاذن بإقامة تمثاله وتصوير نفسه على جدران إحدى مقاصير معبدها بالدير البحرى بطيبه . معنى ذلك أن إقامة مقاصير العبادة بواسطة نائب الملك فى كوش إنما تشير إلى مدى النفوذ المطلق الذى منحه الملك المصرى لشاغل ذلك المنصب . وينبغى أن نقرر أن اسم الملك قد ظل يحتل مكان الصدارة بين نقوش تلك المقاصير دون سائر أسمـــاء المعبودات المصرية التى عودتنا نقوش النوبة ذكرها . كما لم يرد ذكر لأسر أولئك الحـكام بين نقوش تلك المقاصير .

وكان إشراف نائب الملك فى كوش » يشمل المنطقة الواقعة جنوبى مصر التى امتدت من الـكاب شمالا حتى نبتة جنوبا وربما إلى أبعد من ذلك . وتحت أمرته العاملون فى الجهازين العسكرى والادارى ، وعلى رأسهم قائد الجيش وكان يلقب برئيس فرق الرماة ، يليه اثنان من المستشارين ، يختص أحدهم بالجزء الشمالى « واوات » والآخر بالقسم الجنوبى المدعى « كوش » . ويضاف إلى واجباته الإشراف على جميع شئون البلاد ، وتقديم الجزية فى ميقاتها المعلوم ، حيث يقوم « نائب الملك فى كوش » على رأس الوفد المحلى المرافق للجزية ، ويشرف بنفسه على تسليمها لوزير الخزانة فى إحتفال كبير ، يحضره عدد من الأمراء المحليين الذين يفدون فى صحبة « نائب الملك » إلى طيبة ، ومن حسن حظ المهتمين بالدراسات السودانية أن سجلت تلك المهرجانات مرارا على جدران مقابر كبار الوزراء أيام الدولة الحديثة ، باعتبارها من الأحداث الهامة فى حياتهم ، فهى إلى جانب أهميتها بالنسبة لتاريخ مصر ، تحتوى على معين لا ينضب لرسم صورة لأهل كوش ، لا نجدها فى أى مصدر آخر . إلى جانب التأكيد على مظهر الناس وأمرائهم وحاصلات بلادهم .

أما موضوع تكرار ذكر صفه « خس » Khes أى المغلوبه عقب كلمة كوش فى بعض الوثائق المصرية . فالواقع إن هذا الاصطلاح التقليدى

قد أطلق على كثير من البلاد الأخرى التابعة لمصر فى ذلك الحين، بدليل ذكر قبائل الطمياح الليبية منعوتة بهذه الصفة أيضاً(١) .

ومع أن معظم أسماء من تولوا هذا المنصب الخطير مصرية الجرس ، فليس بمستبعد أن يكون بينهم أحد أبناء البلاد المحليين الذى استطاع بمهارته وحسن ولائه أن يتبوأ ذلك المنصب الهام . وسوف نعود للحديث عن ذلك الموضوع فيما بعد .

ومن المستحسن أن نستعرض أسماء من حملوا لقب نائب الملك فى كوش منذ ظهوره ، ولعل أحدث ما كتب عن هذا الموضوع ما ظهر فى مجلة كوش (٢)،وبعد إضافة الإسمين اللذين عثر عليهما حديثاً فى «أرمنا شرق»(٣) وكذلك الإسم Amen em·nekhu الذى عثرت عليه بعثة جامعة هومبولد يمكننا أن نذكر القائمة التالية بأسماء نواب الملك فى كوش :

١ – زمن الملك	كاموسى	نائب الملك	تتى	Teti
٢ – » »	أحموسى	»	جحوتى	Djehuty
٣ – » »	أحموسى	»	ساتييت	Sa – Taiyit
٤ – » »	أمينوفيس الأول			
	وتحوتمس الأول		تورير أوتورو(٤)	Thuwre-(Turu)
٥ – زمن الملك	تحوتمس الأول والثانى		سنى	Seni
٦ – زمن الملكة	حتشبسوت		آمون - إم - نخو	Amen-em-nekhu

(١) L. D. III, Bl. 149, b.

(٢) Habachi, op. cit.; Cerny, Kush VII, 71, 75; Hintze, Kush XIII, pp. 13-16 and plates III, IV, Preliminary Note on the Epigraphic Expedition to Sudanese Nubia 1963, pp. 14/15; Arkell, History, p. 97 f.

(٣) (انتى وجحوتى) Simpson, Toshka-Armenna, 1962

(٤) Hintze, Civilizations of the Old Sudan, 1968, p. 16 and pl. 55 « Turo, the first Viceroy of Nubia, on the Island of Uronarti ».

٧ — زمن الملكة حتشبسوت ، الملك
تحوتمس الثالث نائب الملك نحى Nehi
٨ — زمن الملك أمينوفيس الثانى وسرسانت Weser-satet
٩ — « « تحوتمس الرابع
وأمينوفيس الثالث أمينوفيس Amenophis
١٠ — « الملك أمينوفيس الثالث مرموسى Mer-mose
١١ — « « أمينوفيس الرابع تحوتمس Tuthmosis
١٢ — « « توت عنخ آمون حوى — أمينوفيس
Huy-Amenophis
١٣ — « الملكين آى وحور محب باسر الأول Paser I
١٤ — « الملك سيتى الأول
ورمسيس الثانى أمينوفيس بن باسر الأول
Amenophis
١٥ — « « سيتى الأول
ورمسيس الثانى يونى Yuni
١٦ — « سيتى الأول ورمسيس الثانى - آمون إمؤبة(١) Amenemopet
١٧ — زمن الملك رمسيس الثانى حقانخت Heqanakht
١٨ زمن الملك رمسيس الثانى باسر الثانى Paser II
١٩ — « « « « ستاو(٢) Sethaw
٢٠ — « للملكين مرنبتاح وأمينموسى(؟) مسوى Messuwy
٢١ — « « مرنبتاح سبتاح سيتى Seti

---

(١) لوح من قصر إبريم Porter - Moss VII, p. 94;
ولوح من بوهين Op. cit. p 137.
(٢) متحف الخرطوم رقم 13162

٢٢ —	زمن الملك مرنبتاح ست نخت (؟)	حورى	Hori I
٢٣ —	« « رمسيس الثالث والرابع	حورى الثانى	Hori II
٢٤ —	« « رمسيس السادس	سيسى	Siese
٢٥ —	« « رمسيس السابع والثامن	نحيحو	Nahiho
٢٦ —	« « رمسيس التاسع	ونتوات	Wentawat
٢٧ —		رمسيس نخت	Ramses-nakht
٢٨ —	« « رمسيس الحادى عشر	بانحسى (السودانى)	Pa-nehesi
٢٩ —	« « رمسيس الحادى عشر	حريحور	Herihor
٣٠ —	« « حريحور	نائب الملك بعنخى	Piankhy

دور أمراء كوش

اختار ملوك الدولة الحديثة فى مصر لإدارة كوش نظام الحكم غير المباشر، فظل الأمراء المحليون على رأس إماراتهم. طالما احتفظوا بولائهم لمصر. وقد أشارت النصوص المصرية إلى تلك السياسة منذ أن لجأت مصر إلى ضم تلك البلاد إليها لتأمينها، وتأمين حدودها من غارات قبائل الجنوب، فيذكر أحد سجلات الدولة الحديثة(١) : « إن هذه البلاد قسمت إلى خمسة أقسام، وكان كل أمير مالكاً لقسمه ». وإذا فرضنا أن هذا التقسيم ظل معمولا به بعد ذلك، لأمكن اعتبار كل من جحوتى حتب « باإتيس » أمير دبيره، والأمير « حقا نفر » أمير معم عنيبة » ضمن هؤلاء الأمراء المحليين.

معنى ذلك أن أمراء البلاد المحليين شاركوا فعلا فى إدارة دفة الحكم أيام الدولة الحديثة كل فى منطقته، وفى نفس الوقت كان عليهم تجاه نائب الملك فى كوش واجبات، كان الوفاء بها دليلا على الولاء وشرطا لبقاء أسرة الأمير على رأس الإمارة. فبجانب الحفاظ على الأمن والقضاء على الثائرين كان عليهم الحضور على رأس وفد إقليمى مع مهرجان الجزية السنوى القادم إلى طيبة، حيث يقدمهم الوزير إلى الملك. وتحدثنا الوثائق بأن إرسال أبناء هؤلاء الأمراء إلى قصر الملك ليتربوا مع أبنائه وينشأوا على ولائهم لمصر قد صار تقليداً متبعا طوال أيام الدولة الحديثة :

فعلى صفحات مقبرة « إيامو نجح » يقوم صاحب القبر بتقديم أمراء الأقاليم الجنوبية القادمين على رأس وفودهم لتسليم الجزية، ثم يستطرد « إنهم أهدوا سيد الأرضين أولادهم »(٢). وضمن النقوش المسجلة على جدران مقبرة الوزير « رخميرع »(٣) نجد إشارة أخرى إلى استدعاء أبناء أمراء كوش إلى القصر الملكى فى طيبة.

---

(١) Urk. IV, 139, 5

(٢) Urk. IV, 949

(٣) Urk. IV, 1102

وعندما كان هؤلاء الأبناء يكبرون ويحين الوقت لكي يحلوا محل آبائهم، نجدهم يواصلون الاحتفاظ بالألقاب التي حملوها أيام نشأتهم في القصر الملكي في طيبة ، بل ويتباهون بذكرها ضمن ألقابهم الأخرى . وقد عثرنا على أمثال تلك الألقاب التي ظل أولئك الامراء يحملونها رغم توليهن شئون الحكم في أقاليمهم ، كاللقب الذى حمله أمير عنيبة المدعو « حقانفر » أى الحاكم الطيب [١] .

وبمناسبة ذكر عنيبة كمركز لأسرة محلية حاكمة في منطقة النوبة ، لابد أن نشير أيضا إلى أربكا [٢] ، ثم إلى « تحنوت — سيره » . ففي دبيره التي كانت تتبع « سيره » والتي تقع شرقي النيل وتبعد عن وادى حلفا حوالى ٢٠ كم إلى الشمال ، عثر على قبر أحد هؤلاء الأمراء واسمه « جحوتي - حتب » ويحمل لقب « با إتس » حاكم « تحنوت — سيره » في زمن الملكة حتشبسوت ، كان والده أيضا حاكما للمنطقة ، مما يدل على أن هذا المنصب كان وراثيا . ويلاحظ أن الأب والإبن يحملان أاسمين محليين بينما حملت الزوجة وأخ الأمير اسمين مصريين ، وفي هذا إشارة ضمنية إلى سرعة الأخذ بأسباب الحضارة المصرية المتقدمة ، والتي أصبحت طابع ذلك العصر [٣] . وذلك خلال الفترة القصيرة التي سبقت حكم الملكة حتشبسوت

وأثبتت الحفائر التي أجريت في القبر الصخرى لهذا الأمير توافر شواهد أخرى تؤكد الأصل المحلي لأسرة الأمير « جحوتي حتب » ، فعلاوة على المناظر الملونة على جدران المقبرة ، والتي تمثل جانبا من جوانب الحياة في كوش في ذلك الوقت ، كأعمال الحقل والرقصات الخاصة بأهل تلك البلاد عثر في نفس المقبرة على مسند للرأس كالذى استعمل قديما في كل من مصر وكوش ، ولكن صناعته تشبه ذلك الطابع الخاص بحضارة كرمه في السودان التي عاصرت حضارة الدولة الوسطى المصرية .

(١) Aniba II, 250 f; Säve - Söderbergh, S. 185; Simpson, Heka-Nefer, Publications of the Pennsylvania-Yale Expedition to Egypt, No. 1, New Haven and Philadelphia 1963, fig. 3/4.

(٢) Ermenne 37 and 41.

(٣) Säve-Söderbergh, S. 123; Statue Khartoum No. 92; R. Moss, JEA, 39, 42; Wild, Kush VII, Une danse nubienne p pouque Pharaonique, p. 76 ff.

والطبيعي أن الباحث لا يستطيع أن يهمل مثل هذا الكشف الأثرى الهام ، فهو من الناحيتين التاريخية والحضارية جد خطير . فنحن نعرف أن المؤرخ يسعى جاهداً للحصول على مصادر أصلية ، كى يتمكن من رسم صورة تقرب من الحقيقة لشعب كوش أيام الدولة الحديثة ، حيث أن جل اعتماده حاليا ينصب على المصادر المصرية . ومع أننا هنا أمام مقبرة أحد أفراد الأسرة الحاكمة المحلية ، بيد أن بعض مناظرها القليلة التى حفظتها الأيام لها صلة وثيقة بطبيعة البلاد وعادات أهلها ، برغم الأثر الواضح للحضارة المصرية .

ويقينى أن مناظر الرقصات وغيرها مما سجل على جدران تلك المقبرة تحتاج إلى المزيد من الدراسة ، فالمرء لا يستبعد أن يكون بعض الفنانين المصريين الذين نزحوا إلى كوش للمشاركة فى إقامة المنشآت المعمارية بأنواعها ، قد اضطروا بحكم طبيعة عملهم أن يستوطنوا تلك البلاد ، وبطبيعة الحال كان عليهم أن يستعينوا ببعض الفنانين المحليين ، ومن هنا يمكن توقع إمكانية قيام مدارس محلية جديدة ، تجمع بين المهارة الفنية المصرية وبين عنصر الأصالة فى التعبير عن البيئة المحلية .

وربما يثار الإعتراض بأنه فى بداية الدولة الحديثة كان المنتظر أن يقوم فنانون مصريون فقط بأعمال الإنشاء والزخرفة ، لعدم توافر جيل متمرن من الفنانين المحليين ، هذا بعكس الحال بعد أن استقرت عناصر الحضارة المصرية فى بلاد كوش فى منتصف أيام الدولة الحديثة زمن توت عنخ آمون . ولكن هذا الإعتراض مرفوض لأن عهد أهل كوش بالحضارة والفن المصريين القديم لم يبدأ مع أيام الدولة الحديثة فحسب ، وإنما سبق ذلك بقرون عديدة ، فمنذ أيام الملك سنوسرت الثالث من الدولة الوسطى وحركة الإنشاء فى مناطق النوبة تعطى لأهل البلاد النموذج الملموس للفنون المتقدمة . وقد لاحظنا ذلك أيام قيام مملكة كوش فى شمال السودان بعد سقوط الدولة الوسطى — وهى التى عاصرت زمن الهكسوس فى شمال الوادى حينا من الدهر — والمصادر الأصلية عن حضارة

تلك الفترة من تاريخ شمال السودان قبل قيام الدولة الحديثة تكاد تكون منعدمة . إلا أننا نفترض قيام مملكة كوش على قدم المساواة مع المملكة المصرية فى طيبة ومملكة الهكسوس فى شمال الوادى ، وبعد أن أخذت من أسباب الحضارة المصرية بنصيب وافر .

وإذا تأملنا تلك المقبرة نلاحظ أن حائطها الشمالى عليه مجموعة من الرسوم الملونة تحتاج إلى إعادة نقل صورها بطريقة أو بأخرى لكى تبدو أكثر وضوحا ، من بينها صورة صاحب المقبرة وزوجته جالسين ، بينهما مجموعة العازفين والراقصين ، وعلى الحائط الغربى تصوير صادق للطبيعة النباتية التى سادت تلك المنطقة من السودان فى ذلك العصر . فنرى صاحب المقبرة واقفا وفى يده عصاه وهو يشرف على أعماله التى يقوم بها الفلاحون[1] .

ولعل أهمية هذا المنظر تبدو جلية فى تصوير عدد وفير من الأشجار التى كانت منتشرة ، تصويراً ربما يمكننا من التعرف عليها ودراستها ، فهناك أشجار النخيل والدوم والسنط . وجدير بالملاحظة أن تلك الأشجار مازالت موجودة فى المنطقة . وصدق الرسام فى تصوير الطبيعة النباتية والحيوانية ، حينما صور بعض القردة تتنقل بين الأشجار . كما صور الفنان بعض العمال باللون الأسود وبعضهم باللون البنى ، فلعل بعضهم كان ينتمى إلى أهل الجنوب . وتجدر الإشارة إلى تكرار تسجيل هذه الظاهرة ضمن مناظر مهرجانات تسليم الجزية والتى حفظتها لنا الأيام بوفرة ووضوح فى العديد من مقابر طيبه ، وبدون أن نخوض فى مسائل تخص علم الأجناس ، مادمنا نكتفى فقط بالناحية الحضارية الموضوع ، فإننا نستنتج من هذا التصوير المزدوج وجود نوعين من السكان استوطنا أرض كوش فى ذلك الزمن ، وأن العنصر الأسود قد شاع وجوده فى البلاد إلى الدرجة التى أصبح معترفا به ، فسجلوه ضمن ماسجلوا من مناظر . ومع أن كل الرسوم المسجلة على جدران مقبرة «جحوتى حتب» لا تكاد تراها العين المجردة نتيجة لفعل عوامل الطبيعة ، إلا أننا نستطيع أن نتبين من بينها أيضا صورة صاحب المقبرة فوق عجلته الحربية يتقدمه أحد الجنود أو الأتباع .

---

(١) Thabit, Tomb of Djehuty - Hetep, Prince of Serra, Kush. V, p. 85.

وهكذا رأينا كيف شارك الأمراء المحليون فى حكم بلادهم بعد أن انضمت إلى مصر فى زمن الدولة الحديثة ، وساعد هذا النظام على استمرار ازدهار بيوتات الإمارة فى كثير من مناطق شمالى السودان ، تلك الإمارات التى وصلت فعلا إلى درجة من التقدم الحضارى منذ سقوط الدولة الوسطى ، واخذت تنقل عن الحضارة المصرية طوال أيام الدولة الحديثة ، لتعد نفسها لدور قيادى فى حياة هذا الوادى ، تنقذ فيه الوادى كله من خطر الأنهيار الحضارى ، وخطر الغزو الأجنبى الذى قدم من الغرب ثم من الشرق . ورغم قلة المصادر التاريخية ، أمكن لرجال الآثار — حتى الآن — الكشف عن مقابر عدد قليل من هؤلاء الأمراء المحليين ،الذين ساهموا بنصيب فى الحكم أيام الدولة الحديثة من أمثال « حقانفر » فى عنيبة « وجحوتى حتب » وأبيه « ربو » « فى سره » كما أوضحنا .

نشاط أهل كوش فى مصر

لم يقتصر نشاط رجال كوش اللامعين على بلدهم فحسب ، وإنما امتد ليشمل مصر ايضا ، فقد اكتسب أهل كوش منذ القدم شهرة كمحاربين شجعان ، كما امتازوا بالأمانة والإخلاص ، مما مهد لهم تولى بعض المناصب الهامة فى جهاز الدولة المصرية أيام الدولة الحديثة .

وفيما سلف رأينا كيف كان ينظر إلى عساكر كوش بكثير من التقدير ، وكيف أستعان بهم أمراء الأقاليم أيام ازدهار الإقطاع على أثر سقوط الدولة القديمة . ثم كيف كان ينظر إلى أهل كوش أيام فترة الإنحلال بعد سقوط الدولة الوسطى ، عندما إزدهرت مملكة كوش المستقلة فى شمالى السودان ، بينما حكم الهكسوس فى شمال الوادى ، والمصريون فى طيبة .

ولما دار الزمن دورته وأعاد ملوك الدولة الحديثة على الوادى وحدته ، أعطى لأمراء كوش سلطة معلومة فى نطاق أقاليمهم. واستمرت شهرة عساكر كوش كمحاربين، فكان الملوك يصرون على استدعاء نفر منهم ليكونوا ضمن حرسهم الخاص ، ففى زمن الملك تحوتمس الثالث يرد ذكر أختيار عشرة رجال من كوش ليصبحوا ضمن حرسه الخاص[1] ، كما تردد ذكر أختيار جنود من كوش فى الوثائق من زمن الدولة الحديثة ، ليكونوا من رجال الملك المقربين ، كحامل المروحة للملك ، أو قائد العربة الملكية ، أو حامل العلم[2] . وإذا ما فحصنا ذلك الرسم المسجل على الصندوق الجميل الخاص بالملك توت عنخ آمون ، نتبين أن حامل المروحة كان من أهل كوش .

ولو شئنا أن نحدد أشخاصا بعينهم من أهل كوش ، ممن استطاعوا

---

(١) Urk. IV, 695, 17.

(٢) L.D III. 218, c ; Urk. IV, 16, 5

تبوئه مراكز هامة فى إدارة الدولة الحديثة ، اقامت فى طريقنا عقبة ، وهى صعوبة التفرقة بين من هو مصرى ومن هو من أهل تلك البلاد ، نتيجة تمصر الطبقة الحاكمة فى كوش . ومع ذلك فهذه بعض المحاولات التى وصلت بنا إلى النتائج الآتية :

١ — فى وادى الملوك بطيبه مقبرة للمدعو « ماى - حور - برى » May– Hor—Pery ، وصاحب هذه المقبرة يحمل ألقابا تدل على تمتعه بثقة الملكة حتشبسوت ، ومن بينها مايدل على أنه تربى فى القصر الملكى مع أبناء فرعون ، وأنه شغل منصب حامل المروحة على يمين الملك ، وكان ضمن رفقاء الملك فى تحركاته إلى البلاد الأجنبية فى الشمال والجنوب . وهناك من الشواهد ما يحملنا على اعتبار « ماى - حور - برى » من أهل كوش ، فاذا لم نأخذ كثيراً فى الإعتبار سواد بشرته الملاحظ فى مومياته وكذلك شكل جمجمته ثم صوره على أوراق البردى التى عثر عليها فى مقبرته ، فان دراسة مصوراته وبعض مخلفات مقبرته تكاد تؤكد أصله المحلى ، فهناك نماذج من الصناعات والملابس المصنوعة من الجلد تضاهى نظيرتها المميزة لحضارات كوش قبل زمن الدولة الحديثة(١) ، وكذلك فان طريقة استعمال الصدف فى صنع عقود الزينة لها ما يماثلها فى كل من حضارة المجموعة الثالثة وحضارة كرمه . وقد جذب اهتمامى على الأخص زينة الأذن التى تميز بها « ماى - حور - برى » إذ عثر ضمن مخلفاته على زوج من الأقراط من النوع الأسطوانى المستدير المصنوع من العقيق . وبفحص أذنى مومياته تبين أنهما مثقوبتان ، مما يؤكد بما لايدع مجالا للافتراض أن « ماى - حور - برى » قد أستعمل تلك الحلى ، التى ميزت معظم حضارات كوش منذ أيام المجموعة الثالثة وكذا حضارة كرمه ، والتى استمر استعمالها هناك أيام الدولة الحديثة وحتى نهاية العصر المروى .

٢ — وصاحب المقبرة رقم ٧٤ بمنطقة « الشيخ عبد القرنه » بطيبه ، الذى يحمل إسما غير مصرى : « تنى » عاش وخدم زمن الملك تحوتمس الثالث والملك تحتمس الرابع كسكرتير ملكى (وهى وظيفة ذات طابع

---

(١) Kerma II, 19; Ann. Serv. IV, 46.

حربى) وكقائد عسكرى ، وحمل كذلك عددا من الألقاب التى تدل على مبلغ نفوذه :

فبالإضافة إلى أسمه الذى يحتمل أن يكون مروى الأصل ، والذى كتب بطريقة المقاطع ، وهى الطريقة التى اتبعها المصريون فى كتابة الأسماء الأجنبية الغريبة على الأصوات المصرية ، هناك لون بشرته المائل إلى السواد . كما تذكرنا الطريقة التى صور بها بالرسم الذى عثر عليها ضمن مقابر المحاربين السود أصحاب تلك المقابر المسماة (Pan-graves) ، والتى انتشرت بين الشلال الأول وبين « دير ريفه » بالقرب من أسيوط فى العصر الوسيط الثانى حتى أيام طرد الهكسوس . والمعتقد أن لهم صلة وثيقة بكتائب المحاربين (المجاوبين) الذين استعان بهم ملوك التحرير لطرد الهكسوس من مصر فى مطلع الدولة الحديثة هذا وقد أطلق العالم الألمانى « زيته » على صاحب هذا الرسم لقب « البشارى » نسبة إلى قبائل البشاريين ، التى يعتقد أنها هى نفس قبائل « المجا » القديمة ، كما يلاحظ التشابه بين التسميتين و كذلك يحتمل أن « ثنى » هذا قد وفد إلى مصر مع أمثال تلك الفرق المحاربة ، وأنه تدرج فى المناصب حتى وصل إلى منصبة الهام كقائد عسكرى .

٣ — وفى زمن الملك تحوتمس الرابع عاشت فى طيبة عائلة المدعو « حور محب » التى أثارت اهتمامنا ، إذ صور ثلاثة من أفراد تلك العائلة على جدران المقبرة رقم ٧٨ فى طيبة بشكل يختلف عن العرف الذى ساد فى ذلك العصر بزينة هى فى صميمها عادة قديمة لأهل كوش . ونقصد بذلك الأقراط المستديرة ذات الحجم الكبير نسبيا ، والصور المذكورة تخص ثلاثة إخوة حلوا جميعا أسماء مصرية ، أما أحدهم فحمل لقب رئيس فرق البوليس الكوشية ، كما يلاحظ أنه قد صور وفى يده قوس ، وهو السلاح الذى طالما برع سكان جنوب مصر وشمال السودان فى استعماله حتى أصبح علما عليهم ، فلقبهم المصريون من قديم الزمن باسم أصحاب الأقواس من تلك الشواهد وهى التحلى بالأقراط المستديرة ، وتزعم فرق البوليس الكوشية ، والتباهى بحمل سلاحها المميز ، إلى جانب تسجيل صور تسليم حاصلات الجنوب ضمن مناظر المقبرة ،

مع التجاوز عن الأسماء المصرية التى حملها أفراد الأسرة ، والتى قد يكون مردها إلى موجة التمصر التى ميزت ذلك العصر من تاريخ السودان الشمالى . يمكن مع التحفظ اعتبار تلك العائلة من أصل محلى أى من أهل كوش .

٤ — وهناك حالة أخرى من أيام الرعامسة(١) تستحق الدراسة ، ففى قرية صغيرة تسمى حاليا « نجع البقع » جنوبى دبود فى النوبة المصرية يوصى أن أحد كبار موظفى الدولة المدعو « نخت - مين » ناظر خاصة الملكة ، بأن تكون تلك القرية الصغيرة النائية مستقره الأخير . مخالفا القاعدة المتبعة التى كانت تقتضى دفن كبار الموظفين أمثال « نخت - مين » هذا فى العاصمة أى فى طيبه ، أو على الأقل فى مدينة عنيبة عاصمة الإقليم . هذا ويدخل فى الاعتبار أن الكاهن الذى أشرف على دفن « نخت - مين » ذكر ضمن نصوص المقبرة مناديا صاحبها « إنك (ترقد هنا) فى مقبرتك . . . (تلك) التى شيدتها فى مدينتك بأمر سيدك » معنى ذلك أن « نجع البقع » تلك القرية النوبية الصغيرة — هى موطن موظف الدولة الكبير « نخت - مين » . ومن هنا نشأ احتمال أن يكون « نخت - مين » من أصل محلى .

٥ — وأهم تلك الشخصيات جميعا نائب الملك فى كوش المدعو « بانحسى » الذى ظهر فى نهاية عصر الرعامسة ، وأوكل إليه إعادة الأمن إلى مصر كلها ، لحفظ على مصر وحدتها وصانها من التردى فى الهاوية ، ثم ترك مقاليد الأمور وعاد إلى موطنه الأصلى فى عنيبه حيث دفن . وطبيعى أن جل إعتمادنا لا ينصب على اسم بانحسى (ومعناه السودانى) فحسب ، وإنما الأهم من ذلك أنه سمح أن تكون عنيبة مقره الأبدى ، وربما كان ذلك يعنى أنها موطنه الأصلى ، أى أن بانحسى (السودانى) قد استطاع بفضل كفاءته أن يصل إلى أرقى مناصب الدولة ، وهو منصب نائب الملك فى كوش .

ولا يفوتنا أن نشير إلى أن المحاضر القضائية الخاصة بعملية سرقة المقابر أواخر أيام الرعامسة قد أشارت إلى إجراءات الأمن القوية التى قام بها بانحسى ،

---

(١) والمقصود بعصر الرعامسة : عصر الأسرتين ١٩ ، ٢٠ ، حيث سمى معظم الملوك « رع - مسى » أى « وليد رع » ، ثم أضيف إلى الكلمة حرفان is — فى النطق الإغريقى ، الذى انتقل عن طريقه إلى اللغات الأوربية فأصبح النطق رعمسيس ثم رمسيس

نائب الملك فى كوش ، ومن بعضها نتبين ما يفهم منه أن المصريين قد نظروا إلى بانحسى نظرتهم إلى غير المصرى (١).

ولا جدال فى أن وصول بانحسى إلى منصب نائب الملك فى كوش إنما كان نتيجة طبيعية لتطور العلاقات بين مصر و كوش منذ أقدم العصور حتى أواخر زمن الدولة الحديثة ، وانتشار الحضارة المصرية واستيطانها فى كوش .

ويعتبر نائب الملك فى كوش بانحسى من أهم الشخصيات التى لمعت فى تاريخ كوش حتى أواخر أيام الرعامسة. نشأ أصلا وحسب شواهد الأمور فى مدينة عنيبة ، وكانت حينذاك المركز الإدارى الكبير لكوش ومقر نائب الملك ، وهناك فى الجبانة المشار إليها بحرف S عثر العالم شتاين دورف على مقبرة تحمل اسم بانحسى . وحيث أننا لم نعثر له على مقبرة أخرى فى طيبة أو فى غيرها ، فيمكن التسليم بأنه دفن فى مقبرة عنيبة هذه ، وقد اعتبرها المكتشف من أحدث المقابر الموجودة فى ذلك الجزء من الجبانة ، إذ أنها تنتمى إلى زمن رمسيس الحادى عشر . ومن دواعى الأسف أن كل مبانى المقبرة التى كانت موجودة فوق سطح الأرض زالت لدرجة لا يمكن معها التكهن بشكل القبر الظاهرى . أما الجزء السفلى المحفور فى الصخر الطبيعى ، فإنه يتخذ شكلا فريداً فهو محفور على مستويين . وعلى عتب الباب المؤدى لغرف المقبرة الموجودة فى الطبقة الأولى عثر على النص الجنائزى الذى يؤكد نسبة القبر لبانحسى ، فهو كالآتى : « ابن الملك (أى نائب الملك) بانحسى صادق الصوت ، والمرحوم من لدن أوزيريس وأنوبيس ، القائم على الخيمة المقدسة وسيد الميزان »(٢). أما محتويات القبر فقد نهبت من قبل ، ولم يعثر الأثريون فيها إلا على أشياء قليلة ، منها جعل كبير مما يصنع بغرض استبدال القلب به أثناء عملية التحنيط ، وكان يحمل اسم « سيدة الدار تنوب » وتميمتين من العقيق وبعض الخرز وخاتم وبعض

(١) Peet, Great tomb robberies II, pl. XXXI, 10,18; Kees, Herihor und die Aufrichtung des thebanischen Gottesstaates, S. 12; Peet JEA. 12, 257.

(٢) كان المعبود أوزيريس ملك العالم السفلى ورئيس محكمة الموتى ، حيث يحاسب كل إنسان على ما اقترف فى دنياه . وحيث يوزن قلبه أمام رمز الصدق . وهناك كان يقف المعبود أنوبيس مشرفا على الميزان . كل ذلك صوره القدماء مرارا على أوراق البردى — التى عرفت بكتاب الموتى .

الأجعال (الجعارين) أحدها يحمل اسم الملك تحوتمس الثالث تيمنا ، ثم إناء خشبى لحفظ الكحل بالإضافة إلى بعض الأدوات الصغيرة .

ورغم قلة المادة التى أمدتنا بها مقبرة با محسى فى عنيبة ، فإننا نستطيع أن نرسم صورة مستمدة من مصادر تاريخ مصر خلال تلك الفترة الأخيرة من عصر الرعامسة فقد كانت أمور مصر فى نهاية الدولة الحديثة تنحدر من سيء إلى أسوأ عندما تكاثفت عليها عوامل الضعف. و تكاثر أعداؤها وأخذوا يطبقون عليها من جميع الجهات تقريبا فبعد الحرب المريرة بين مصر و بين دولة الحيثين ، تعرضت البلاد لشر مستطير ، أتاها فى شكل هجرات كاسحة من الشرق ومن الشمال ، من البر ومن البحر قامت بها شعوب عرفت باسم شعوب البحر يمثلون العديد من الجنسيات . وفى الغرب ازدادت حدة الهجمات الليبية وأضحت تهدد سلامة البلاد ، ومع نجاح مصر أيام رمسيس الثالث فى صد كل تلك الأخطار ، إلا أن العبء كان أثقل مما تتحمله البلاد ، فظهرت عليها أعراض الشيخوخة متمثلة فى سوء الأحوال الإقتصادية وكثرة الشكوى من ارتفاع الأسعار وازدياد الضرائب ، فأدى ذلك إلى اضطراب الميزان وبدت على البلاد مظاهر ضعف لم تعرفها من قبل ، ذلك أن جيش العمال فى غرب طيبة ، الذى كان يشرف على إقامة العمائر والمقابر الملكية ، بدأ أفراده يطالبون الوزير بدفع متأخرات رواتبهم ، وطرد شبح الجوع عن أسرهم . ولما كانت خزينة الدولة خاوية فإن العمال استمروا فى تهديداتهم وشكلوا خطرا فعليا على الدولة ، وفى نفس الوقت تكونت عصابات للسطو على مقابر الملوك ومقابر رجالات الدولة فى كل من وادى الملوك وهضبة طيبة الغربية ، وشكلت للمتآمرين عدة محاكم ، وصلت إلينا محاضرها الرسمية. ولكن المحاكمات لم تمنع انتشار السرقات مما أجبر الملوك على الاسراع فى إنقاذ ما تبقى من موميات أجدادهم ، فأعيد دفنها على عجل فى مخابىء سرية . ولقد انتهزت عائلة الكاهن الأكبر لآمون المدعو «رمسيس نخت» فرصة ضعف الملوك وتمكنت من السلطة ، فأصبحت مصائر البلاد السياسية الإقتصادية والدينية فى أيدى

أفرادها . وفى زمن رمسيس الحادى عشر كان « آمون حتب » (أمينوفيس) ابن « رمسيس نخت » على رأس كهنة آمون الذين امتلكوا أخصب أراضى مصر ، وكان أخوه « نس آمون » هو الكاهن الثانى لآمون ، فسيطروا بذلك على دخل المعابد ، كما كان منهم أيضا جامعوا الضرائب . هنالك — وقبل العام الثانى عشر من حكم رمسيس الحادى عشر قامت الثورة ، وأخذت فى طريقها الكاهن الأكبر « آمون حتب » وأسرته . وتهددت مصر الحروب الأهلية التى استمرت حوالى تسعة شهور ، ولم تكن فى مصر قوة تستطيع أن تسيطر على الفوضى ، وفى تلك الأيام العصيبة استنجد ملك مصر رمسيس الحادى عشر بنائبه فى كوش حيث طلب من بانحسى أن يحضر بجيشه ويقضى على الفوضى . فلبى بانحسى النداء ، ويبدو أنه استطاع القضاء على معظم مراكز الفوضى فى طيبة وفى مصر الوسطى بالقوة العسكرية ، وبعدها عاد إلى مقر عمله بعنيبة ، ولم يحاول استغلال الموقف ، رغم أنه كان يمثل القوة الوحيدة الباقية فى وادى النيل حينذاك . ولعل ذلك مرجعه إلى تقديس أهل كوش لأشخاص الملوك ، فالمعروف أن عبادة شخص الملك قد صادفت رواجا فى كوش أيام الدولة الحديثة . وتدل الوثائق على أن بانحسى كان موجودا فى مقر عمله بالنوبة حتى العام السابع عشر من حكم رمسيس الحادى عشر ، يزهو بثقة فرعون حين كلفه بتسهيل مهمة أحد رجاله الذى أرسل إلى منطقة الشلالات (١) .

أما فى طيبة فلقد ظهرت شخصية جديدة بدلا من الكاهن الأول السابق لآمون ممثلة فى شخص حريحور ، والمعتقد أنه من أتباع بانحسى . وبعد أن استطاع أن يصل إلى رئاسة كهنة آمون وتولى منصب الوزارة ، ضم إليه منصب نائب الملك فى كوش بعد وفاة بانحسى ، وأخيراً بعد أن ودع الدنيا آخر ملوك الرعامسة فى طيبة ، أسس حريحور أسرة حاكمة عرفت فى تاريخ

---

(١) Kees, op. cit. S. 9/10.

مصر باسم الأسرة الحادية والعشرين (١٠٨٥ — ٩٥٠ ق.م) على عكس سلفه بانحسى الذى تصرف بأمانة ونكران للذات ، ولم يحاول استغلال نفوذه كنائب للملك فى كوش وكقائد لأكبر قوة موجودة حينذاك. وظلت كوش على ولائها لمصر طوال سنوات الضعف السياسى التى ابتليت به البلاد فى أواخر أيام الرعامسة .

مركز كوش السياسى

رأينا كيف تقدمت كوش بعد ضمها إلى مصر فى مضمار الحضارة لتأخذ المركز اللائق بها كبلاد ذات موارد طبيعية وبشرية غير محدودة ، فغدت فى فترة وجيزة من أقوى العوامل الموجهة لسياسة الوادى، حيث أضحت تكون جزءاً هاما فى بناء الدولة المصرية . ولقد ازدادت أهمية كوش منذ أواخر أيام الدولة الحديثة ، وشرع الملوك وكذا المتطلعون للعرش يحاولون كسب كوش إلى جانبهم ، وبدت تصرفاتهم تدل على تفهم لقوة مركز كوش وأثره فى تشكيل سياسة الوادى .

ولو حاولنا استعراض ما تم فى هذا السبيل لاعتبرنا زيارات « حورمحب » إلى كوش خلال فترة صراعه مع منافسة « آى » فى أعقاب الأسرة الثامنة عشرة ، وقبل توليه السلطة الرسمية ، أى فى أيام توت عنخ آمون . كذلك رحلته إلى كوش بعد أن استولى على العرش ، كانت من قبيل الاطمئنان على ولاء أهلها .

وتحدثنا الوثائق [1] عن زيارة قام بها أحد ملوك الأسرة التاسعة عشرة المدعو « رمسيس سبتاح » خلال السنة الأولى من حكمه بغرض تعيين نائب الملك المدعو « سيتى » فى منصب حاكم كوش ، وقد حمل مبعوثه هدايا ومكافآت قيمة لكبار موظفى تلك البلاد . وأما آخر ملوك الأسرة التاسعة عشرة الملك مرنبتاح — سبتاح ، فقد أرسل إلى كوش أحد رجاله المختارين ليقوم بإحضار الجزية بنفسه ، وذلك تقليد لم يقابلنا مثيل له من قبل . ولعله كان يرمى من وراء ذلك أيضا إلى التفتيش ، وتقديم تقارير للملك عن مدى ولاء أهل تلك البلاد (٢) .

أما ما ذكر عن إمكانية وصول نائب الملك فى كوش المدعو سيتى إلى

---

(١) BAR III, 642.

(٢) Buhen, p. 26, pl. 12.

العرش فى أعقاب رمسيس — سبتاح ، فربما تدعمه حقيقة أن كوش قد أصبحت تمثل عاملا له أثره فى السياسة المصرية .

ودار الزمن دورته وانتقل حكم مصر من الأسرة التاسعة عشرة إلى الأسرة العشرين . وهناك ظهرت بوادر الضعف والتفكك داخل القصر نفسه ، ولقد حدثنا التاريخ عن وقوع مؤامرة دبرها حريم الملك رمسيس الثالث للتخلص من الجالس على العرش . وتذكر وثائق التحقيق فى الحادث الفاشل أن نفراً من المتآمرين سعى فى طلب التأييد والعون من كوش ، حيث اتصلت أخت قائد الجيش فى كوش (والتى اشتركت فى المؤامرة) بأخيها للاشتراك فى المؤامرة ، ولما كشف النقاب عن المتآمرين قدموا إلى المحاكمة زمن رمسيس الرابع ونفذ فيهم حكم القضاء . والغريب أن نائب الملك فى كوش فى ذلك الوقت لم يخرج عن ولائه للملك ، وظل اسمه بعيداً عن التآمر . ولو كانت هناك أية شبهة نحوه لما استمر فى منصبه . فالمدعو حورى الثانى الذى شغل المنصب فى زمن رمسيس الثالث قد استمر فى منصبه أيضا زمن رمسيس الرابع [1] .

وإذا ماتتبعنا سير الحوادث بعد ذلك مباشرة لتبين لنا أن شخصا من الجيش يدعى حريحور استطاع الجمع بين منصب الكاهن الأكبر ومنصب نائب الملك فى كوش ثم منصب الوزارة ، أى أنه استطاع أن يجمع فى يده كل السلطات . وإدراكا منه لخطورة منصب نائب الملك فى كوش فإنه ظل محتفظا به إلى أن بلغ العرش ، فأسنده إلى أقرب الناس إليه أى إلى ابنه بعنخى(٢)، ولا شك أن فى ذلك تأكيداً بليغا لما أصبحت عليه كوش من قوة فعالة مؤثرة فى تاريخ مصر نفسه .

ذلك كان شأن كوش — فلنبحث علام اعتمدت كوش للوصول إلى تلك المكانة السياسية المرموقة ؟

---

(١) Buhen, p. 248; Säve - Söderbergh, Aegypten und Nubien, p. 177

(٢) وهو غير بعنخى ملك نبته الذى استطاع فتح مصر فيما بعد

لاريب أن ثروة كوش الطبيعة فى ذلك الوقت كانت تشكل حجر الزاوية ، يضاف إلى ذلك قوة جيشها الذى نظم على غرار الجيش فى مصر ، ثم جهازها الادارى . هذا وقد سبق أن أثبتنا عدم افتقار كوش لرجال لامعين وقادة من كل المستويات ، كل تلك العوامل تضافرت لتجعل من كوش عنصرا مؤثراً فى توجيه سياسة مصر ، مما أهلها لتولى مسئولية أكبر فى المستقبل .

وإذا ما ألقينا نظرة على واردات مصر من كوش أيام الدولة الحديثة ، لوجدنا أن كنوزها المعدنية ومنتجاتها العديدة ، وغلاتها ثم وفرة الأيدى العاملة فيها ، كانت تمثل أهم تلك الواردات . ولعب معدن الذهب دوراً كبيراً بين واردات كوش أيام الدولة الحديثة ، وإذا ما رجعنا إلى أيام حضارة كرمة لوجدنا أن مقابرها – رغم نهبها مراراً – قد أمدتنا بعدد ليس بالقليل من المصنوعات الذهبية ، مما يدل على أن الذهب كان يستخرج بكميات كبيرة من مناجم كوش قبل قيام الدولة الحديثة . ولقد ظلت كوش تمثل مورد الذهب الرئيسى طوال عصر الرعامسه ، بدليل تلك النقوش المسجلة على معبد الأقصر وعلى معبد مدينة هابو وفى بردية هاريس .

ولقد أمدتنا أقدم مقابر الكرو التى تخص أسلاف ملوك نبته بكمية كبيرة نسبيا من الذهب ، على الرغم من صغر حجمها و كثرة نهبها قديما فى العصور المختلفة . فأقدم قبر منها أمدنا بما قيمته حوالى ٢٨ جنيها استرلينيا ، كما عثر فى مقبرتين أيضا على تمثال صغير من الذهب الخالص ، وعلى بعض قطع الزينة الذهبية . وإن ذلك وحده ليشير إلى مقدار ما كانت تضم تلك المقابر من صناعات ذهبية ، كان يكثر أستعمالها بين هؤلاء القوم . هذا من ناحية وفرة الذهب فى البلاد باعتباره من أهم عناصر القوة عموما . وإلى جانب الذهب كأحد العناصر المكونة لثروة كوش المحلية ، تذكر مصادر عصر الرعامسة فى أواخر عهد المصريين بأرض كوش أن كل من الزراعة وتربية الحيوان قد إزدهرتا أيضا فى كوش ، وبهذا تتبين مدى ما كانت تتمتع به البلاد من مصادر للثروة ساعدتها لكى تتبوأ مكانها الممتاز .

(١) JEA 18, p. 201.

وسبق أن أوضحنا كيف أصبح الجيش فى كوش أيام الدولة الحديثة على درجة عالية من الكفاءة ساعدته على إنقاذ مصر من خطر ثورة الكهنة أواخر أيام الأسرة العشرين .

وينبغى أن نذكر أن شهرة أهل كوش كمحاربين قد أعطتها مصر قدرها منذ أقدم العصور ، ولا شك أن سعى ملوك الأسرة السادسة المصرية لتجنيد فرق حربية ، وفرق للعمل من أهل كوش ليكونوا جيشا يبلغ تعداده عشرات الألوف ، فيه ما يؤكد هذه الحقيقة . وفى زمن العصر الإهناسى ، وهى فترة الإنحلال السياسى التى امتدت من سقوط الدولة القديمة حتى قيام الدولة الوسطى (حوالى ٢٢٦٣ ق م . — ٢٠٤٠ ق . م . تقريبا) فى مصر ، لعبت القوات الكوشية دوراً هاما أثناء الخلافات بين بيوتات الحكم المتنازعة فى كل من مصر الوسطى والصعيد ، وقد حفظ لنا أحد حكام الأقاليم فى مصر الوسطى ويدعى « مسحتى » (أى التمساح) فى مقبرته بأسيوط ، نموذجا فريداً لفصيلة من المحاربين من أهل كوش ، الذين تخصصوا فى حمل الأقواس والضرب بالنبال ، وأطلق عليهم قديما حملة الأقواس . ولقد حفظ لهم التاريخ دورهم المشرف فى مساعدة القوات المصرية لطرد الغزاة الهكسوس فى مطلع الدولة الحديثة ، فالملك كاموسى — أحد أبطال التحرير يفخر — بأن الفرق المجاوية كانت فى مقدمة قواته المحاربة ضد الآسيويين المعتدين ، ولا بد أن هؤلاء القوم هم أصحاب المقابر المعروفة باسم (Pan—Graves) ويختلف المؤرخون فى تحديد أصلهم ، ومع ذلك يمكن اعتبارهم من أصحاب المرحلة المتطورة الأخيرة من حضارة المجموعة الثالثة . وربما كانوا من أصحاب حضارة كرمه .

وهناك رسم نادر لأحد أولئك المحاربين ، عثر عليه فى جبانة « مستجدة » (بالقرب من دير طاسا والبدارى فى محافظة أسيوط) صور على قطعة العظم العريضة المكونة لجبهة أحد حيوانات الضحية ، وهى بالألوان وتمثله واقفا ببشرته السوداء ، حليق الرأس والوجه ، يلبس مئزراً قصيراً إلى ما فوق الركبة ، لونه أحمر داكن والجزء العلوى من الجسم مكشوف بينما يتحلى بعقد واسع ، ويتسلح بفأس القتال من خلف ظهره ، ويحمل فى يده اليمنى ما يشبه السوط ، أما اليد اليسرى فتمتد قليلا إلى الأمام ، حيث كتب اسم

داخل مستطيل يمتد من محاذاة الرأس تقريبا حتى أعلى الركبة ، وفى داخل هذا المستطيل حروف هيروغليفية عددها ٦: ق . س . ك . (أ ، د) م . ن . ت . ربما كانت تدل على اسم ذلك المحارب ، ولعل المقطع الأخير من اسمه (منت) = آمونة ، له صلة بالإله آمون أو بزوجته الأصلية « آمونة » . والملاحظ أن هذا المحارب كان يرتدى زيا مصريا ، ويتحلى على الطريقة المصرية ويتسلح بسلاح مصرى أيضا ، وربما يرجع ذلك إلى أثر الحضارة المصرية على هؤلاء القوم .

ولا جدال فى أن غالبية هؤلاء المحاربين كانوا جنودا أحراراً ، تشهد بذلك محتويات قبورهم ، وما عثر عليه فيها من صناعات ذهبية ، وهى تؤكد أنهم كانوا يمنحون رواتب مجزية ، حتى أن بعضا منهم كانوا يمتلكون العبيد ، كما ظهر ذلك فى تحقيقات سرقة المقابر فى أواخر عصر الرعامسة .

ومع أن مصادر تاريخ كوش فى الفترة ما بين نهاية الدولة الحديثة وقيام الأسرة الخامسة والعشرين تكاد تنعدم ، إلا أننا نتوقع إستمرار كوش فى تطورها الطبيعى خلال تلك المرحلة معتمدة على مصادرها البشرية والمادية لتصبح فيما بعد فى موقف يسمح لها بفتح مصر ، والسيطرة على مقاليد السياسة والحكم فى وادى النيل طوال ما يقرب من ١٠٠٠ عام

الفصل الخامس

أصل مملكة نبته أو أصل الحضارة السودانية

إن البحث فى أصل الأسرة التى حكمت مصر والسودان القديم من حوالى منتصف القرن الثامن حتى حوالى منتصف القرن السابع قبل الميلاد (٧٥١ — ٦٥٦ ق . م) ليزداد أهمية عندما نعلم أن تلك المرحلة تمثل جزءاً هاماً من تاريخ السودان القديم ، ولأنه يلقى الضوء أيضا على فترة غامضة من تاريخ مصر ، كما يتناول العلاقات الإنسانية بين شطرى الوادى فى مرحلة بلغت فيها الأحداث التاريخية فى وادى النيل ذروتها .

ولقد ظل موضوع البحث فى أصل تلك الأسرة مثاراً للافتراضات ، بعيداً كل البعد عن البحث الشامل ، شائكا فى نظر المتخصصين نظراً لقلة المادة العلمية بين أيدينا . وعندما تناولت هذا الموضوع لم أجد أمامى إلا بعض نتائج أعمال الحفر لدنهام وريزنر فى المواقع الأثرية المعروفة بأسماء الكرو ونورى ومروى الهركل وكذلك حفائر مكارم فى كوة ثم حفائر ريزنر فى كرمه ، وحفائر كل من فيرث وريزنر وشتين دورف ويونكر فى منطقة النوبة السفلى ، هذا بالإضافة إلى الآراء المتناثرة فى بعض المؤلفات التى حاول أصحابها أن يدلو بآرائهم حول الموضوع . وتتلخص تلك الآراء حول هذا الموضوع فيما يلى :

١ — الرأى القائل بأن أصل تلك الأسرة مصرى .

٢ — النظرية التى ترجع ذلك البيت الحاكم إلى أصل ليبى .

٣ — النظرية القائلة بأن البيت الحاكم فى نبته والمؤسس للاسرة الخامسة والعشرين فيما بعد من أصل محلى أى من أهل المنطقة .

أولا : إن النظرة الفاحصة للأسانيد التى حاولت النظرية الأولى القائلة

بالأصل المصرى أن تتخذ منها دليلا ، لتوضح أنها لم تتخط مرحلة الفروض . فالقائلون بها يعتمدون على الطابع المصرى لحضارة تلك الأسرة ، وعلى تمسك أفرادها بعقيدة آمون ، وهى الديانة الرسمية لمصر القديمة فى ذلك الوقت . ثم أنهم يشيرون إلى مدى تدين ملوكها ، وأخيرا فهم يرون فى اسم بعنخى عاهل الأسرة (٧٥١ — ٧١٦ ق . م) اسما مصريا صميما سبق استعماله أيام الأسرة الحادية والعشرين (أسرة الكهنة فى طيبة) حملة بعنخى بن حريحور(١) . بل إنهم يعتبرون مؤسسى هذه الأسرة من سلالة أسرة الكهنة فى طيبة ، التى فر بعض أفرادها إلى نبتة خوفا من نتائج الهزيمة على أيدى الأمراء الليبيين ، الذين ملكوا زمام مصر حينذاك وحكموها طوال الفترة ما بين سقوط الأسرة الحادية والعشرين وقيام الأسرة الخامسة والعشرين .

والمتتبع لتاريخ العلاقات الحضارية بين السودان ومصر منذ فجر التاريخ حتى تلك المرحلة من مراحل التطور ليدرك تماما أن الطابع المصرى لأصحاب ذلك البيت لابد أن يرجع إلى طول استيطان الحضارة المصرية فى السودان منذ فجر التاريخ ، بما فى ذلك استيطان أعداد كبيرة من المصريين فى النوبة ليعملوا ضمن أفراد الإدارة المصرية أو فى القوات المرابطة ، كما أن انتشار الكهنة المصريين فى معابد كوش حتى منطقة الشلال الرابع كان له أثر كبير فى نشر الثقافة والعقائد المصرية .

أما فيما يتعلق بظهور الأسماء المصرية بين أصحاب البيت المالك فى نبتة فإن ذلك لم يتعد اسمى الملكين بعنخى وحور-سيوتف Horsiyotef (٤٠٤ — ٣٦٩ ق . م) ، هذا إذا استثنينا الأسماء المصرية التى ظهر بعضها بين أبناء ملوك ذلك البيت مثل حور - إم - أخت بن الملك شباكو ويسمى أيضا حور ماخيس(٢) (حوالى ٧٠٧ — ٦٩٦ ق . م) والذى حمل ابنه اسما مصريا أيضا ، كذلك فإن طهارقه قد أعطى اثنين من أبنائه اسمين مصريين وهما « نيسونحرت » (وهو « اوشناكورو » فى الحوليات الآشورية للملك « إسرحدون ») و « نيسوشو — تفنوت » . كما حمل

(١) قارن ص ٧١ من هذا الكتاب

(٢) انظر اللوحتين رقم ٢ ، ٣

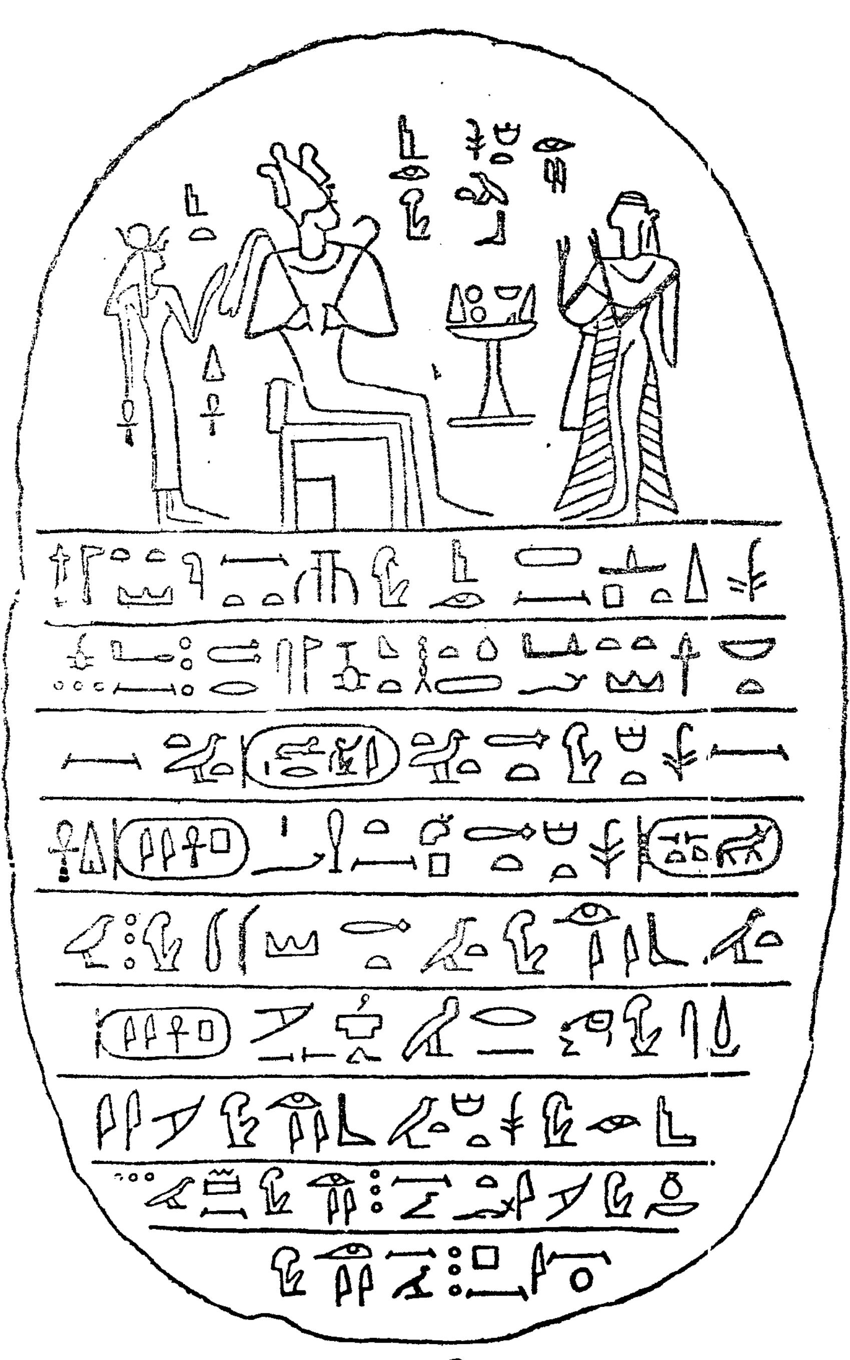
بعض ملكات الأسرة وأميراتها أسماء مصرية مثل « أمنرديس » (١) ابنة الملك كاشتا (المتوفى عام ٧٥١ ق . م .) ، وإحدى زوجات الملك بعنخى وكانت تدعى « نفرو كاكاشتا » ، والملكة « تاباك — نمون » ابنة الملك بعنخى ، ثم إحدى بنات الملك « شباكو » ، وأخيراً زوجة الملك أسبلتا (٥٩٢ — ٥٦٨ ق . م) . هذا بالإضافة إلى بعض الأسماء المصرية حملها نفر من الموظفين والكهنة . ذلك هو شأن الأسماء المصرية بين أفراد العائلة المالكة فى نبته .

وأما بخصوص دور كهنة المعبود آمون ، فليس هناك جدال فى النشاط الكبير الذى قاموا به خلال حكم الأسرة الخامسة والعشرين ، فباسمه أقيمت المعابد فى شتى أنحاء النوبة ، وتحت لوائه استطاع ملوكها السيطرة على شمال الوادى بسهولة ، ولم ينظر إليهم على أنهم قوم غرباء ، بل كانوا هم من أنقذوا الوادى وحفظوا تقاليد البلاد وعقائدها المقدسة . كما لا يستبعد أن يكون فريق من الكهنة قد هرب فعلا إلى نبته بسبب هجوم الليبيين كل ذلك يمكن اعتباره من العوامل المساعدة لبيت المالك فى نبتة للوصول إلى العرش . أما المبالغة فى دور كهنة آمون فإنها تؤدى بلا شك إلى نتائج خاطئة .

ثانيا : أما القائلون بالأصل الليبي للبيت الحاكم فى نبته فيفترضون : أن فرع من الليبيين الجنوبيين (الطمياح) اتجه خلال الهجرة الكبرى للقبائل الليبية الشمالية إلى الدلتا ومصر الوسطى وفى نفس الوقت تقريبا ، اتخذ طريق الواحات جنوبا حتى وصل إلى دنقله فى زمن حكم الملك الليبي شيشنق الأول فى شمال الوادى (٩٢٠ — ٨٦٠ ق . م) واعتبرها موطنا جديداً لعشيرته . هنالك استطاع رئيس تلك القبيلة أن يجمع فى يده سلطة نائب الملك فى كوش ، وأصبح كغيره من حكام الأقاليم المصرية من الأمراء الليبيين ، يكاد يكون مستقلا عن الملك فى العاصمة .

وكان الموقع الجغرافى لإقليم دنقله — باعتباره أقرب الأقاليم إلى

(١) أنظر اللوحة رقم ٥



لوحة رقم٤ — لوحة الملكة تابيرى—زوجة الملك بعنخى
الملكة تقدم القرابين للمعبود أوزيريس وخلفه المعبودة إيزيس
[نقلا عن Dunham, I, Kurru, 19—8—1366]

قلب القارة الإفريقية بمحاصيلها وخيراتها الوفيرة - يجعل منه بابا طبيعيا لمنتجات القارة ، كما سيطر ذلك الإقليم على الطريق المؤدى إلى مناجم الذهب ، مما أعطى أهمية خاصة لهؤلاء الحكام الجدد الذين اتخذوا من الكرو مركزاً لهم ، وشرعوا فى بسط نفوذهم شمالا حتى بلغ حدود إقليم طيبة المصرى .

وحسب تقدير ريزنر - صاحب هذا الرأى - لابد أن تكون تلك الأحداث قد وقعت خلال الستة أجيال ، ما بين حكم الملك الليبي شيشنق الأول فى مصر ، وبين حكم الملك بعنخى عاهل الأسرة الخامسة والعشرين فى نبته (٧٥١ — ٧١٦ ق . م) . ويرجح ريزنر أن صاحب أقدم مقابر الكرو — والتى قسمها إلى ستة أقسام على امتداد ستة أجيال متتالية — قد عاش فى زمن الملك شيشنق الأول . ويختتم روايته فيقول إن أقدم مقابر الكرو هى مقابر أسلاف الملك بعنخى ، ويعتبرهم جميعا من الأمراء الليبيين الجنوبيين (الطمياح) .

ويعتمد ريزنر فى تأييد نظريته على بعض نتائج الحفر الذى أجراه فى الكرو :

١ — فهو قد عثر فى أربع من أقدم المقابر فى الكرو على رؤوس سهام هى فى رأيه ذات طابع ليبي .

٢ — وخلال حفائره هناك عثر على لوحة مكتوبة (أعطاها رقم ٥٣) خاصة بزوجة الملك بعنخى المسماة تابيرى[1] وعليها قرأ ريزنر لقبا للملكة معناه « سيدة الطمياح » ، وعلى أساس تلك القراءة اطمأن إلى أنه اكتشف دليلا قاطعا على أن الأسرة الملكية فى نبته تنتمى إلى الليبيين الجنوبيين أى إلى الطمياح ، ذلك لأن الملكة المذكورة هى ابنة ألرا Alara أقدم رئيس لأسرة الملك بعنخى ، كما أن ألرا هذا كان أخا للملك كاشتا والد الملك بعنخى .

---

(١) انظر اللوحة رقم ٤

٣ — ويدعى ريزنر كذلك أن أسماء أفراد الأسرة الحاكمة فى نبته ليبية الأصل ، وأنها تشبه فى بنائها مثيلاتها من الأسماء الليبية .

٤ — وعلى قطعة مكسورة من إناء من الألبستر (نورى رقم ٣٨) عثر عليها ريزنر فى منطقة الحفائر فى نورى (وهى إحدى أماكن الدفن الملكية التى كانت تتبع العاصمة نبته) قرأ ريزنر ما يلى : « ... (٢) الرئيس الأعلى للجيش (٣) باشد باست Pashedebast المرحوم (٤) ابن سيد الأرضين « شِشاقن — مرى آمون » [1] . وعلى هذا الأساس قرر ريزنر صاحب الرأى الليبي أن باشدباست هذا ابن الملك الليبي شيشنق الثانى أو الثالث لابد وأنه هو نفسه والد كاشتا ملك نبته . وبناء على ذلك أرجع ريزنر أصل البيت الحاكم فى نبته مباشرة إلى الأصل الليبى للبيت الحاكم فى مصر فى الفترة ما بين ٩٥٠ — ٧١٥ ق م تقريبا .

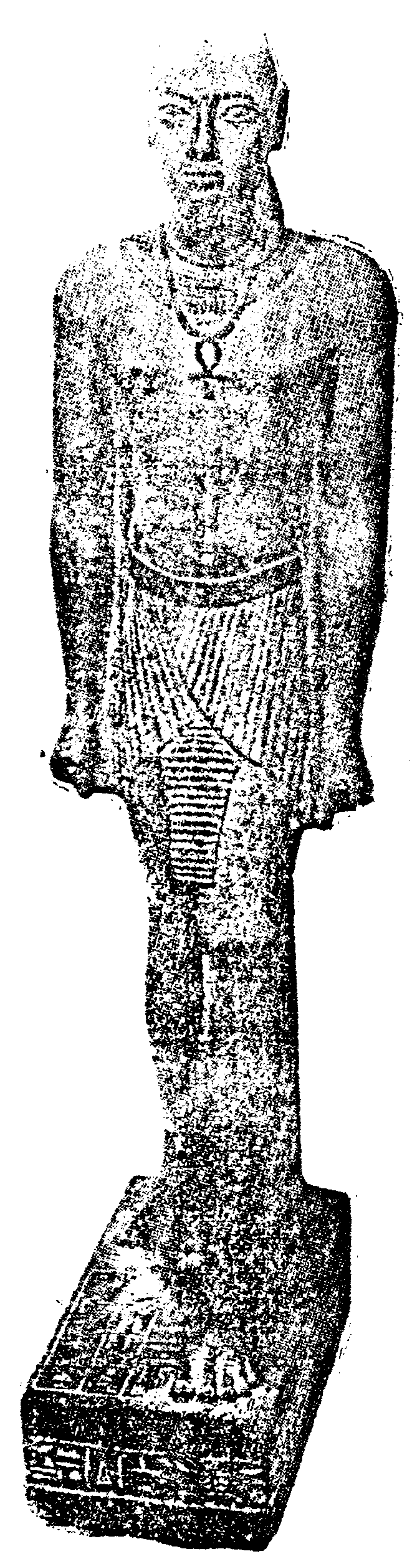
وقد تبنى الكثير من المهتمين بالدراسات المصرية القديمة الرأى القائل بالأصل الليبي ، منهم مكادم وسميث ، وكانزنلسن ، وإدوارد وسودربرج وجوتيه . ولو أن منهم من أثار بعض التحفظات ، فى حين عاد البعض مثل كاتزنلسن ورفض هذا الرأى .

وفيما يلى تحليل للنظرية الليبية .

فيما يختص برؤوس السهام من حجر الصوان وحجر الكوارتز ، ذات الشكل المجنح والتى عثر عليها فى أربع من أقدم مقابر الكرو ، والتى يرى ريزنر انها ليبية الأصل . نلاحظ أنه ذكر أيضا نبأ العثور على رؤوس سهام فى نفس تلك المقابر وفى مقابر أخرى تليها ، شكلها نصف دائرى واعتبرها من أصل محلى . وبعمل إحصائية لعدد السهام لكل من النوعين السابقين يتضح أن النوع الليبى عدده ٣٢ بينما النوع المحلى يبلغ ٣٩ سهما ، أى أن عدد رؤوس السهام المحلية أكثر من عدد رؤوس السهام ذات الطابع الليبى .

---

(١) Reisner, JEA 6, p. 54.



لوحة رقم ٢ — الأمير حور ماخير (حور في الأفق) ابن الملك شباكو
(المتحف المصرى)



لوحة رقم ٣ — الأمير حورماخيس — صورة مكبرة (المتحف المصرى)

كما أن ذلك النوع من السهام المجنحة كان منتشراً فى كثير من أرجاء وادى النيل منذ عصور ما قبل التاريخ ، حيث عثر على نماذج لها فى كل من الفيوم والبدارى وحضارة الخرطوم[1] . وبهذا لا يمكن اعتبار رؤوس السهام دليلا تعتمد عليه النظرية القائلة بالأصل الليبي للبيت الحاكم فى نبته .

وفيما يتعلق بلقب الملكة تابيرى الزوجة الأولى الملك بعنخى ، والذى قرأه ريزنر « كبيرة الطمياح » . فإن المدقق يلاحظ وجود خطأ فى قراءة اللقب نتيجة لطريقة الكتابة بالمقاطع التى اتبعها المصريون فى كثير من الأحيان . وبمراجعة الكتابات المختلفة التى وردت فى كثير من النصوص المصرية الأخرى فى القاموس الكبير للغة المصرية ببرلين ، والخاصة بكلمة الطمياح ، يتضح أن قراءة ريزنر لتلك الكلمة بعيدة عن الصواب ، والصحيح أن تكون القراءة « خاستيو » ومعناها « البلاد الأجنبية » فتكون القراءة الصحيحة للقب الملكة تابيرى : « سيدة (أو كبيرة) البلاد الأجنبية » وعلى هذا لا يمكن الاعتماد على القراءة الخاطئة للقب الملكة تابيرى ثم القول بأن سلالة الأسرة من أصل ليبى .

٣ - ثم نأتى لمناقشة الإدعاء القائل بأن أسماء أفراد أسرة نبتة ليبية :

يرى جرفث أن المقطع « — قه » الموجود فى إسم الملك الليبى شيشنق ماهو إلا صورة أخرى للمقطع « — قه » الموجود فى كثير من الأسماء الملكية لأسرة نبته مثل طهارقه وأمطالقه و مانىسطبارقه وغيرها . ويضيف ماكادم إلى ذلك فيعطى بعض الأمثلة عن صحة هذا الرأى :

إن اسم شيشق قد عثر عليه مرة مكتوباً . شاشاقا[2] .

---

(١) Arkell. Early Khartoum p. 76 & p. 50; History. p. 33/55

(٢) Gauthier, L. R. III, 314/15

إن اسم طهارقه قد ورد مكتوبا : طهارقا وطهرقا(١).

ولو أمعنا النظر لوجدنا أن هذا المقطع الأخير « — قه » الذى ورد فى العديد من أسماء الملوك والملكات فى مملكة نبته : طهارقه ، أمطالقه ، أمانسطبارقه ، سيعسبيقه ، طابرقه ، ناهيرقه (؟) هو نفسه المقطع « —قه » الذى استمر ظهوره فيما بعد فى نهاية الأسماء المروية سواء الملكية منها أو الخاصة بالأفراد والذى ترجمه البعض على أنه مقابل لكلمة المبجل أو المحترم. أى أن المقطع المذكور عبارة عن كلمة مستقلة وكانت غالبا ما تضاف إلى الاسم ، ولعلها كانت تقرأ معه كما يتضح من كتابتها بالحروف الهيروغليفية ضمن أسماء ملوك أسرة نبته مثل طهارقه وغيره .

ولذلك لا ينبغى أن نعتمد على ذلك التشابه النادر الحدوث فى كتابة نهاية اسم الملك الليبى شيشنق وبين نهاية اسم الملك طهارقه ، لنبرهن على أن الأسماء المروية الخاصة بملوك نبته من أصل ليبى ، ويجب أن يؤخذ فى الاعتبار أن اللغة المروية التى إزدهرت فيما بعد تختلف اختلافا جوهريا عن اللغة الليبية ، وأن كثيراً من أسماء ملوك نبته يمكن تفسيره على ضوء معرفتنا باللغة المروية .

٤ — وأخيراً تبدو ضآلة السند الأخير الذى اتخذه ريزنر ليؤكد نظريته الخاصة بالأصل الليبى للبيت الحاكم فى نبته ، ونقصد به النص الذى عثر عليه فى نورى ، والذى يتحدث عن باشدباست بن شيشنق ذلك النص المقتضب الذى اتخذ ريزنر من مجرد وجوده فى مدافن الأسرة الخامسة والعشرين فى نورى عند الشلال الرابع دليلا على وجود علاقة قرابة بين الأسرة الليبية فى شمال مصر وأسرة نبته فى شمال السودان .

وفى رأينا ، إن وجود هذا النص الذى حمله ريزنر أكثر مما يحتمل ، فى

---

(١) Gauthier, L. R. IV, 37

نورى ـ وهى إحدى جبانات مملكة نبتة ـ قد يعنى العكس ، فلعل باشدباست المذكور هو ابن أحد ملوك الأسرة الليبية الذى يدعى شيشنق أيضا ، وأن هذا النص المكتوب على جزء من إناء قد جاء إلى نورى ضمن غنيمة أحضرها معه أحد ملوك نبته من الشمال .

وهكذا نجد أن النظرية الليبية لم تستطع أن تصمد طويلا لاعتمادها على أدلة واهية .

ثالثا : النظرية التى تقول بالأصل المحلى لمملكة نبته : رغم أن الأصل السودانى لذلك البيت الحاكم منطقى ، بل هو أول ما يجب أن يتبادر إلى الذهن عند الحديث عن ذلك البيت الحاكم الذى دخل مصر من الجنوب ، ثم تركها بعد حين متجها نحو الجنوب أيضا ليكون دولة مستقلة ظلت مزدهرة زمنا طويلا فى شمال السودان . إلا أننا نرى أن هذا الرأى قد أهمله الباحثون وانصرفوا عنه ، إما إلى الرأى القائل بالأصل المصرى أو إلى النظرية التى تزعم أن مؤسسى ذلك البيت من أصل ليبى . ومنذ عهد قريب بدأ بعض المؤرخين ينادون بالأصل السودانى ، فمثلا نجد أن آركل عند تعرضه لهذا الموضوع فى محاولة للتدليل على الأصل السودانى ، قد اعتبر عادة الدفن على سرير ، وعادة بناء القبر المستدير التى وردت فى الكرو وفى نورى ، أدلة على الأصل السودانى . حيث أن هاتين العادتين كانتا معروفتين فى النوبة منذ عهد حضارة كرمه . ويضيف آركل إلى ذلك عادة زواج الأخ بأخته ثم يشير إلى مدى تدين عاهل الأسرة « ألرا » ، يضاف إلى ذلك أيضا عادة التبنى التى قال أنها طابع تلك الأسرة وهو يعتبر كل هذه التقاليد من أصل محلى ، كل ذلك دون أن يدخل فى أية تفاصيل .

ولقد أخذت هذه النظرية تكتسب أنصاراً أمثال كاتزنلسن السوفييتى ولكلان الفرنسى ، ومن قبل تردد الباحثون أمثال بدج ودريوتون وفنديه فى الأخذ بالأصل المحلى .

وإذا ما اعتبرنا أن أصل الأسرة الخامسة والعشرين محلى ، أى من أهل

المنطقة المحيطة بنبته ، فلابد إذاً من التعرض لأصل هؤلاء السكان أى لأصل سكان شمالى السودان فى زمن إزدهار حضارة نبته ثم حضارة مروى . أو بمعنى آخر التعرض لأصل الحضارة المروية .

وقد سار بحثى فى محاولة حل المشكلة كالآتى :

١ — دراسة الحضارة الخاصة بالأسرة الخامسة والعشرين فى كل من السودان ومصر ، بما فى ذلك مخلفات أسلاف هذا البيت فى الكرو واستخلاص العناصر الحضارية المميزة ، واعتبارها هى نقطة البدء .

٢ — البحث فى مخلفات الحضارات القديمة فى المنطقة قبل قيام الأسرة الخامسة والعشرين عن عناصرها المحلية المميزة .

٣ — البحث فى مخلفات الحضارات التالية لزمن الأسرة الخامسة والعشرين عن عناصر مميزة محلية .

٤ — دراسة مقارنة للعناصر المميزة لكل تلك الحضارات التى نشأت فى المنطقة حتى العصر المروى ، والخروج بنتيجة عامة .

وقد أثبت البحث أن هناك عناصر حضارية محلية وتقاليد تربط كل تلك الحضارات بعضها البعض مما يؤكد صلة القرابة بينها بطريقة أو بأخرى ، وأن حضارة الأسرة الخامسة والعشرين ليست غريبة عن المنطقة التى نشأت فيها ، بل تكون حلقة فى سلسلة الحضارات المحلية التى قامت فى النوبة وفى شمالى السودان(١) .

وتلك العناصر الحضارية تنحصر فى :

١ — طريقة بناء القبر .

٢ — طريقة الدفن .

٣ — عادة التضحية بدفن الإنسان والحيوان مع صاحب المقبرة .

٤ — إنتشار عادة التحلى بالأقراط المستديرة بالنسبة للرجال .

---

(١) أنظر الأشكال ١ ، ٢ ، ٣

٥ — يضاف إلى ذلك نتائج دراسة المصورات المختلفة لأصحاب كل من حضارة نبته ومروى فى محاولة للتعرف على شكل أولئك القوم .

فبالنسبة لحضارة المجموعة الثالثة وجدنا العناصر المحلية الآتية :

(ا) شكل القبر المستدير .

(ب) طريقة الدفن على سرير (فى الفترة الأخيرة فقط) .

(حـ) إنتشار عادة دفن الدواب وغيرها من الحيوانات الأليفة عند وفاة صاحبها .

(ى) إنتشار عادة التحلى بالأقراط المستديرة وخاصة بين الرجال .

وبالنسبة لحضارة كرمه وجد أن عناصرها المحلية كالآتى :

(ا) شكل القبر المستدير . (ب) عادة الدفن على سرير .

(حـ) عادة دفن الحيوان .

(ى) عادة التضحية بالأتباع ودفنهم أحياء مع صاحب المقبرة .

(هـ) إنتشار عادة التحلى بالأقراط المستديرة .

وبالنسبة لحضارة الـكرو وحضارة الأسرة الخامسة والعشرين وجدت العناصر المحلية الآتية(١) :

(ا) شكل القبر المستدير (فى المقابر العتيقة) .

(ب) الدفن على سرير . (حـ) عادة دفن الحيوان .

(د) التحلى بالأقراط بالنسبة للرجال .

وبالنسبة لحضارة مروى ومابعدها كانت العناصر المحلية كالآتى .

(ا) القبر المستدير (بين مقابر الأفراد) . (ب) الدفن على سرير .

(حـ) عادة دفن الأتباع (ولو أنها مازالت تحتاج إلى دليل) .

(د) دفن الحيوان . (هـ) التحلى بالأقراط المستديرة وبغيره

---

(١) أنظر الشكلين ٦ ، ٧

ومن دراسة تلك الحضارات يتبين لنا أن تمسك هؤلاء القوم أصحاب الأسرة الخامسة والعشرين بتقاليد عتيقة رغم قوة تيار الحضارة المصرية ، وعلى الأخص بالنسبة لتقاليد الدفن ، إن دل على شيء فإنما يدل على مدى تمسكهم بتقاليد آبائهم وأجدادهم . فلو فرض وكان هؤلاء القوم مصريين لما كانت بهم حاجة إلى ممارسة تلك التقاليد البالية ، التى لا يتفق بعضها مع ما وصلت إليه الحضارة المصرية من رقى وخاصة فى فنى التحنيط والعمارة ، وهما من أوضح معالم تلك الحضارة .

والتفسير المنطقى لبقاء تلك التقاليد المحلية طوال تلك المدة حتى زمن الأسرة الخامسة والعشرين ، رغم تأثير عناصر الحضارة المصرية المباشر على كل من أصحاب حضارة المجموعة الثالثة وحضارة كرمه ، هو أن تلك العشيرة التى خرج منها بيت الأسرة الخامسة والعشرين ربما عاشت أيام الدولة الحديثة بعيداً عن متناول الأثر القوى للحضارة المصرية ، وربما اتخذت من مروى موطناً لها . فمن المعروف أن مروى أصبحت أخيراً عاصمة الدولة المروية ، وقد كانت من قبل ومنذ البداية موطناً لفرع من فروع البيت الحاكم أيام الأسرة الخامسة والعشرين . وإذا صح هذا الفرض فإن توسع هذا البيت يكون قد بدأ من الجنوب إلى الشمال ، وبالتالى يمكن اعتبار ملوك نبته (الأسرة الخامسة والعشرين) ملوكاً مرويين .

اللغة المروية لغة ملوك نبته

خلف لنا ملوك نبته كثيراً من آثارهم ودونوا عليها طرفا من أيامهم وعقائدهم . واستعملوا فى ذلك كله الـكتابة المصرية (الهيروغليفية) ولقد انكب فريق من المهتمين بهذا الفرع من التخصص على دراسة النصوص التى تركها ملوك ذلك العصر . واتضح من دراستهم أن اللغة المصرية المستعملة فى ذلك العهد دخلها الكثير من التغيير .

لقد ذكرت فيما سبق امكانية إعتبار ملوك نبته ملوكا مرويين ، فالصلة الحضارية بين حضارتهم وحضارة مروى لاتحتاج إلى دليل ، كما هو واضح من مقارنة المـادة الأثرية فى كل منهما .

فوق ذلك يمكن القول أيضا أن أسماء ملوك نبته ، وكذا أسماء أفراد عائلتهم إنما هى أسماء مروية الأصل . ففى مكان آخر من هذا البحث أمكن إثبات أن النهاية « ـ قه » فى أسماء أفراد الأسرة مروية الأصل .

وهنا يمكن إضافة الملاحظات الآتية :

١ ــ اسم الملك سنك ـ أمانسكن Senkamanisken (٦٤٣ـ ٦٢٣ق.م) صاحب أكبر هرم فى نورى بعد هرم طهرقه يحتوى على إضافة لغوية ويمكن تفسيره بمساعدة قواعد اللغة المروية .

٢ ــ اسم الملك أمانى ـ نتك ـ لبتى Amaninataki.ebte (٥٣٨ — ٥١٩ ق . م) صاحب الهرم رقم ١٠ فى نورى يحتوى على نهاية الجمع المروية ـ لب ـ leb وحرف الجر te - بمعنى « فى » .

٣ ــ اسم الملكة Mekmle يتكون من ملك Mk = إله ، وملى mle = طيب أو حسن ، كما يلاحظ أن لفظ ملى mle موجود أيضا فى إسم الملك مالويب أمانى Mlewiebamani (٤٦٣ ٤٣٥ ق . م) صاحب الهرم رقم ١١ فى نورى وفى أسماء عديدة لأفراد هذه الأسرة .

---

(١) Sauneron — Yoyotte, BIFAO 50, 1952 pp. 157—207 La Campagne nubienne de Psammétique II et Sa Signification historique.

٤ — وكلمة كوار أو كور Qor التى وردت فى تقرير الملك بسماتيك الثانى عن حربة النوبية ضد مملكة نبته فى زمن الملك أسبلتا ، إنما تدل على كلمة « الحاكم » ويقصد بها غريمه ملك نبته، وهى نفسها كلمة قور=ملك فى اللغة المروية .

ومن ذلك يبدو واضحا أن اللغة المروية كانت هى لغة ملوك نبته المحلية .

ومن الأدلة على صلة القرابة بين المرويين وبين سكان منطقة النوبة فى الدولة الحديثة هو ظهور إسم مروى لامرأة من أيام الدولة الحديثة : وهذا الاسم « ملكاشتى » يمكن تفسيره بالمروية كالآتى : ملى = جميل أو طيب او حسن ، وكلمة كاشتى = كوش + تى = « فى » فيكون المعنى : « الجميلة فى كوش »(١) .

وهنالك اسم ملكة من العصر المتأخر (؟) هى كانيملى(٢) يحتوى على : كانى أو كادى = امرأة ،وملى = جميل إلا أن هذا النص المعقد ، لا يمكن أن نجزم بأنه من العصر المتأخر . بل هناك إحتمال أنه يرجع إلى زمن الحضارة المروية نفسها .

وقد حاول بوزنر من قبل أن يوجد صلة بين أسماء أمراء النوبة أيام الدولة الوسطى والمسجلة على الدمى التى تمثل الأعداء وبين أسماء ملوك الأسرة الخامسة والعشرين(٣) .

وإنى على ثقة بأن زيادة معرفتنا باللغة المروية سوف تثبت أن العديد من الأسماء الغير مصرية لأفراد من كوش ذات أصل مروى . ومما سبق يمكن تأكيد صلة القرابة ، التى أمكن إثباتها من الناحية الأثرية ، بين كل من ملوك نبته وأصحاب الحضارة المروية من جانب ، وبين سكان النوبة وشمالى السودان زمن الدولة الحديثة من جانب آخر

---

(١) Ranke, P. N. I, S 163, Nr.9

(٢) Budge. The Egyptian Sudan 11, p. 117; Grapow ZAS, 76. S. 24 ff.

(٣) قارن ص ٤٨ من هذا الكتاب ؛ Posener, Princes et Pays. p. 52

تعريف باللغة المروية

قبل أن ندخل فى التفاصيل ، ينبغى أن نقرر أن ملوك نبته كانوا يستعملون اللغة المصرية كلغة رسمية ، كما يحتمل أنهم كانوا يتكلمون اللغة المروية فى شئون حياتهم الأخرى ، إلا أن مدى معرفتهم باللغة المصرية وقواعدها بدأ يقل تدريجيا نتيجة تعذر الاتصال مع مصر بسبب خضوعها للحكم الأجنبى .

أما بالنسبة لمملكة مروى فلا زلنا نجهل التاريخ الذى تخلى فيه ملوكها عن استعمال اللغة المصرية كلغة رسمية وانصرفوا إلى لغتهم المروية ، بعد أن ابتكروا لها أبجديتين إحداهما مصورة والأخرى مبسطة ، واستطاع العلماء منذ أكثر من خمسين عاما أن يقرأوا حروفها دون أن يفهموها ، فيما عدا بعض الكلمات المستعارة من المصرية — بالإضافة إلى محاولات التعرف على بعض قواعد تلك اللغة ، ولكنها مازالت فى أول الطريق . ولا نعرف حتى الآن إلى أى مجموعة من اللغات تنتسب اللغة المروية . لأنها ليست سامية ولا نوبية ولا هى تنتسب إلى مجموعة اللغات الكوشية كلغة البجا .

وأقدم النصوص المدونة باللغة المروية — والتى يمكن تأريخها — ترجع إلى زمن الملكة شنكداخيته Shanakdakhete (حوالى عام ١٧٠ — ١٦٠ ق . م) أى إلى منتصف القرن الثانى قبل الميلاد . وأحدث النصوص المروية التى أمكن تأريخها ترجع إلى زمن الملك تاركنوال ٨٥ — ١٠٣م على بوابة المقصورة المتصلة بهرمه رقم ١٩ بالبجراوية .

ومن الناحية الطبوغرافية يمكن توزيع معظم النصوص المروية المعروفة على مناطق انتشار الحضارة المروية على الوجه التالى :

البركل : تمثال لإيزيس جالسة ، وعلى ظهره نص دينى يتحدث عن « إيزيس جبل البركل » (متحف برلين) وفى المعبد عثر على نصوص مروية وخربشات Graffiti . وكذلك فى الأهرامات . مع العلم أن المدينة

القديمة نبته لم تكتشف بعد . وهناك بعض التضارب بالنسبة لموقعها. وكذلك بالنسبة « اصنم » المدينة الأثرية المجاورة . فلم يكشف عن موقعها بعد ، مع العلم أن جبانتها واضحة المعالم ، وفيها معبد آمون الذى بناه الملك طهارقه وبداخله إضافات لملوك آخرين .

ـ صلب : جرافيق (مخربشات) باللغة المروية فى معبد الملك أمينوفيس الثالث .

ـ كاوه : عثر على عدد كبير من الخربشات المروية فى منطقة المعابد .

ـ صادنقه: موائد قرابين ولوحات مروية من الجبانة .

ـ صاى : نصوص مروية على أحد أعمدة المعبد الذى بنى فى زمن الدولة الحديثة المصرية .

ـ عماره : معبد مروى ، والأعمدة أقيمت فى زمن الملك نتك — أمانى ، بالإضافة إلى عدد من اللوحات المروية .

ـ بوهين : عثر فى المعبد على عدد من الجرافيق باللغة المروية

وفى النوبة المصرية : عثر على لوحات وموائد قربان ومخربشات مروية فى :

ـ عنيبة، بلانه ، قسطل وأبوسنبل: موائد قربان ولوحات ومخربشات مختلفة .

ـ وادى السبوع : عثر فى الجبانة على عدد من اللوحات وموائد القربان المروية.

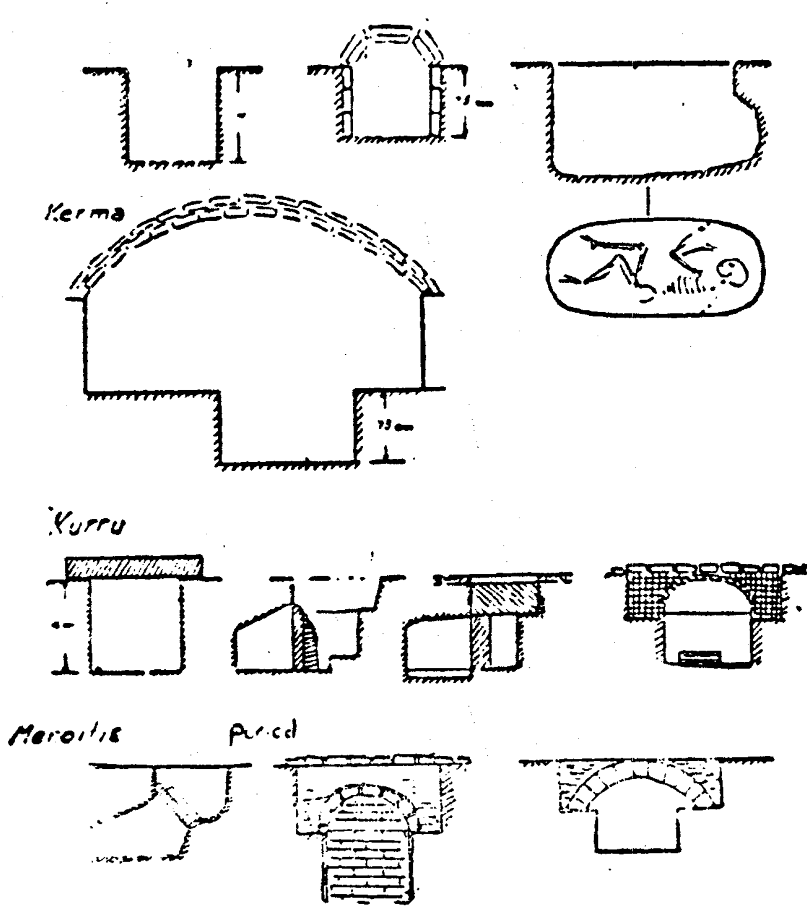
ـ مديك Medik : لوحات مروية من الجبانة .

ـ دكه : عند جبل أبو دروة Derwa عثر على نصوص مروية وإغريقية .

وعلى الصرح الخارجى لمدخل معبد دكه كتب ثلاثة ملوك مرويين أسماءهم .

ـ كلابشه : على أحد أعمدة معبد إله البلميين ـ مندوليس ـ دون أطول نص مروى معروف حتى الآن وهو يخص الملك خرمديه Khermedeye

C. Group



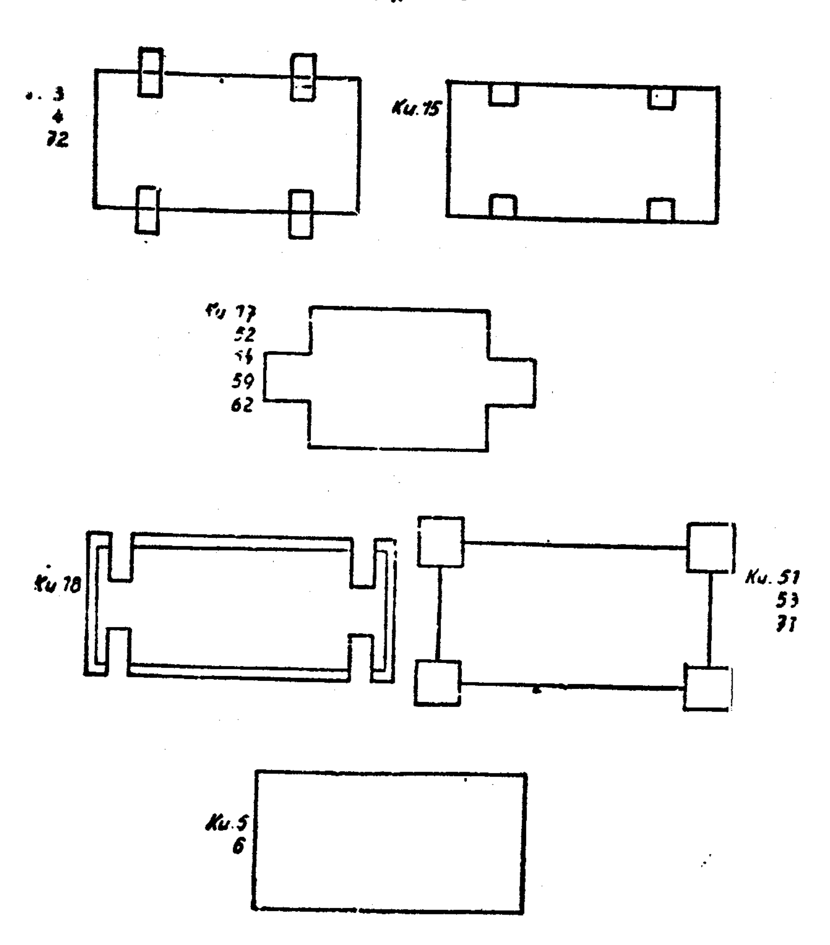
شكل رقم ٣ — دراسة مقارنة للأجزاء الواقعة تحت سطح الأرض والمخصصة للدفن في كل حضارات السودان القديم : المجموعة الثالثة — كرمه — الكرو — العصر المروى

Typical culture-elements		C-Gr.	Kerma	N.K.	Ku.	Ku.-Sp.	Meroit.
Bed-burial		+	+	+	+	+	+
Animal sacrifices		+	+	+	−	+	+
Human-sacrifices		−	+	−	−	−	+
Earrings	--(O)	+	−	−	−	−	−
	•-(O)	−	+	+	+	+	+
	(pendant)	−	−	+	+	+	+

شكل رقم ٤ — دراسة مقارنة للعناصر المحلية فى حضارات السودان القديم
ابتداء من حضارة المجموعة الثالثة حتى العصر المروى

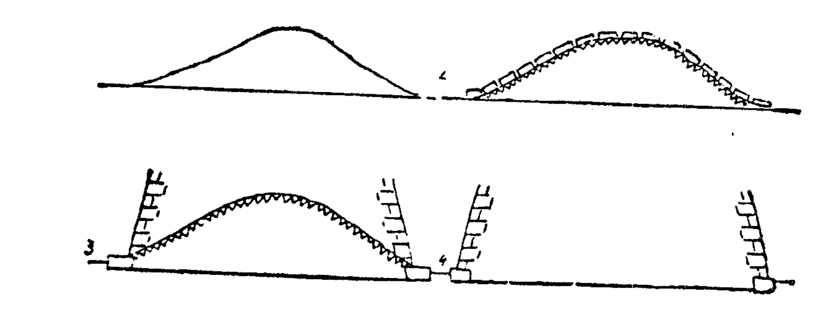
Types of Burial	C-Gr 1	C-Gr 2	C-Gr 3	C-Gr 5	C-Gr 6	Kerma	N K	Ku	Ku Kg 25 Dyn	Meroe
Forms of Superstructure										
	−	−	−	−	−	+	−	+	−	+
	−	−	+	+	+	−	−	−	−	−
	−	−	−	−	−	−	−	+	−	+
	−	−	−	−	−	−	−	+	−	−
	−	−	−	−	−	−	+	−	+	+
Chapel										
	−	−	−	−	+	−	−	+	−	−
	−	−	−	−	−	+	−	−	−	−
	−	−	−	−	−	−	−	+	−	−
	−	−	−	−	−	−	−	+	+	−
	−	−	−	−	−	−	−	−	+	+
Enclosure wall										
	−	−	−	−	−	+	−	−	−	+
	−	−	−	−	−	−	−	+	−	−
	−	−	−	−	−	−	−	+	+	+
Forms of burial chamber										
	−	+	−	−	−	−	−	−	−	−
	−	−	−	−	−	−	−	+	−	+
	−	−	−	+	−	−	−	+	+	−
	−	−	−	−	+	−	−	−	−	+
	−	−	−	−	−	+	−	−	+	+

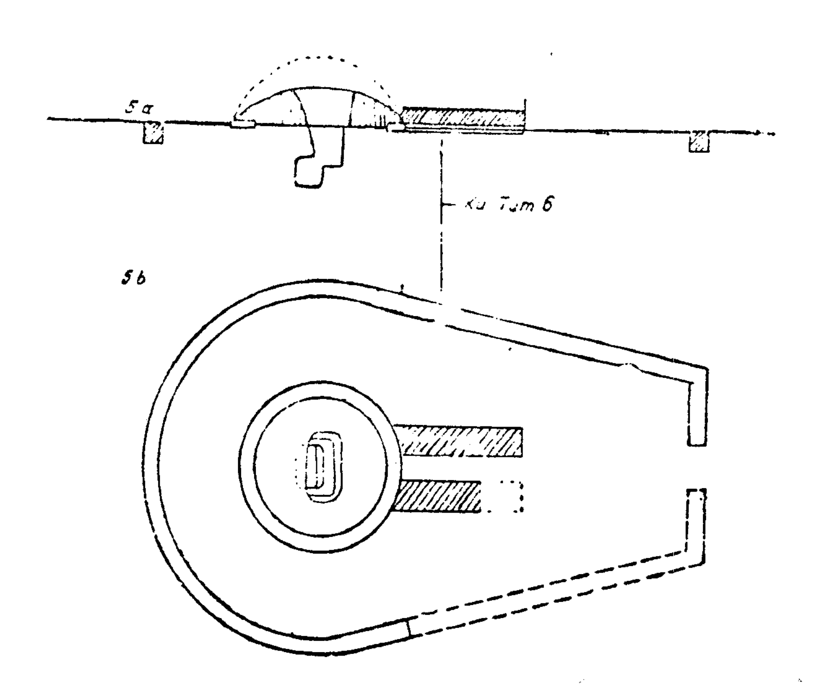
شكل رقم ٥ — دراسة مقارنة لأشكال المقابر وملحقاتها فوق وتحت سطح الأرض لكل حضارات السودان القديم ابتداء من حضارة المجموعة الثالثة حتى العصر المروى وتبين مدى القرابة بين تلك الحضارات [نشرها المؤلف فى .Kush XIII , pp. 261—264—tables I, 2 on pp. 79 — 8I ضمن دراسة عن هذا الموضوع ، ولكن الشكلين ٤، ٥ ظهرا خطأ فى غير موضعهما]



شكل رقم ٧ — المكان المرتفع والمخصص لوضع سرير الدفن في مقابر أفراد الأسرة الخامسة والعشرين ، ويلاحظ الفراغات المخصصة لوضع سرير الدفن

Kurru





شكل رقم ٦



- فيلاى Philai : على معبد إيزيس عدد من النصوص المروية والديموطيقية والإغريقية ، دونها الرسل الذين أوفدوا من قبل ملوك مروى لحضور احتفالات إيزيس السنوية — ويمكن تقسيمها إلى :
(١) إبتهالات لإيزيس(٢)أو إثبات وصول الرسول ويبدأ النص بالقرب من رسم القدمين بكلمة «قدمي فلان الذى وصل إلى هنا».

وفى المتاحف من :

شبلول وكرنوج : نصوص مروية على موائد قربان ولوحات نشرها Griffith ضمنها عدد ٢٣٠ مائدة قربان من كرنوج، عدد ٢٠ لوحة من شبلول وهى أكبر جبانة من هذا النوع .

فرص : ثانى جبانة من هدا النوع عثر فيها على عدد ٤٦ مائدة قربان وعلى عدد كبير من الأستراكا (الشقف) وعليها نصوص غير دينية ، وقد استخدموا الحبر الأبيض فى الكتابة عن تلك الأستراكا .

بوهين : أستراكا

كرنوج : أستراكا .

مروى : على معبد الشمس نصوص مكتوبة بالهيروغليفية المروية — ولوحة من معبد الأسد بالإضافة إلى قواعد تماثيل (نقلت إلى متحف Oxford) وعدد ٥٠ من موائد القربان ضمنها واحدة عبارة عن نص مروى مكتوب بالحروف اليونانية. وهذه الجبانة لم يكشف إلا عن عشر مساحتها فقط .

ومن منطقة مروى (حداب) هناك لوحان للملك أكتداد لعلهما يصفان صراعه مع الرومان . ثم المسلة الجرانيتية الخاصة بالملكة Amanishakhete .

البركل : لوحة للملك تنيدأمانى Tanyidamani فى متحف بوسطن عدا نصوص

أخرى كثيرة موزعة على متاحف العالم . ومعظمها فى القاهرة والخرطوم ، واللوفر ، برلين ، هلدسهاين (ألمانيا الغربية) ، المتحف البريطانى ، موسكو .

النقعه : على معبد الأسد حفر اسما الملك نتك ـ أمانى والملكة أمانى تيره بالهروغليفية المصرية وبالمروية ، مما أتاح الفرصة للمقارنة ثم التوصل إلى قراءة حروف الكتابة المروية الهروغليفية . (اللوحة رقم ١٩)

وعلى معبد آخر بالنقعه دون اسم الملكة شنكداخيته Shanakdakhete بالهروغليفية المروية . كما عثرت بعثة المـــانيا الشرقية فى أعمالها الاستكشافية المبدئية هناك على قطعة من إناء صغير من البازلت (رقم 11862 بمتحف الخرطوم) على حافته جزء من اسم الملك أمانى ـ خبالا Amanikhabale ، صاحب الهرم رقم ٢ بالبجراوية الشمالية Beg. N.2 (٦٥ — ٤١ ق . م) .

واد بانقا : اسما الملك نتك . أمانى والملكة أمانى تيره على قاعدة كانت مخصصة لحمل القارب المقدس (برلين 7261) .

ويمكن تصنيف النصوص المروية حسب نوع الخط أى من الناحية الباليوجرافية كالآتى :ـــ

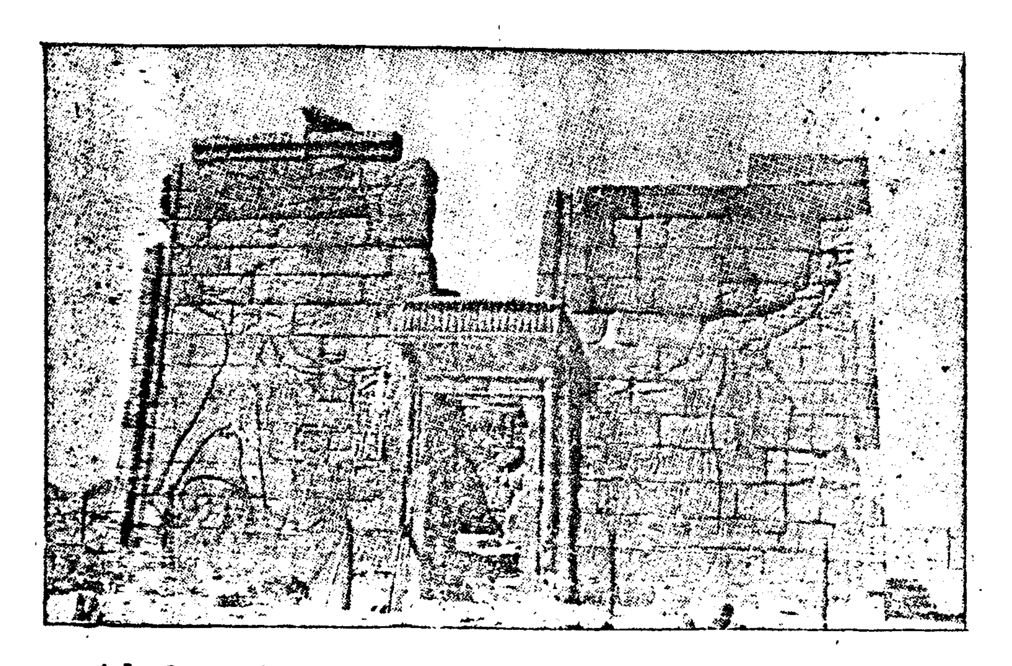
(ا) النصوص المروية الهيروغليفية وهى قليلة :

١ ـــ اسما الملك نتك أمانى والملكة أمانى تيره على معبد الأسد بالنقعه .

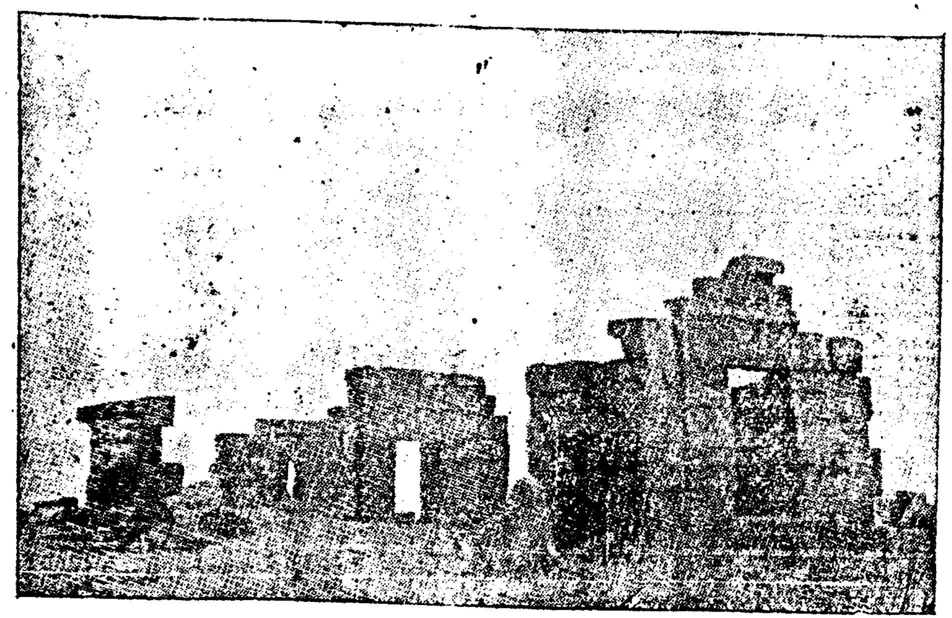
٢ ـــ اسم الملكة شنكداخيته على معبد آمون بالنقعه .(اللوحة رقم٩ب)

٣ ـــ اسما الملك نتك ـ أمانى ، والملكة أمانى تيره على قاعدة القارب الذى كان مخصصا لحمل تمثال الإله والذى عثر عليه لبسوس فى واد بانقا ونقله إلى برلين ، وكان منطلقا لفك رمز تلك الكتابة المروية (برلين رقم 7261).

٤ ـــ تمثال الكبش الذى نقل من «سوبا» إلى حديقة الكاتدرائية الإنجيلية بجوار القصر الجمهورى بالخرطوم وعلى قاعدته نص بالهروغليفية المروية



لوحة رقم ٩ ا — واجهة معبد الأسد بالنقعه ، عليها كل من الملك نتك — أمانى والملكة أمانى تيره فى منظر تقليدى ينكلان بالأعداء . (تصوير المؤلف)



لوحة رقم ٩ ب — معبد آمون بالنقعه ، الذى بناه الملك نتك — أمانى فى نهاية القرن الأول ق ٠ م وكانت تماثيل الكباش — رمز المعبود آمون — مقامة على جانبى الطريق المؤدى الى مدخل المعبد (تصوير المؤلف)

ضمنه جزء من اسم ملك داخل خرطوش يقرأ reqerem . . . يعتقد هنتزا أنه صاحب الهرم رقم ٣٠ بجبانة البجراوية الشمالية .

٥ — نصوص على جدران معبد الشمس فى البجراوية .

٦ — قطعة من إناء قربان من البازلت (رقم 11862 بمتحف الخرطوم) على حافته جزء من اسم الملك أمانى ـ خبالا .

٧ — موائد القربان الملكية التى عثر عليها فى المقابر الملكية فى مروى وبعضها مكتوب بالخط المروى المصور (الهيروغليفى) .

(ب) النصوص المروية بالخط المبسط cursive وتشمل معظم النصوص المروية المعروفة وتنقسم طبقا لمحتواها إلى :

١ — نصوص تاريخية: مثل لوح تانيد أمانى Tanyidamani وهو أطول النصوص المروية المعروفة . محفوظ بمتحف بوسطن بالولايات المتحدة الأمريكية .

ـ لوحان للملك أكنداد وربما كانا يرويان قصة الحرب مع الرومان .

ـ المسلة الجرانيتية التى كانت قائمة فى معبد آمون بمروى القديمة وهى خاصة بالملكة أمانى شخيته .

ـ نص طويل للملك (البليمى؟) خرمدية Khermedeye على أحد أعمدة معبد كلابشه .

٢ — نصوص دينية : مثل النصوص على تمثال إيزيس من جبل البركل

— موائد القربان واللوحات الجنازية التى عثر عليها فى المقابر ، وعليها نداء لإيزيس وأوزيريس لكى يقدما العيش الطازج والماء الزلال لروح المتوفى.

— الخربشات على جدران المعابد . مثل الابتهالات الموجهة للمعبود أبدماك بالمصورات ، والابتهالات الموجهة إلى إيزيس على جدران معبدها فى فيلاى .

٣ — ما عدا ذلك: كالخربشات التى تصور رسما أو تحديدا لقدمى شخص

وصل إلى بقعة ما ، ومن حولهما نص يتحدث عن وصول صاحبه إليها ، وتسمى نصوص « غسل الأقدم » .

وقطع شقف من قدور، عليها نصوص لها علاقة بمحتوى تلك القدور، أو ما يشير إلى مالكيها ، كما استعملت بعض قطع الشقف الكبيرة للكتابة عليها لمختلف الأغراض .

مميزات اللغة المروية

ذكرنا فيما سبق أننا لانعرف حتى الآن إلى أى مجموعة من اللغات المعروفة يمكن أن نصنف اللغة المروية .

ولكن العلماء تمكنوا من التعرف على بعض صفات تلك اللغة :

مثال ذلك أن اللغة المروية استعملت أداة التعريف ، وذلك بإضافة حرف اللام (l) فى آخر الكلمة المفردة وبالإضافة (لب) leb — للجمع.

ولم تعرف المروية الفرق بين المذكر والمؤنث ، فإذا ما أريد التعبير عن المؤنث ، تضاف كلمة إمرأة kdi — للكلمة المراد تأنيثها مثل Mk = إله < Mk—kdi < N'kdi = إلهة، أما صيغة الإضافة Genetiv فبزيادة حرف(s ٠) لنهاية الكلمة مثل كاهن الإله l — s — Ant—mk . وتحتوى المروية على الحروف المتحركة منفصلة (بعكس المصرية) وهى : a ، e ، o ، i وكل حرف فيها يدل على صوت واحد (بعكس المصرية — التى كانت تحتوى أيضا على صور أو مقاطع لها أكثر من صوت) . واستعملت المروية النقط للفصل بين كل كلمة وأخرى : ، : وهى فى ذلك تشبه الكتابة الفارسية المسمارية القديمة .

وحركة السكون يعبر عنها بالحرف e .

وتحتوى الكتابة على ٢٣ حرفا ، والهيروغليفية المروية تقرأ مع اتجاه الرسوم المصورة بعكس المصرية . ومثلها الأعلى الهيروغليفية والديموطيقية المصريتان ، وهناك بعض الحروف من ابتكار أصحاب الحضارة المروية :

حروف الـكتابة المروية الهيروغليفية والمبسطة

a
e
o
i
y
w
b
p
m
n
ñ (ni)
r
l

ḫ
h̲
s
š
k
q
t
te
to
d (2)

: نقط للفصل بين
: الكلمـــات

الفصل السادس

مملكة كوش — العصر النبتى

أو مملكة نبته (٧٥١ — ٢٩٥ ق . م)

إن تاريخ كوش يمكن أن يقسم طبقا لموقع أهرامات ملوكها إلى قسمين : مملكة نبته حتى عام ٢٩٥ ق . م . ومملكة مروى حتى عام ٣٥٠ م . أما من ناحية زمن نقل العاصمة نفسها من نبته إلى مروى فالإحتمال كبير أنه تم فى زمن الملك أسبلتا Aspelta ٥٩٢ — ٥٦٨ ق . م .

ولقد أمدتنا المصادر التاريخية التى عثر عليها فى كوه وجبل البركل على وجه الخصوص ، بالإضافة إلى عديد من الآثار عثر عليها فى كل من مصر والسودان. إلى جانب ما ورد فى تاريخ مانيتون(١) ضمن المصادر الكلاسيكية التى نقلت عنه . بطرف من كفاح مملكة كوش تحت زعامة البيت الحاكم فى نبته ، الذى تمكن من توحيد مصر والسودان القديم فى الفترة ما بين ٧٥١ -- ٦٥٦ ق . م .

تثبيت دعائم الدولة ، وفتح مصر

ولعل أقدم ذكر لأحد رؤساء تلك الدولة أن يكون عن « ألرا » Alara ، فلقد كتب اسم « ألرا » داخل طغراء الملك على لوح يخص إبنته الملكة « تابيرى » [اللوح بمتحف الخرطوم رقم ١٩٥١] (٢) الزوجة الأولى للملك « بعنخى » . كما ذكر نفس المصدر السابق أن زوجة ألرا هى « كازقة » Kasqet . وتحدثت النصوص التى عثر عليها فى كوه عن مدى قوة « ألرا » وعن سلوكه الطيب فيما يتعلق بالمعبود آمون ، الذى إتخذته الأسرة النبتية

---

(١) مانيتون هو مؤرخ مصرى كان يعمل كاهنا لإيزيس فى زمن الملك بطليموس الأول ، الذى كلفه عام ٢٨٦ ق . م بكتابة تاريخ لمصر من وثائق المعابد . وهو الذى قسم تاريخ مصر إلى ثلاثين أسرة حاكمة .

(٢) أنظر اللوحة رقم ٤

معبودا رسميا ، تماما كما كان الحال أيام إزدهار الحضارة المصرية فى طيبه(١) وفى لوحة تخص الملك طهارقه عثر عليها فى كوه جاء ذكر ألرا وأطلق عليه لقب الزعيم أو « الرئيس ابن الشمس ألرا »(٢) . وذلك فى معرض الحديث عن إعادة بناء معبد طهارقه فى كوه بواسطة فنانين استدعوا خصيصا من منف ، واللوح يحمل رقم ٢٦٧٨ الخرطوم ومؤرخ بالعام السادس من حكم الملك طهارقه ، الذى صور على اللوح فى مواجهة آمون وعنوقيس إحدى آلهة ثالوث منطقة النوبة السفلى . ولا جدال فى أن مقبرة « ألرا » تقع ضمن مقابر أسلاف ملوك نبته فى « الكرو » وعددها ١٣ مقبرة تمتد على مدى خمسة أجيال ، تنتهى قبيل قيام الأسرة المذكورة مباشرة ، وهى نفس المرحلة التى أغفلتها المصادر التاريخية فيما يتعلق بتاريخ السودان . وورد ذكر ألرا فى لوحة الملك نستاسن Nastasen فعلى قمة اللوح الجرانيتى صور الملك نستاسن وأمه الملكة بلخا Pelkha . وفى سياق النص الهيروغليفى المدون على اللوح ورد ذكر ألرا ، الذى كتب داخل العلامة المخصصة لأسماء الملوك مع كلمة بعنخى . ويحتمل أن الكلمة الأخيرة معناها هنا « الحى » فقط دون إشارة إلى الملك بعنخى المعروف . وهذا اللوح محفوظ بمتحف برلين الشرقية . تحت رقم ٢٢٦٨ ، وربما جاء أصلا من جبل البركل ، حيث كان قائما فى معبد الإله آمون (٣) .

كما جاء ذكر ألرا على لوح آخر لطهارقه مؤرخ بالعام ٨ — ١٠ من حكمه وهو خاص بالمنح التى أغدقها طهارقه على المعبود آمون رع(٤) .

وعلى الجزء الأسفل من الحـــائط الشرقى للمعبد رقم ت [T] ، والذى بناه طهارقه للإله آمون فى كوه نص طويل يرجع إلى العامين

---

(١) Macadam, Kawa 1, Text, 123.

(٢) Macadam, Kawa 1, Text, Stela of King Taharqa, p. 15 16 and pl. 8; Porter & Moss VII, p. 187; Priese, Der Beginn der kuschitischen Herrschaft, p. 22 ff, ZAS, 98, 1 S. 19—32.

(٣) Porter & Moss VII. p. 193.

(٤) Porter & Moss VII. 187/188.

الأول والثانى من زمن الملك Aman — nete ‎‎rike‏ (٤٣١ – ٤٠٥ ق . م)
يذكر فى سياقه اسم سلفه ألرا وإسم الملك طلخمانى (٤٣٥ – ٤٣١ ق.م)
أيضا (١).

فبالرغم من الأهمية الكبيرة التى أعطتها المصادر التى تلت عصر ألرا Alara لهذا الحاكم فإنه لايعتبر مؤسس الأسرة الفعلى وإنما يرجع الفضل فى ذلك إلى خليفة « ألرا » المدعى « كاشتا » Kashta ، فنحن نعرف عنه أنه شقيق « ألرا » . وربما كانت القاعدة المتبعة تقتضى بأن تكون وراثة العرش من نصيب الأخ بعد وفاة أخيه ، ثم تؤول بعد ذلك إلى الابن الأكبر للأخ الأول ، وهكذا ، على أن هذا التقليد لم يتبع فى أحيان كثيرة ، ولا ريب فى أن ذلك التقليد فى وراثة العرش إنما مرجعه إلى تقاليد محلية موروثة. ولقد حمل « كاشتا » لقب ملك ، بعكس سلفه . وعند توليه العرش حمل لقب « نى - ماعت - رع » . وهو اسم جديد يحمله الملك عند بلوغه العرش - على عادة ملوك مصر القدماء .

وضمن آثار كاشتا أحد النصوص من وادى حمامات بالصحراء الشرقية (٢) يذكر « العام الثانى عشر للملك كاشتا » ، ثم يذكر اسم « المتعبدة » أو الزوجة الإلهية (Dewat — Noter) أمرديس (عطية آمون) إبنة الملك « كاشتا » وهو نظام أستحدثه ملوك الأسرة الحادية والعشرين من قبل لفرض سيطرتهم على إقطاع كهنة آمون فى طيبة . وكان الملوك يعينون إحدى بناتهم فى منصب الزوجة الإلهية لآمون ، لكى تمسك فى يدها زمام الحكم فى طيبه . والجدير بالذكر أن هذا اللقب « المتعبدة الإلهيه » كان من أهم الألقاب الكهنوتية .

وهناك أيضا أحد الأختام (٣) وفيه يرد اسم « المتعبدة الإلهيه أمرديس المرحومة أبنة الملك سيد الأرضين كاشتا (مكتوبا داخل طغراء

---

(١) Macadam, Kawa 1, pls 17—26, pp. 50—67

(٢) L D Abt V Bl 1,e.

(٣) Davies and Macadam, 1957 A Corpus of inscribed Egyptian Funerary Cones, Plates, Part 1 584.



لوحة رقم ٥ — الأميرة أمنرديس [عطية آمون]

الملك) المعطى الحياة إلى الأبد » وأمام النص صورة لشخص راكع في وضع المتعبد . وفي متحف بوسطن قطعة من القيشاني تخص الملك كاشتا عثر عليها على سلم الهرم رقم ١ بالكرو(١) . ويحتمل أن المقبرة رقم ٨ في الكرو هي مقبرة الملك كاشتا ، وتأتي في الترتيب الزمني مباشرة بعد المقابر التي تغطي مرحلة الخمسة أجيال السابقة على قيام ذلك البيت الحاكم في نبته(٢) . وبالقرب منها تقع مقبرة زوجته المدعاة بيباتما Pebatma رقم ٧ ، هذا ولم يكن كاشتا يدعى لنفسه كل ألقاب ملوك مصر ، مع العلم أنه استطاع التقدم بجنده السودانيين نحو الشمال ، واستولى على مدينة طيبه وعلى جزء من صعيد مصر ، ثم أجبر الملك الليبي أسركون الثالث ، الذي كان يحكم في طيبه على التقهقر إلى الدلتا ، كما أرغم إبنة ذلك الملك الليبي أسركون الثالث Oserkon III —المدعاة شبنوبةالأولى ، Shepenupet والتي كانت على رأس كهنة آمون في طيبه — على تبني ابنته هو المدعاة أمنرديس الأولى (عطية آمون) Amenirdis ، بهدف السيطرة على كهنة آمون وعلى أملاكه ، وحملت بذلك لقب المتعبدة أو الزوجة الإلهية Dewat — Noter ولأمنرديس (الأولى) هذه تمثال رائع بالمتحف المصرى رقم ٥٦٥(٣) ، برداء شفاف يصل إلى القرب من القدمين ، وفوق الرأس غطاء فريد في نوعه ، فعلى الشعر المستعار تاج مستدير يتكون من زخرفة على هيئة إفريز من الثعابين يحيط بالرأس ، وعلى الجبهة ثلاث ثعابين بحجم أكبر ، بينا تمسك الأميرة بيدها اليسرى صولجانا ، أما اليمنى فتقبض على منديل ، والتمثال منحوت من حجر الألبستر (المرمر المصرى) الأبيض الشفاف ، والأنف مكسور منه قطعة ، والأذنان يتحليان بقرط مستدير كالقرص .

وبالمتحف المصرى أيضا تمثال صغير من الجرانيت الأشهب (رقم ٦١١) لأمنرديس الاولى مسجل عليه اسم والدها الملك كاشتا ، عثر عليه في « مدينة هابو » بطيبه الغربية .

---

(١) Dunham & Macadam, Relationships of the Royal Family at Napata JEA 35 p. 144, pl. XV.

(٢) Dunham, R. C. K. 1, Kurru, p. 2/3.

(٣) انظر اللوحة رقم ٥ .

وفى «متحف الفن الغربى والشرقى» بمدينة كييف Kiev بالاتحاد السوفيتى تمثال (رقم ١٢٨) من الجرانيت الأسود(١) (ارتفاعه ١٦ بوصة) لأحد الموظفين وعليه ألقاب صاحبه ، وعلى كل ذراع نقش اسم الأميرة إمنرديس الأولى داخل طغراء الملك .

وأصبح الملك كاشتا فى موقف الأقوى بعد ضمه لطيبه ولجزء من صعيد مصر إلى مملكته نبته . ويحتمل أن يكون الملك السودانى هو الذى بدأ بإقامة المعبد رقم ب ٨٠٠ فى حضن جبل البركل إلا أنه توفى عام ٧٥١ ق . م(٢) .

وكانت مدينة نبته جنوبى الشلال الرابع شرقى النيل هى عاصمة تلك الدولة. عند موقع المدينة الحديثة مروى (بخلاف مروى القديمة التى تدعى حاليا البجراوية) . أما أماكن الدفن فاختار لها ملوك تلك الأسرة مكانا مشرفا فى الغرب عند الكرو . تماما كما كان الحال فى طيبه عاصمة المملكة المصرية فى الدولة الحديثة ، والملاحظ أن اختيار مكان نبته لتكون عاصمة للدولة يقوم على أساس جغرافى سليم . فهناك يتسع السهل الزراعى نسبيا ويسهل الاتصال ببقية أنحاء السودان القديم . فبالجنوب يصلها النيل والطريق البرى الذى يبدأ عند « أبو دوم » ويخترق صحراء بيوضه حتى يصل إلى شندى ، وبالشمال يربطها النهر والطريق البرى المحاذى له .

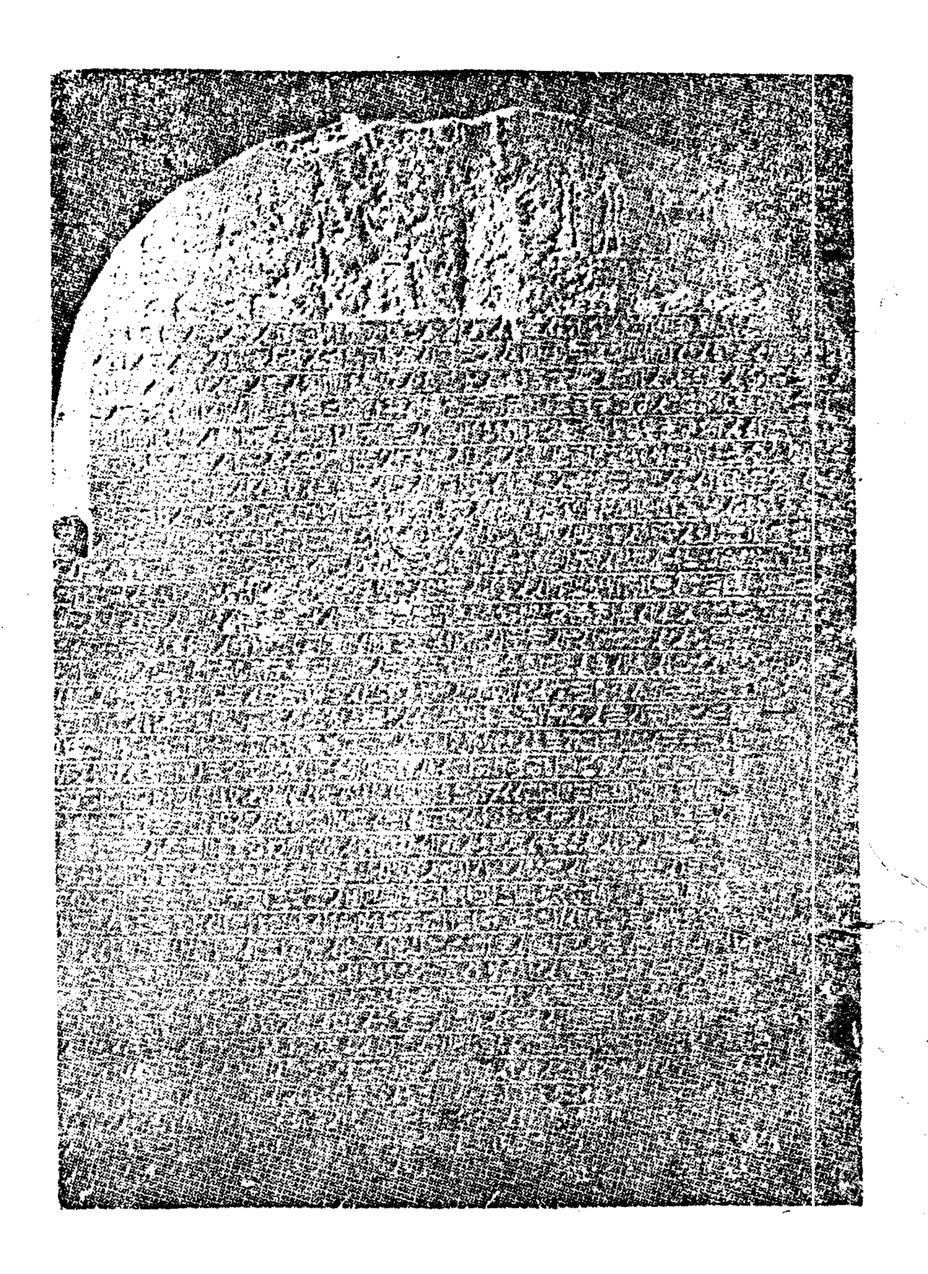
ويعتقد أن نبته كانت فى الأصل مركزاً من المراكز الحضارية التى أقامها ملوك الدولة الحديثة المصرية كما سبق أن ذكرنا .

وخلف الملك « كاشتا » لابنه وولى عهده « بعنخى » Piankhy (٧٥١— ٧١٦ ق . م) مهمة إتمام ما بدأه ، لفتح شمال الوادى وتوحيده تحت زعامة نبته . ومن قبل أشرنا (ص ٩١) إلى أن اسم بعنخى من الأسماء المصرية القليلة التى

---

(١) R. Moss, A Statue of an Ambassador to Ethiopia at Kiev, Kush VIII p. 269—271

(٢) وهو نفس التاريخ الذى اتفق على اعتباره تاريخ تأسيس مدينة روما .



لوحة رقم ٦ — لوح الملك بعنخى (المتحف المصرى)

حملها أفراد البيت الحاكم فى نبته . واسمه مشتق من كلمة « عنخ » = الحياة ولعل معناه « الحى » وكان هـذا الاسم معروفا فى مصر منذ زمن الأسرة الحادية والعشرين المصرية ، حيث حمله الأمير « بعنخى » ابن الملك «حريحور» عاهل تلك الأسرة . والذى عينه والده نائبا له فى كوش ،ويعتقد أنه آخر من حمل لقب «نائب الملك فى كوش» حينذاك(١) . كما حمل بعنخى ضمن ألقابه لقب « من — خبر — رع » وهو نفس اللقب الذى حمله ملك مصر تحوتمس الثالث عاهل الدولة الحديثة . وبعد ذلك حمل بعنخى اللقب «وسر — ماعت — رع» ثم « سنفر — رع » .

ولقد وصلت إلينـا أنباء فتح الملك بعنخى لمصر ، ضمن مجهوداته توحيد الوادى تحت لواء نبته مسجلة على لوح حجرى ضخم(٢) (١ر٨ × ١ر٨٤ مترا)عثر عليه عام١٨٦٢م فى معبد آمون بجبل البركل ونقل إلى متحف القاهرة (رقم ٤٨٨٦٢)،وألصقت به أربع قطع صغيرة وجدت مكسرة مع اللوح الذى أمر الملك بإقامته فى رحاب آمون فى عام حكمه الحادى والعشرين، تخليدا لعمله التاريخى العظيم . وفى قمة اللوح المتوج بقرص الشمس المجنح صور الملك « بعنخى » واقفا أمام الإله آمون الجالس على عرشه ، ومن خلف زوجته تقف المعبودة «نوت» ربة السماء . وعلى اللوح وصف مسهب لسير الوقائع الحربية ، كما يحتوى اللوح على معلومات قيمة عن معتقدات الأسرة السودانية الحاكمة فى نبته ، وعلى طرف من تقاليد ملوكها ، بالإضافة إلى معلومات جغرافية عن المنـاطق المصرية التى قام جيش الملك بعنخى بفتحهـا .

وحينما أمر بعنخى قواته بالتقدم شمالا لإعادة الأمور إلى نصابها فى مصر ، كان يوصيهم خيرا بمدينة آمون فيقول :

« إذا ما وصلتم مدينة طيبه ، وواجهتم معبد الكرنك ، فانزلوا إلى الماء وتطهروا فى النهر، ثم ارتدوا ملابسكم قبل أن تخرجوا إلى الشاطىء ، واخفضوا القوس ، وفكوا السهم ولا تتباهوا (تتفاخروا) بعظيم تباهيكم برب القوة

---

(١) قارن ص ٧١ .

(٢) انظر اللوحة رقم ٦ .

(آمون) ، فليس هناك من شجاعة شجاع بدونه ، فهو يجعل من الضعيف قويا ، ويجعل الكثرة تعطي ظهرها للقلة ، والرجل الفرد يغلب ألفاً وانثروا مياه قرابينه ، وقبلوا الأرض بين يديه ، وقولوا له : اهدنا الطريق (القويم) ، فكلنا نحارب في ظل بأسك ، فالجيش الذي تقوده ينتصر ، وتخضع له الكثرة » وتجيب قوات الجيش على الملك بعنخي بعد أن يلقوا بأنفسهم أمام جلالته « إن اسمك هو الذي يعطينا القوة . وتعلياتك هي التي ترشد جيشك ، نخبزك لا يزال في بطوننا على كل طريق ، وشرابك (بيرتك) يروى ظمأنا . وقوتك هي التي تمنحنا الطاقة . والمرء يفزع خشية إذا ما ذكر اسمك . ولن ينتصر جيش وقائده جبان . فمن ذا الذي يشبهك ؟ إنك ملك قوى نشيط وقائد لجيش مدرب » .

وهناك الجديد مما يمكن أن يقال عن قراءة اسم الملك بعنخي . فالاسم يقرأ حتى الآن على أنه مكون من : العلامات الهيروغليفية : ب + عنخ + ى . ومع أن هذا الاسم كان معروفا في مصر ، وحمله من قبل بعنخي ابن الملك حريحورمؤسس الأسرة الحادية والعشرين . إلا أن الباحث الألماني الشاب « بريزا » يرى أن الاسم ينطق بي Pyy فقط ، وليس بعنخي ، على اعتبار أن علامة الحياة (عنخ) التي تكون جزءاً من الاسم هي مجرد إضافة وضعت للتمني بطول العمر لصاحب الاسم ، كما حدث في بعض الأسماء الملكية الأخرى .

ومعبد آمون بجبل البركل (B-500) وضعت نواته في الدولة الحديثة المصرية ثم قام بعنخي بإعادة بنائه ، ووسع قاعاته ليكون على غرار معابد آمون الأخرى المقامة في شمال الوادي ، فعلى جانبي المدخل أقيمت ستة تماثيل جرانيتية للكباش ، رمز الخصب ، والرمز المقدس للمعبود آمون ، وهي تحتضن تماثيل صغيرة للملك أمينوفيس الثالث نقلها بعنخي من « صلب » إلى نبته ، وعلى البوابة الخارجية مثل الملك في تصوير رمزي ينقض على الأعداء ، بقي من الرسم بعض النقوش السفلية فقط ، وبينما

اندثر معظم الأثر ، فما زالت صورة أحد الأسرى الإغريق باقية(١)، وتتكرر البوابات الضخمة الواحدة تلو الأخرى تصل ما بين قاعات المعبد المتعددة ، قبل الوصول إلى قدس الأقداس، حيث كان يقوم تمثال المعبود آمون والذى لم يبق منه سوى القاعدة الحجرية التى كانت تحمل ذلك التمثال .

وقد عاصر هذا المعبد أيام ازدهار الحضارة زمن ملوك نبته ومروى ، وعثر فيه على ألواح جرانيتيه فى غاية الأهمية منها لوح فتح مصر للملك بعنخى (المتحف المصرى رقم ٤٨٨٦٢) ، لوح الحلم للملك تانوت أمانى (رقم ٤٨٨٦٤) ولوح الملك حورسيوتف ، ولوح الملك تانيد أمانى (بوسطن 23.736) والمكتوب بالخط المروى المبسط ، ولوح يخص الملكة سخمخ Sakhmakh زوجة الملك نستاسن (متحف الخرطوم رقم ١٨٥٣)(٢) .

وبعد وفاة الأميرة الكاهنة — أمنرديس الأولى ابنة الملك كاشتا ، المهيمنة على كهنة آمون بطيبه ، نصب بعنخى ابنته ، بعد أن حملت لقب شبنؤبة الثانية ، لتحل مكانها ، وتشرف هى وعمدة طيبه المدعو « منتومحات » على ضياع آمون المقدسة فى إقليم طيبه .

وضمن مقابر الملكات بالكرو عثر على خمسة مقابر لزوجات الملك بعنخى ، عرف منهن : « تقروكا — كاشتا » ، « تابيرى » ، « بكساتر » Peksater ، وكنزه Kensa .

وبعد أن استطاع الملك بعنخى فتح مدينة منف عند رأس الدلتا فى منتصف عام حكمه العشرين، تقبل الولاء من جميع أمراء وملوك الدلتا ومصر الوسطى من قواد الجيوش الليبيين وبعض الأمراء المصريين . ثم أعلن نفسه ملكا على مصر كلها ، وقفل راجعا إلى نبته عاصمته الأولى فى نهاية عام حكمه العشرين . حيث أمر بتخليد أعماله على لوحه الشهير وذلك فى العام الحادى والعشرين من حكمه .

---

(١) وهم أولئك الجنود المرتزقة الذين اعتمدت عليهم الأسرة السادسة والعشرين فى مصر ، التى دخل ملوكها فى صراعات مع ملوك نبته ، وقد بدأوا منذ ذلك الحين فى تكوين جالية إغريقية كبيرة فى مصر .

(٢) Porter-Moss VII, 215 ff.

ولكن الأمور تطورت فى مصر بسرعة مذهلة ، إذ استغل الفرصة أحد أمراء الدلتا ويدعى « تف — نخت » Tef-nakhte (٧٣٠—٧٢٠ق . م) وأعلن نفسه ملكا على مصر متخذاً من مدينة سايس (صا الحجر) بالدلتا عاصمة لأسرته ، التى اعتبرت الأسرة الرابعة والعشرين فى تقسيم المؤرخ المصرى مانيتون . وخلف « تف — نخت » على العرش فى مصر ابنه باكنرنف Baken—renef . ومعناه بالمصرية « مولى أو ربيب اسمه » والذى أطلقت عليه المصادر الإغريقية اسم « بوخوريس » Bochoris . كما تحدثت عنه المصادر الكلاسيكية ، ونسبت إليه أعمالا كثيرة لا نملك الدليل لتأييدها ، فقد ذكر المؤرخ ديودور مثلا أن بوخوريس كان مشرعا للقوانين ، ولكن حكم بوخوريس لم يستمر طويلا (٧٢٠—٧١٥ ق.م) حين أقبل الملك شباكو Shabako (٧١٦ — ٧٠١ ق . م) خليفة بعنخى نحو الشمال وأعاد فتح مصر كلها . وذكر المؤرخ مانيتون أن الملك شباكو قام بحرق الملك بوخوريس(١) ، وأنهى بذلك حكم الأسرة الرابعة والعشرين. ولكننا لا نملك الدليل على صحة قول هذا المؤرخ . مع العلم أن عادة حرق البشر عموما لم تمارس بأى شكل خلال التاريخ الطويل لوادى النيل مصره وسودانه .

وأطلقت المصادر الإغريقية على شباكو اسم شباكون Sabacon وكان يحمل اللقب المصرى « نفر - كارع » (روح رع الطيبة) الذى حمله من قبل الملك بيبى الثانى من ملوك الأسرة السادسة المصرية .

وورد اسم شباكو على أحد أعمدة الفناء الداخلى لمعبد ب B المخصص لآمون فى مدينة كوه ، ضمن نص خاص بنفس الملك(٢).

وفى متحف الخرطوم الأثر رقم ٥٤٥٨ [لم ينشر بعد] عبارة عن خاتم من البرونز ربما خصص لوضع علامات بالحرق على الماشية . وعليه اسم الملك شباكو داخل خرطوش عثر عليه فى Amentago شرق النيل بالقرب من جزيرة الملك شمالى دنقله العجوز(٣) .

---

(١) Otto, Aegypten, S. 228.

(٢) Porter-Moss VII p. 184;
Kawa II pl. xlii and figs. 11, 12, 14 cf. i, p. 91.

(٣) Porter—Moss VII. p. 192

وشباكو هو صاحب الهرم رقم ١٥ بالكرو [فى تقسيم بورتر ، موس Porter-Moss] وقد عثر بداخله على مائدة قرابين من الجرانيت الأشهب (متحف الخرطوم رقم ١٩٠٤) وعلى قطعة من مائدة قرابين أخرى من القيشانى ، وكلاهما عليه نصوص ، وهناك أيضا عثر على مرآة من البرونز ذات مقبض من الذهب وبقايا أخرى(١) .

وفى جبانة الخيل بالكرو عثر على ثمانية دفنات لخيل تخص الملك شباكو وحده .

وعلى بعد حوالى نصف كيلومتر من معبد آمون رع الذى أقامه طهارقه ، فى « صنم » Sanam عثر على خاتم للملك شباكو [محفوظ بمتحف برلين] ضمن أختام للملك بعنخى وإسبلتا ومنخبررع [تحوتمس الثالث ؟] مع آثار أخرى موزعة على متاحف العالم ، وفى متحف الخرطوم جعل (جعران) عليه اسم الملك شباكو يحمل رقم ٣٦٤٣ عثر عليه فى « سنار » .

وإلى الجنوب الغربى من سنار بحوالى ٢٩ كم عند الموقع المعروف « بجبل مويه » عثر على اسم الملك شباكو على لوحة تذكارية صغيرة من القيانس (القيشانى)(٢) .

أقام الملك شباكو فى معبد الكرنك فى مصر أجزاء معمارية هامة(٣) .

وفى الكرنك أيضا أرخ تسجيل ارتفاع مياه الفيضان بالعام الثانى من حكم «الملك شباكو ملك الشمال والجنوب » (٤).

---

(١) Porter and Moss VII p. 196.

(٢) وهناك يذكر : Porter- Moss, VII, p. 273,
Addison, Jebel Moya, i. p. 118.

(٣) J. Leclant, Bibliotéque D'Etude, T. XXXVI (1965) planches, pl. VI, § 7. Colonnade au Nord-Est de la salle hypostyle, pl.VII Trésor de Chabaka au Nord du Grand temple d'Amon de Karnak.
J. Leclant, Recherches sur les monuments Thébains de la XXVE Dynastie Dite Ethiopienne, Bibliothèque d'Etude, T.XXXVI.

(٤) Vercoutter, "Napatan Kings and Apis Worship", Kush VIII p. 66 Note 27.

وفى السرابيوم مدفن العجول المقدسة بسقاره (رمز المعبود أبيس — بتاح معبود مدينه منف) ما يشير إلى أنه فى العام الثانى من حكم الملك شباكو تم دفن أحد تلك العجول فى إحتفال كبير قرب نهاية الطرف الشمالى للسرابيوم، داخل غرفة خاصة متفرعة من السرداب المخصص لدفن العجول، حيث عثر على اسم الملك شباكو على جدار غرفة دفن ذلك العجل(١).

وبالمتحف المصرى أثر صغير ٠٫٠٧×٠٫٠٧ متراً يحمل رقم ٦٧٫٩٧٩ . عليه اسم الملك «ابن الشمس شباكو» ولقبه ملك الجنوب والشمال «نفر كارع» ولا شيء سوى ذلك . ولا يعرف مكان العثور عليه ، ولكنه دخل المتحف المصرى ضمن مجموعة الاثار التى أهداها الملك فؤاد الأول للمتحف عام ١٩٣٦م واعتقد أن هذا الأثر لم ينشر حتى الآن(٢). وفى وادى حمامات ما بين النيل والبحر الأحمر أرخ أحد الرجال لبعثته بالعام الثانى عشر من حكم الملك شباكو ، وكانت أمنرديس قيمة على شئون الكهانة وقتذاك فى طيبه . كما عثر على اسم الملك طهارقه أيضاً فى نفس ذلك الوادى(٣) .

وفى الواحة البحرية فى صحراء مصر الغربية عثر على إحدى القطع الحجرية عليها كتابات ضمنها اسم شباكو ، وكانت خاصة بمقصورة للملك طهارقه ثم نقلت ليعاد استعمالها فى المساكن الحالية لأهالى الواحة(٤) .

وفى تونس فى المنطقة القريبة من قرطاش (قرطاجه) عثر على قطعة من الصلصال عليها اسم شباكو(٥) .

وفى المتحف البريطانى نص قديم جداً (رقم ١٣٥) ، أسطورى المحتوى (Mythological text) عثر عليه فى منف، ويتضمن أجزاء من أسطورة

---

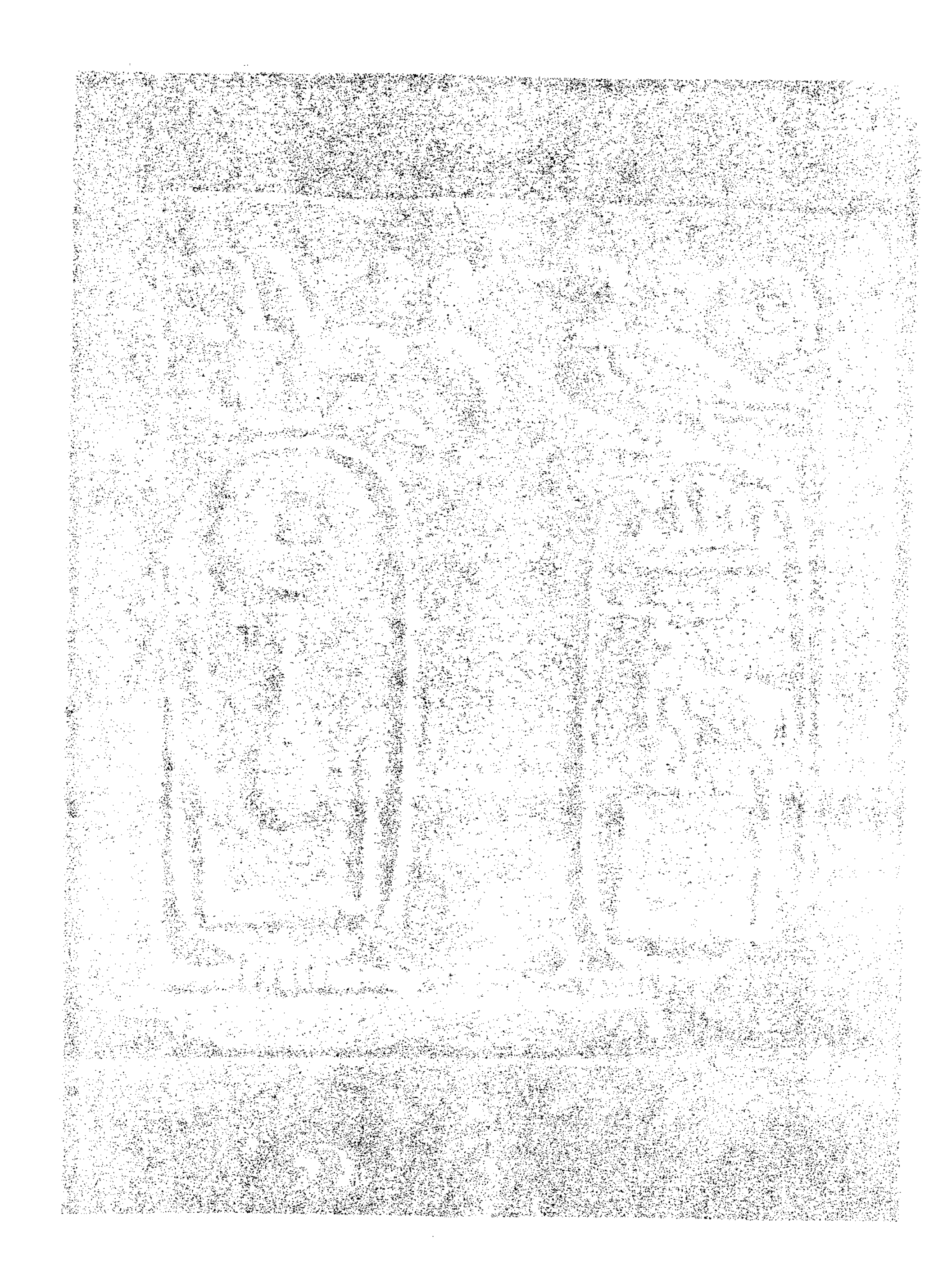
(١) Vercoutter, op. cit. Kush VIII p. 65.

(٢) انظر اللوحة رقم ٧ .

(٣) Porter-Moss VII p. 334, 335.

(٤) Fakhry, Baharia Oasis, ii, pp. 73-80 with figs 53-64, and pls. Xlvii, Xlvii.

(٥) Vercoutter, Les Objets égyptiens et égyptisants du mobilier funéraire carthaginois, pl. XXIV [877] and pp. 262-3.





لوحة رقم ٧ — لوحة من القيشانى تحمل اسم «ملك الجنوب والشمال الملك شباكو» ولقبه «ابن الشمس نفركارع»

(تنشر لأول مرة) (المتحف المصرى)

إيزيس وأوزيريس(١) كان شباكو قد أمر بإعادة صياغته .

وفى خلال فترة حكم الملك بوخوريس القصيرة فى عمر الزمان سعى ذلك الملك لعقد أحلاف مع أمراء فلسطين لمقاومة الضغط الآشورى . وذكر أنه أرسل جيشا مصريا لتأييد ثورة قامت فى فلسطين . إلا أن الملك الآشورى سرجون الثانى Sargon II تمكن من ضرب الجيش المصرى عند رفح .

وهكذا أستطاع ملوك نبته السودانيين تأسيس البيت الحاكم الذى عرف فى تاريخ حضارات وادى النيل باسم « الأسرة الخامسة والعشرين » . واستمر أفراد ذلك البيت الحاكم فى بناء مقابرهم فى نبته عند الشلال الرابع ، وأعتبروا كلا من منف وتانيس (فى شرق الدلتا) عاصمتين متبادلتين ، وأصبحوا على صلة بأحداث العالم القديم .

وشيد ملوك نبته مقابرهم على الشكل الهرمى ، الذى عرفته مصر منذ أيام الدولة القديمة فى منف وفى إقليم الفيوم تم فى جبانة دير المدينة بطيبه مستخدمين الحجر النوبى المحلى ، وهو حجر ردىء ضعيف نسبيا إذا ما قورن بالحجر الجيرى ، وكان ذلك سببا فى سرعة تأثرها بعوامل التعرية وضياع معظم نقوشها وتفاصيلها المعارية .. وكانت المجموعة الهرمية لكل فرد من أفراد الأسرة المالكة تتألف من : الهرم مركز المجموعة كلها ، وهو فى حد ذاته مبنى حجرى ليس به أى حجرات أو ممرات ، يلحق به مقصورة صغيرة نسبيا ، وبسيطة التكوين دائما — وذلك من أهم مميزات المعابد الجنائزية لملوك نبته — وكانت مخصصة لأستقبال الزائرين فى مناسبات أعياد الجبانة المختلفة . وكانت جدرانها مغطاة بالصور الدينية والدنيوية ، كما حملت واجهتها صورا تقليدية للملوك ينتصرون على الأعداء . ويقدمون القرابين للآلهة ، وفى المقابر المتأخرة نسبياً من عصر مملكة مروى نجد صدى كبيراً للمعتقدات المصرية التى وردت فى كتاب الموتى عن البعث وعن الحياة فى العالم الآخر . وكان الدفن يتم عادة فى حجرات تحت سطح الأرض ، بدأت بسيطة

(١) ZAS, 39, Taf I, II. نقلا عن قاموس برابن الكبير . وهى قصة الصراع بين الخير والشر .

التكاوين ثم تعددت، ولكنها كانت تنتهي أسفل مبنى الهرم والمعبد الجنائزى ، وبطبيعة الحال كان يتم إغلاق المدخل والممرات الملحقة بعد الدفن حتى لا تصل إليها أيدى العابثين . والجدير بالذكر أن ملوك نبته ومروى حافظوا دواما على ذلك التقليد بالنسبة لبناء المعبد الجنائزى البسيط (المقصورة) الملحق بالهرم . وربما كان ذلك مرجعه إلى تقاليد موروثة عن حضارتهم القديمة (١)

وتعد جبانة «الكرو» على الجانب الغربى للنيل إلى الجنوب من «كريمه» أقدم مناطق الدفن الخاصة بأفراد تلك الأسرة ، وفى ثراها وسدت أجساد أسلافهم الأولين الذين حكموا قبل الملك كاشتا ، والبالغ عددهم ثلاثة عشر . ولقد أدت دراسة مقابرهم بعد كشفها بواسطة ريزنر ودنهام إلى معرفة الكثير عن أصل ذلك البيت الحاكم فى نبته . ويعتقد أن مقبرة « ألرا » واحدة من تلك المقابر الثلاثة عشر . وفى « الكرو » أيضاً شيدت أهرامات الملوك بعنخى (وربما كان هو أول من اتخذ الشكل الهرمى الكامل لبناء مقبرته)، وشباكو ٧١٦ — ٧٠١ ق . م وشبتكو ٧٠١ — ٦٨٩/٦٩٠ ق . م ثم مقبرة تانوت أمانى ٦٦٣ — ٦٢٣ ق . م ، ومقبرة أمه قلهته Qalhata اللتان احتفظتا بألوان نقوشهما الداخلية حتى اليوم .

وفى الكرو إلى جانب مقابر أسلاف البيت المالك فى نبته ، ومقابر الملوك والملكات ، عثر أيضا على مقابر الخيل الملكية ، وبلغ عددها أربعا وعشرين مقبرة . وتقع إلى جوار مقابر الملكات مباشرة (وهى تحمل الأرقام من Ku. 201 إلى Ku. 224 فى حفائر دنهام(٢)) وكانت تخص الملوك بعنخى (٤ خيول) وشباكو (٨ خيول) وشبتكو (٨ خيول) ثم تانوت أمانى (٤ خيول) . وعثر فى معظمها على بعض عظام تلك الخيل ، وعلى كثير مما كانت تزين وتسرج به . ولوحظ أنها كانت تدفن واقفة بعد أن تحفر الأرض من تحت أقدامها إلى أن تستقر بطونها على الأرض ، كما لم يعثر على رأس أى منها ، مما يدعو للشك فى أن الرؤوس ربما تكون قد فصلت عن أجسادها قبل الدفن لسبب أو لآخر . وفى متحف الخرطوم بعض من

---

(١) انظر الشكل رقم ٥ .

(٢) Dunham, Kurru, p. 110 ff.

زينته تلك الخيول تحمل الأرقام من ١٩١٥ - إلى ١٩١٨ ، وفى متحف بوسطن بالولايات المتحدة الأمريكية قطع أخرى (أرقام ٢١ر١٠٥٦٥ — ٢١ر١٠٥٦٧ — ٢١ر١٠٥٦٨ — ٢١ر١٠٥٦٨) .

إن ظاهرة اهتمام ملوك نبته بتربية الخيول لأمر ملفت للنظر حقا . وتجلى ذلك على اللوح التذكارى للملك بعنخى الذى خلد به فتحه لمصر . فعلى القسم العلوى للصور من ذاك اللوح صور جواد من خلف الملك « نمرود » حاكم إقليم الأشمونين (بمصر الوسطى ، وهو ليبى الأصل) فى مواجهة الملك بعنخى ، كما ورد كذلك فى رواية بعنخى عن فتح مصر على نفس اللوح ، أنه وجه لوما شديدا لأمير إقليم الأشمونين هذا(١) . وتذكر المراجع التى تحدثت عن معبد آمون بجبل البركل أنه شوهدت صور للخيل تخص الملك بعنخى (وذلك قبل عام ١٩٢١ م) على جدار المعبد فى بهوه الأمامى(٢) ، إلا أن ذلك المنظر قد زال بفعل عوامل التعرية ، وفى أحد أهرامات منطقة نورى — ويحمل رقم ٨ فى جبانة دنهام ويخص الملك أسبلتا(٣)— عثر على حلية ذهبية تحمل نصا يشير إلى صلتها بزينة الجواد الملكى : « الحصان العظيم لابن الشمس أسبلتا ، ملك الجنوب والشمال مرى - كا - رع » ولعلها كانت جزءا من زينة ذلك الجواد . وتجدر الإشارة هنا إلى أن ملوك السودان القديم استعملوا نفس الألقاب الملكية المصرية بصرف النظر عن مدلولها ، إذ أصبح لقب « ملك الجنوب والشمال » لا يعنى أكثر من أن صاحبه ملك شرعى . وهناك منظر لرجل يمتطى جوادا ومن أمامه سائس ومن خلفه تابع آخر (عثر عليه فى كوه) ويعتبر ذلك من المناظر الفريدة التى تشير إلى استعمال الخيول للركوب فوق ظهورها بعد أن ظلت زمنا طويلا لا تستعمل إلا لجر العربات فقط (٤) .

---

(١) انظر لوح الملك بعنخى فى . . . . . . Urk. III, S. 21 — 22.

(٢) Porter-Moss VII, p. 216.

(٣) Dunham, Nuri, p. 85, 16—4—69.

(٤) Macadam, Kawa II plates, pl. I b.

ومن الطريف حقا أن يكشف رجال الآثار ضمن جبانة الخيول تلك عن قبرين صغيرين (Ku. 225/226) خصصا لدفن كلبين لعلهما من الكلاب الملكية ، رأى صاحبهما أن دفنهما بهذا الوضع هو نوع من الوفاء نحوهما .

ولفت نظرى أثناء دراستى ظاهرة اهتمام أفراد البيت الحاكم بدفن حيواناتهم الأليفة المحببة لديهم . كالخيول والكلاب . وبالبحث والاستقصاء تبين أن تلك الظاهرة لها جذور عميقة ممتدة نحو الماضى البعيد الخاص بحضارات السودان القديم ، لا يستثنى من ذلك حضارات النوبة السفلى أو حضارة كرمه التى ازدهرت فى منطقه النوبة العليا وشمال السودان . مع أن ذلك لم يكن أمره مألوفا لدى جيرانهم فى شمال الوادى . وعند الكشف عن الحضارة التى عرفت قديما باسم «المجموعة المجهولة» — والتى تتفق تماما مع أصحاب الحضارة التى ورثت حضارة مروى — تبين استمرار عادة دفن الخيول الملكية فى أبهى زينتها ، كما ظهر فى حفائر بلانه وقسطل بالنوبة المصرية .

أما آثار الملك شبتكو Shebitku فيمكن إيجازها فيما يلى :

فى جبانة الكرو عثر فى المقبرة رقم ١٨ (حسب تقسيم ريزنر) على تمثال صغير مما يعرف بتماثيل المجاوبين يحمل اسم شبتكو ، كما عثر فى غرفة الدفن على قطع من الأبنوس المطعم بالعاج وعليها صور تقليدية لبعض الأجانب (فى متحف بوسطن رقم ٢١ر٣٠٨ ، ٢٤ر١٠١٨ وفى متحف الخرطوم رقم ١٥٧٥)[١]، وفى متحف الخرطوم قطعة من القيانس (رقم ٢٧٤٩) تحمل اسم شبتكو عثر عليها فى الغرفة الغربية المعبد الذى يطلق عليه A فى مدينة كوه ، وهو المعبد الذى بناه الملك توت عنخ آمون وأضاف إليه الملك طهارقه ، مما يشير إلى أن الملك شبتكو قد ترك آثارا فى كوه (٢) .

وقد عثر فى جبانة الخيول بالكرو على مخلفات لدفات ثمانية خيول تخص شبتكو وتحمل الأرقام من ٢٠٩ حتى ٢١٦ فى تقسيم ريزنر .

وفى مقبرة الملكة أرتى Arty زوجة شبتكو وابنة الملك بعنخى التى تحمل رقم ٦ فى تقسيم ريزنر عثر على تمثال صغير من البرونز لغزال محفوظ بمتحف الخرطوم (رقم ١٥٧٢) .

---

(١) Porter - Moss VII 197.

(٢) Kawa I, pl. 35, p. 87.

ومن زوجاته أيضاً الملكة قلهته Qalbata صاحبة الهرم رقم ٥ بجبانة الكرو وهو المشهور بغرفة دفنه ذات الألوان والرسوم الجنائزية . والملكة قلهته هى أم الملك تانوت أمانى .

وقد ورد ذكر الملكة قلهته على لوح يخص ابنها الملك تانوت أمانى . ويعرف بلوح الحلم . حيث صورت مع الملك أعلى اللوح (المتحف المصرى رقم ٤٨٨٦٣) .

وفى جبانة الكرو دفن الملوك :-

١ — ألرا	الكرو رقم (؟)	—	—
٢ — كاشتا	الكرو رقم ٨ (؟)	——	٧٥١ ق.م
٣ — بعنخى	الكرو رقم ١٧	٧٥١ - ٧١٦ ق.م	
٤ — شباكو	الكرو رقم ١٥	٧١٦ - ٧٠١ ق.م	
٥ — شبتكو	الكرو ١٨	٧٠١ - ٦٨٩ ق.م	
٦ —	(طهارقه دفن فى نورى رقم ١)	٦٨٩ - ٦٦٣ ق.م	
٧ — تانوت أمانى	الكرو ١٦	٦٦٣ - ٦٢٣ ق.م	

وبعد أن امتلأ المكان فى « الكرو » بأهرامات أفراد الأسرة المالكة فى نبته ، وقع الاختيار على المنطقة التى تعرف حاليا باسم « نورى » ، والتى تقع إلى الشمال من الكرو شرق النيل، لكى تكون مستقرهم الأبدى ، وفيها بنى الملك طهارقه (ورد اسمه تيرهاقا فى التوراة) ٦٩٠/٦٨٩ — ٦٦٤/٦٦٣ ق.م أكبر أهرامات تلك المنطقة . وفى حفائر البعثة الإيطالية التابعة لجامعة بيزيه Pise تحت إشراف الباحث جيورجيني Giorgini فى منطقة سدنقه (صادنقه) Sedeinga غربى النيل ما بين جزيرة صاى فى الشمال وصلب فى الجنوب[1] ، فى ذلك الموقع الذى يضم معبد الملكة المصرية الشهيرة « تى » زوجة الملك أمينوفيس الثالث عاهل الدولة الحديثة[2]، والذى كان مأهولا دواما بعد ذلك حتى العصر المسيحى، عثرت البعثة الأثرية فى الجبانة الملحقة بالمنطقة على مقبرة هرمية طول ضلع قاعدتها ٩٫٨٠ متراً وتحمل بعض تفاصيلها المعمارية نصوصا

(١) Kush XIII 1965, pp. 112–130.

(٢) يعتقد المؤرخون أن الملكة المصرية « تى » أصلها من إقليم النوبة .

ضمنها أجزاء من اسم الملك طهارقه (الهرم يحمل رقم W T 1 فى تقارير الحفائر) . وفى داخل غرفة الدفن المحفورة بعناية فى الصخر الطبيعى تحت الهرم ، والذى يؤدى إليها درج ينتهى بقاعة أمامية توصل إلى غرفة الدفن المذكورة ، عثر على قطع لعظام آدمية ثبت أنها لهيكل عظمى واحد . أما الهرم المبنى فوق سطح الأرض فقد ألحقت به مقصورة جنائزية بسيطة التكوين يضمها والهرم جدار محيط . ولكن ما هو المعنى من وراء بناء مقبرة للملك طهارقه فى سدنقه (صادنقه) البعيدة نسبيا عن مراكز الثقل السياسى المعروفة سواء فى نبته أو فى مصر ؟ وما معنى أن يبنى لنفس الملك هرم آخر فى نورى ، ذلك الهرم الذى لم يعثر بداخله على آثار للدفن كما ذكر ريزنر Reisner عندما قام بالكشف عنه ؟ لابد أن يتبادر إلى الذهن والحالة هذه أن أحد الهرمين يحتمل أن يكون هرما وهميا تذكاريا خصص للروح فقط ، وأقيم فى بقعة دينية هامة أختارها صاحب المقبرة لسبب ما . أما دفن الملك فيرجح جيورجينى أنه تم فعلا فى هرم سدنقه ، بدليل العظام الآدمية التى عثر عليها داخل غرفة الدفن . وأعتقد أن جيورجينى مصيبا فى رأيه فهناك أمثلة من التاريخ المصرى القديم لا تختلف عن ذلك . ويكفى أن نعلم أن بعض ملوك الأسرتين الأولى والثانية بنوا لأنفسهم مقابر للروح فى البقعة الدينية الشهيرة أبيدوس موطن ومستقر الإله أوزيريس ، بينما استقرت أجسادهم إما فى سقاره أو فى نقاده . وكذلك فعل الملك زوسر مؤسس الأسرة الثالثة الذى بنى لنفسه مقبرة على شكل مصطبة فى « بيت خلاف » قرب أبيدوس ، (فى محافظة سوهاج) عاد وأقام الهرم المدرج لكى يدفن فيه . وهكذا من خلال فهمنا لمعتقدات أولئك القوم نستطيع أن نفسر كثيراً مما يبدو لنا غامضا من تاريخ ملوك السودان القديم حيث لم تختلف الخلفية الدينية كثيراً عما كان سائدا فى مصر القديمة .

وفى كوه كشف جرفث عام ١٩٣٠ م عن معبد رائع للملك طهارقه ضمن ما كشف من معابد وآثار للملوك أمينوفيس الثالث وإخناتون وتوت عنخ آمون .

وفى معبد آمون الكبير (B 500) فى جبل البركل قاعدة من الجرانيت الأشهب مازالت قائمة فى مكانها ، كانت مخصصة لحمل تمثال الإله آمون



لوحة رقم ٨ — رأس من الجرانيت الأسود للملك طهارقه (المتحف المصري)

داخل مقصورته الذهبية . ونحمل القاعدة اسم الملك طهارقه ولقبه بحجم كبير (طهارقه + نفرتم ـخورع) وسط نقش يمثل وحدة وادى النيل عبارة عن صورتين لإله النيل ، واحدة يمثل نيل الشمال والأخرى تمثل نيل الجنوب يقومان بشد حبل لعقد رمز الوحدة ، وهو عبارة عن رسم يمثل الرئتين والقصبة الهوائية (١) .

وفى متحف الخرطوم تمثال ضخم يمثل الملك طهارقه واقفا (كان محفوظا فى متحف مروى من قبل) .

وبالمتحف المصرى رأس من الجرانيت الأحمر للملك طهارقه إرتفاعها ٣٦ سم وتحمل رقم ١٢٩١ اقتناها المتحف من أحد تجار الآثار . بالإضافة إلى رأس من الجرانيت الأسود رقم ٥٦٠ كان يحمل فوقها ريشتين ونقدتا (أنظر اللوحة رقم ٨) .

وبمتحف اللوفر تمثال صغير للملك طهارقه يمثل راكعا يقدم قربانا للإله الصقر (حورس) وتمثال الملك من البرونز المذهب والقاعدة من الخشب المغطى بالفضة . واسم الملك مكتوب على حزام خصره من الخلف .

وهناك فى متحف اللوفر أيضا تمثال صغير آخر ارتفاعه ٧ سم للملك طهارقه بجسم أسد واقف ورأسه رأس إنسان طويل الذقن واسمه مسجل على الصدر ، ومن أمامه ثعبانان .

وفى تل النبى يونس بالعراق عثر على ثلاثة تماثيل مكسورة للملك طهارقه ، كان الملك الآشورى إسرحدون قد نقلها معه فى أعقاب حملته على مصر (٢) .

وفى متحف كوبنهاجن رأس تمثال صغير للملك طهارقه .

وهناك نقش صخرى مؤرخ بالعام التاسع عشر من حكم الملك طهارقه فى خور Hanushiya ويقع ما بين طافا وكلابشه بالنوبة المصرية (٣) .

(١) Vercoutter, Stand for A Sacred Bark or Altar? Kush V. p. 87 ff. pl. XXI.

(٢) W. K Simpson. The Pharao Taharka, Sumer 10, Bagdad 1954 pp 193/194.

(٣) Porter—Moss VII p. 10.

وسار عدد كبير من ملوك وملكات نبته على نهج الملك طهارقه فى بناء مقابرهم فى نورى، وذلك بعد أن أصبح حكم مملكة نبته قاصرا على السودان وحده دون مصر. ونستطيع أن نعدد منهم أكثر من إثنين وعشرين هرما للملوك فى نورى .

١ — طهارقه (تيرهاقا) ويلقب [نفرتم - خورع] صاحب أكبر هرم فى نورى (Nu. 1) ٦٩٠ — ٦٦٣/٦٦٤ [الملك تانوت أمانى (با - كا - رع) خليفة طهارقه هرمه فى الكرو] .

٢ — أطلانرسه — Atlanersa نورى رقم (٢٠ ؟) [خو - كا - رع] ٦٢٣ — ٦٤٣ ق . م .

٣ — سنك — أمانسكن Senk - amaniskeu [سخبر - ان - رع]. صاحب أكبر هرم فى نورى بعد طهارقه (نورى رقم ٣) ٦٤٣— ٦٢٣ ق.م .

٤ — أنلامانى Anlamani [عنخ - كا - رع] . [تابوته الشهير فى متحف مروى] نورى (٦) ٦٢٣ — ٥٩٣ ق . م .

٥ — أسبلتا (أسبلته) Aspelta [مر - كا-رع].(تابوته فى بوسطن)وهرمه فى نورى رقم (٨) ٥٩٣ — ٥٦٨ ق . م وفى عهده انتقلت العاصمة إلى مروى (البجراوية) بينما استمر الدفن فى نورى .

٦ — أمطالقه (حور مطالقه) Amtalqa [واز - كا - رع] . هرمه فى نورى رقم (٩) ٥٦٨ — ٥٥٥ ق . م .

٧ — مالِيناقن Malenaqen [سخم - كا - رع] نورى رقم (٥) ٥٥٥ — ٥٤٢ ق . م(١) .

٨ — أنلمعيه Anlamaaye [نفر - كا - رع] . نورى رقم (١٨) ٥٤٢ — ٥٣٨ ق . م .

٩ — أمانى — ناتاكى — لبته Amani-Nataki-Lebte [عنخ - برو - رع]. نورى (١٠) ٥٣٨ — ٥١٩ ق . م .

---

(١) الملوك من رقم ٢ إلى رقم ٧ هم أصحاب أكبر الأهرامات فى جبانة نورى بعد هرم الملك طهارقه .

١٠ — كركانى Karkamani نورى رقم (٧) ٥١٩ — ٥١٠ ق . م .

١١ — أمانى — سطبارقه Amaniastabarqo [سحتب - كا - رع] . نورى رقم (٢) ٥١٠ — ٤٨٧ ق . م .

١٢ — سيعسبقه (؟) Siaspiqo [سجر - حتاو - رع] . نورى رقم (٤) ٤٨٧ — ٤٦٨ ق . م .

١٣ — نسخما Nasakhma نورى رقم (١٩) ٤٦٨ — ٤٦٣ ق . م .

١٤ — مالويبامانى Male-wieb-amani [خبر - كا - رع] . نورى رقم (١١) ٤٦٣ — ٤٣٥ ق . م .

١٥ — طلخمانى Talkhamani نورى (١٦) ٤٣٥ — ٤٣١ ق . م .

١٦ — أمانى — نتيركا Amani.Nete-Yerike [نفر - إيب - رع] نورى (١٢) ٤٣١ — ٤٠٥ ق . م .

١٧ — بسكاكين Baskakeren نورى (١٧) ٤٠٥ — ٤٠٤ ق . م .

١٨ — حور سيوتف Harsiyotef نورى (١٣) ٤٠٤ — ٣٦٩ ق . م .

١٩ — ك . . . . نورى (١) ٣٦٩ — ٣٥٣ ق . م .

٢٠ — أخرتن Akhratan نورى (١٤) ٣٥٠ — ٣٣٥ ق . م .

٢١ — نستاسن (نسطاسن) Nastasen [كا - عنخ - رع] نورى (١٥) ٣٣٥ — ٣١٥ ق . م .

٢٢ — أمانى باخى (؟) نورى (؟) ٣١٠ — ٢٩٥ ق . م .

ثم انتقل الدفن إلى البركل ثم إلى البجراويه .

والملاحظ أن معظم أسماء الملوك لهذه المجموعة تتألف من اسم الإله آمون مع إضافة الياء (أمانى) ولعلها للنداء أو للرجاء . كما يلاحظ كذلك تكرار المقطع مالى male (أو mle) فى أسماء الملوك وهى كلمة مروية معناها جميل أو حسن كما سبق ذكره (راجع ص١٠١ ، ١٠٢) .

وتدل المخلفات الأثرية لأصحاب حضارة نبته على أن أهلها قد تأثروا إلى حد كبير بالحضارة المصرية، فأضحى الكثير من مظاهر حضارتهم ذا طابع مصرى ، فإلى جانب اتخاذهم اللغة المصرية لغة رسمية ، فإن مقابرهم اتخذت الشكل الهرمى الذى كان معروفاً فى مصر منذ أيام الدولة القديمة ، مع اختلاف فى الحجم والتصميم فرضته طبيعة العصر ، والمادة الحجرية المتوافرة محليا من الحجر الرملى النوبى الردىء نسبيا . وقد زينوا غرفاتها بالمناظر والنصوص الدينية المصرية ، التى عرفتها مصر طوال عصورها القديمة ، وعلى جدران غرفة دفن الملكة قلهتة Qalhata فى جبانة « الكرو » ، صورت الملكة راقدة على بطنها داخل تابوتها المثبت فوق السرير الذى اتخذ شكل الأسد ، وهى ترفع رأسها لتطل خارج التابوت إلى من يمنحها رمز الحياة لتبعث مرة أخرى ، ومن أسفل السرير صور الفنان ما ظن أنه يلزم الملكة فى عالمها الآخر ، كالتيجان وشارات الملك ، وأضاف إليها بعض الأسلحة ، من بينها القوس والسهام ، وحسب اعتقادى فإن هذا التصوير للقوس والسهم فى هذا الموقع إنما انفردت به حضارة السودان القديم . ولعله صدى لبراعة أهل شمال السودان فى استعمال القوس والسهام منذ أقدم الأزمنة . والتى من أجلها حملوا لقب « أصحاب الأقواس » ، ويمكن أن يقارن ذلك بما ظهر فيما بعد بين أصحاب الحضارة المروية التى خلفت حضارة نبته ، وعلى سبيل المثال أحد المناظر على جدران معبد الأسد « بالمصورات الصفراء » وفيه يقدم المعبود الأسد « أبدماك » شارته للملك أرنخ-أمانى بإحدى يديه ، وباليد الأخرى يمسك بقوس ضخم وجعبة السهام وبحبل موثوق به أسير .

ويعتبر كل من تابوتى الملك أنلمانى Anlamani (بمتحف مروى تمهيدا لنقله إلى متحف الخرطوم) والملك أسبلتا Aspelta (بوسطن) — بما عليهما من من مناظر دينية ونصوص، معظمها يماثل ما كان موجوداً فى مصر زمن الدولة الحديثة، بعضها من نصوص الأهرام والبعض الآخر من نصوص التوابيت ومن كتاب الموتى — نموذجين لمدى ارتباط الحضارتين السودانية والمصرية .

بنى طهارقة فى « صنم » Sanam معبداً ضخما للمعبود آمون رع (نورتاسق)

كشف عنه العالم Griffith في حفائره(١) لحساب متحف الأشمولين بأكسفورد(٢)، وهو المعبد الوحيد لمملكة نبته في «صنم» بالإضافة إلى الجبانة التى كشف عنها هناك وترجع إلى القرنين الثامن والسابع قبل الميلاد .

وانتشرت معابد ملوك نبته — التى بنيت على الطراز المصرى — فى «البركل» وفى «كوه» وفى غيرهما . وهى تدل بشكل واضح على أن المعبودات المصرية الرئيسية كانت هى نفسها معبودات أصحاب مملكة نبته . وفى معبد آمون بالبركل — الذى اعتبر مستقرا ثانيا للمعبود آمون بعد معبد الكرنك فى طيبه — بقايا قاعدة كانت مخصصة لحمل تمثال المعبود آمون رع ، نحت عليها صور وألقاب الملك طهارقه . وإلى زمن طهارقه يرجع بناء البوابة الأولى الخارجية لمعبد الكرنك بطيبه وهى الواجهة لطريق الكباش الصغير المؤدى إلى الميناء النهرى القديم الخاص بالمعبد (الارتفاع ١١٣ م — والسمك ١٥ م) . بالإضافة إلى تكملة القاعة الواقعة خلف تلك البوابة مباشرة ، وكذلك مجموعة الأعمدة المقامة فى وسط تلك قاعة الأولى لمعبد الكرنك وتتألف من خمسة أعمدة فى كل جانب ، تحاكى تيجانها زهرات البردى المتفتحة .

كما بنى طهارقه معبدا فى جبل البركل ، كرسه لعبادة الإلهة حتحور، التى كانت ترمز للأمومة والحنان والرحمة ، وكانت دائما تذكر حيث تقسو الطبيعة وعلى الأخص فى الأماكن الجبلية ، أوفى الأماكن النائية ، بعيدا عن الأوطان . ونصف هذا المعبد محفور داخل الجبل ، ومازال يحتفظ بجزء كبير من رونقه وخاصة الجزء المحفور داخل الجبل ، حيث صور الملك مع عدد من الآلهة ، مع بعض الأعمدة ذات التيجان على شكل رمز حتحور .

واقد حاول شمت Schmidt(٣) بمساعدة النصوص التى وردت على لوحات

---

(١) Oxford Excavations in Nubia in L.A.A.A. IX, pp 74/6.
(٢) Porter & Moss VII p. 198 ff.
(٣) Das Jahr des Regierungsantritts König Taharqas, in Kush VI, p. 120 ff.

الملك طهارقه التى عثر عليها كل من ريزنر ومكادم من قبل فى كوه أن يوضح التواريخ الآتية بالنسبة للملك طهارقه :

عام ٧١٠ ق . م — ميلاد طهارقه .
« ٦٩٠ ق . م بداية اشتراكه فى الحكم مع أخيه الملك شبتكو .
« ٦٨٩ ق . م وفاة الملك شبتكو وبداية حكم طهارقه .
« ٦٦٣ ق . م وفاة الملك طهارقه .

وقبل أن نختتم الحديث عن زمن الملك طهارقه ، لابد من الإشارة إلى إحدى الشخصيات الهامة التى عاصرت حكم الملك طهارقه وجاوزته لتعاصر حكم الملك بساماتيك الأول — عاهل الأسرة السادسة والعشرين المصرية — ونعنى به عمدة طيبه والكاهن الرابع لآمون فى طيبه المدعو : منتومحات (بمعنى الاسم منتو — إله الحرب — هو الأول) — وهو صاحب المقبرة رقم ٣٤ بمنطقة العساسيف بجبانة طيبه (١) . ولمنتومحات هذا عدة تماثيل ، منها تمثاله فى متحف برلين الشرقية (رقم 17271) من الجرانيت . وإحدى زوجاته كانت تحمل اسم أجارنس Uzarenes وكان والدها يدعى « بعنخى — هار » وهو ابن ملك ، وقد ترجم بريزا (٢) الاسم « الملك بعنخى مسرور » .

(١) Porter - Moss I, p. 56 ff.
(٢) Priese, Nichtägyptische Namen und Wörter in den ägyptischen Inschriften der Könige von Kush I, p. 168, in MIO.

الصراع بين مملكة وادى النيل وبين الإمبراطورية الآشورية

استمر الوجود الفعلى لمملكة نبته فى مصر منذ محاولة الملك « كاشتا » فتح صعيد مصر حوالى عام ٧٥٠ ق . م ، إلى أن بدأ ملوك آشور يسعون للاستيلاء على مصر بعد أن ضمت إمبراطوريتهم حينذاك معظم بلاد الشرق القديم .

فبعد أن استقرت الأمور لهم فى الشمال وفى الشرق وفى الجنوب اتجهت أنظارهم إلى الغرب وإلى الجنوب الغربى لكى يخضعوا مملكة وادى النيل وحلفاء تلك المملكة فى آسيا ، من دويلات الشام وفلسطين، وكان بعنخى بعد فتحه لمصر قد عاد إلى نبته فأعطى الفرصة لأحد أمراء الدلتا المدعى « نف - نخت » ومن بعده ابنه « بوخوريس » لادعاء الملك فى مصر . وكانت مصر شعورا منها بالخطر الآشورى المتزايد قد عقدت تحالفا مع بعض أمراء فلسطين وأرسلت إليهم قواتا لتؤازرهم، ولكن سرجون الثانى الآشورى (٧٢١- ٧٠٥ ق . م) تمكن من هزيمة القوات المتحالفة عام ٧٢٠ ق.م عند رفح كما سبق أن ذكرنا ، كما أضحت الممالك الفينيقية ما عدا مدينة صور Tyre خاضعة للآشوريين . وبعد أن أعاد شباكو فتح مصر ، كان كل من الطرفين السودانى والآشورى فى وضع لا يسمح له بالدخول فى معارك حاسمة، وقد بالغت الحوليات الآشورية فذكرت أن مصر ومملكة سبأ — فى جنوب شبه الجزيرة العربية — وسورية قد أرسلوا هدايا للملك الآشورى اعترافا منهم بسلطانه .

وسنحت الفرصة للملك شبتكو Shebitku أن يدعم مركزه ويعيد تكوين حلفه فى فلسطين وسوريا ، بينما كان الملك الآشورى «سنحريب» (٧٠٥ — ٦٨٠ ق.م) مشغولا بإخماد ثورة بابل ، وانضم إلى الحلف المضاد لآشور أمير مدينة « صور » الفينيقية المدعى « بعل » وملك يهوذا « حزقيال » وعدد من رؤساء القبائل العربية جنوبى فلسطين بالإضافة إلى أمراء المدن

الفلسطينية . وتقدم اليهم « سنحريب » فانفك عقد الحلف ، وتحصن « حزقيال » داخل أورشليم ، التي حاصرها الملك «سنحريب» مدة طويلة بلا طائل ، إلى أن اضطر لفك الحصار عنها بسبب وباء أصاب جنده ، كما ورد في التوراة (سفر الملوك . الإصحاح ١٨ وما بعده) . وذكر في سفر الملوك أن جيش وادي النيل كان بقيادة تيرهاقا (طهارقة)، الذي تولى قيادة الجيش قبل أن يلي العرش بمدة طويلة نيابة عن أخيه الملك شبتكو . كما ورد أيضا أن الملك «حزقيال» قد اشترى حريته من الملك الآشوري بدفع فدية كبيرة.

وعلى لوح من الجرانيت الوردي (رقم ٣٧٤٨٨ بالمتحف المصري) عثر عليه في تانيس (صان الحجر) بشرق الدلتا ، ذكر أن طهارقه كان موجودا في مدينة تانيس قبل أن يتوج ملكا على وادي النيل ، وذلك للاستعداد لصد هجمات الآشوريين على مصر . وكان عمره حينذاك عشرين عاما . ويذكر اللوح أن أم الملك طهارقه حضرت إلى مصر برفقة الملك (شبتكو).

ومنذ أن تولى العرش في آشور الملك إسرحدون (٦٨٠—٦٦٩ ق٠م) أخذ يعد العدة للقضاء على مملكة وادي النيل الموحد ، فبعد أن هزم حلفاءها في الشرق — ماعدا مدينة «صور» التي تركها تحت الحصار — تقدم نحو مصر ولكن الملك طهارقه (٦٩٠ — ٦٦٤ ق٠م) أوقع به الهزيمة وحينئذ اطمأن الملك طهارقه وأهمل الإستعدادات ، وأمر بتخليد انتصارات مبالغ فيها على قاعدة تمثاله في معبد الكرنك [1].

أما إسرحدون ملك آشور فانه لم يسلم بالهزيمة التي أفقدته هيبته أمام العديد من الشعوب الخاضعة لسلطانه . فجمع قواته بسرعة مذهلة ، وأقبل بجيشه القوي فجأة ، حيث أخذ أمير مدينة «صور» الفينيقية على حين غرة وحطم حصونه ووقع الأمير في الأسر ، ثم تقدم الملك الأشوري حتى وصل إلى مدينة «منف» عند رأس دلتا النيل . وسقطت «منف» بسرعة مذهلة عام ٦٧١ ق٠م ، ووقع حريم الملك طهارقه وأحد أبنائه المدعو نيسوحرت (أوشنا كورو Ushanachuru كما ورد في النص الآشوري) في الأسر ، بينما تقهقر الملك طهارقه بما تبقى من جيشه نحو الجنوب ، تمهيدا لإعادة تنظيم قواته والتقاط الأنفاس ، واكتفى إسرحدون بفتح دلتا النيل وتقبل ولاء أمرائها ، ثم عاد من

---

(١) Mariette, Karnak. pl. 45 a 2 ; Budge II. 38.

حيث أتى بسبب مرضه . وفى تل النبي يونس بالعراق عثر على ثلاثة تماثيل مكسورة للملك طهارقه ، كان الملك إسر حدون قد نقلها معه إلى هناك(١). وأمر الملك بتخليد انتصاره على نصب تذكارى عند مدخل قلعة «سنجرلى» Sendschirili=Sam'al إلى الشمال من قرقميش (شمال شرقى حلب» على نهر الفرات) . ولقد عثرت عليه إحدى البعثات الألمانية ونقلته إلى متحف برلين عام ١٨٨٨ م . وعلى اللوح البازلت الضخم والذى أقيم على قاعدة ضخمة من البازلت أيضا ، بالإضافة إلى النص الآشورى الذى يصف فتح مصر بمساعدة الآلهة ، صور الملك الآشورى بالحجم الكبير يحمل إناء به قربان وأمام وجهه صورت رموز إثنا عشر معبودا آشوريا ، وفى يده اليمنى عدا عصى القتال — حبلان ينتهيان عند شفاه أسيرين مخزومين ، أحدهما صور واقفا ولعله «بعل» أمير مدينة «صور» أو أمير مدينة «صيدا» Sidon. أما الآخر فقد صور راكعا ومقيدا من يديه وقدميه ولعله الابن الأسير للملك طهارقه المدعو «أوشنا كورو»(٢) .

ولقد أطلق إسر حدون على نفسه فى هذا النص لقب ملك الجنوب والشمال (يقصد ملك مصر كلها) وكوسى Kusi(أى مملكة كوش السودانية) ، وهكذا أعلن إسر حدون نفسه ملكا على مصر وادعى ملكية كوش (أو مملكة نبته) أيضا ، رغم أنه لم يكن قد انتصر بعد على طهارقه انتصارا حاسما . وعند رحيل إسر حدون عاد طهارقه إلى الدلتا ودخل منف وأعاد تنظيم قواته بعد أن استعاد سيطرته على شمال الوادى .

أما الفصل الأخير فى صراع حضارة وادى النيل مع حضارة بلاد النهرين فقد بدأ أيام الملك «آشور بانيبال» (٦٦٨ — ٦٢٦ ق . م) الذى استأنف الحملة على وادى النيل ودخل منف بعد أن غادرها طهارقه متقهقرا نحو الجنوب . ثم واصل الملك الآشورى التقدم جنوبا فبلغ طيبه وفتحها عام ٦٦٦ ق . م بعد أن غادرها طهارقه إلى نبته . عندئذ أمر الملك آشور بانيبال بتعيين أمراء مصريين موالين له يحكمون مصر باسمه وعاد إلى آشور .

(١) W. K. Simpson. The Pharao Taharka, Sumer 10. Bagdad 1954 pp. 193—194.

(٢) Durch vier Jahrtausende Altvorderasiatischer Kultur, Berlin 1962. Abb. 18 u.S. 54/55.

وفى عام ٦٦٣ / ٦٦٤ ق . م مات الملك طهارقه وخلفه (إبن أخيه شبتكو من زوجته المدعاة قلهته أخت طهارقه) الملك تانوت — أمانى ، وفى المتحف المصرى لوح ضخم ٤٨٨٦٣ عثر عليه مع لوح بعنخى فى جبل البركل يحمل اسم وصور الملك تانوت — أمانى يسمى لوح الحلم [1] مؤرخ بالسنة الأولى من حكمه يتحدث فيه عن رؤيا تعده بملك مصر ، فلقد رأى نفسه فى المنام بين ثعبانين أحدهما عن يمينه والآخر عن شماله . وفسر له ذلك على أن حكم مصر كلها سوف يؤول إليه ، بعد أن يطرد الغزاة عن وادى النيل . وعند وفاة الملك طهارقه ، أسرع تانوت أمانى إلى نبته حيث توج ، وقام على رأس جيش ، وكله أمل فى أستعادة مصر من قبضة الآشوريين . واستقبل فى الفنتين (أسوان) وفى طيبه أستقبالا حاراً . وفى منف اشتبك مع جيوش بيوتات الدلتا الموالين لآشور ، ولكن معظمهم انسحب ليحتمى خلف أسوار مدنه . أما الذين خضعوا للملك تانوت أمانى فإنه تقبل منهم الولاء فى منف . ورغم أن النص على اللوح ينتهى عند هذا الحد ، إلا أن الأحداث المؤسفة فاجأت الملك تانوت — أمانى بعد ذلك عندما عاد الجيش الآشورى إلى مصر ، فانسحب تانوت — أمانى بسرعة إلى طيبه ومنها إلى نبته ، وأقتحم الآشوريون طيبه بعد أن أنسحب منها تانوت أمانى إلى الجنوب . وأصيبت المدينة العريقة بالدمار على أيدى جيش آشوربانيبال . وكان للتفوق الحاسم للجيوش الآشورية بأسلحتها الحديدية المتطورة أكبر الأثر فى عودة ملوك نبته إلى عاصمتهم الأولى . ومن هناك حاول الملك تانوت — أمانى عبثا استعادة شمال الوادى .

ودفن تانوت — أمانى فى هرم بناه فى الكرو (هرم رقم ١٦) وزينت غرفة دفنه بمناظر دينية ، وعثر فيها على مائدة قرابين من الجرانيت (Boston 12·3232) ، كما أمر الملك بدفن خيوله فى مقابر خاصة غير بعيده من مقابر الملوك بجبانة الكرو ، كما فعل من قبله الملك بعنخى وشباكو وشبتكو .

وانتقل الملك فى مصر بسرعة إلى يدى أمير من أمراء الدلتا يدعى بساماتيك ، الذى تحالف مع الملك « جيجس » Gyges ملك مملكة ليديا الإغريقية فى آسيا الصغرى ، وأستطاع أن يستعيد طيبه من أيدى آخر

(١) Porter - Moss VII p. 218/219; Arkell, History p. 134 f.

ملوك نبته فى مصر وهو الملك تانوت - أمانى عام ٦٥٤ ق . م بمساعدة الجند المرتزقة اليونيين والكاريين ، وهم أولئك الإغريق الذين استوطنوا آسيا الصغرى وذلك بعد أن تمكن من طرد فلول الاحتلال الآشورى عن مصر ، وأعلن نفسه ملكا عليها وأسس الأسرة السادسة والعشرين المصرية .

وسمحت الأحوال السياسية فى المحيط العالمى لملوك تلك الأسرة بالتصدى لبقايا الاحتلال الآشورى ، وذلك أن الآشوريين انشغلوا فى صراعهم مع جيرانهم فى الشرق والشمال الشرقى وفى الغرب وفى الجنوب حتى قضى عليهم أخيراً عام ٦١١ ق . م، عندما تحالف الميديون (سكان شمال فارس) مع الكلدانيين فى جنوب العراق (وهم البابليون الجدد) وتمكنوا من فتح نينوى عاصمة الإمبراطورية الآشورية .

العلاقات بين مملكة نبته ومصر بعد طرد الآشوريين

وقد سجل اللوح التذكارى الذى عثر عليه فى تانيس شرقى الدلتا ، والخاص بالملك « بساماتيك الثانى » من ملوك الأسرة السادسة والعشرين ، أخبار الحملة التى قام بها فى عامة الثانى ضد مملكة نبته عام ٥٩١ ق . م وكان يحكمها حينذاك الملك أسبلتا فى عامة الثانى ، وهذا الحدث يعتبر علامة تاريخية هامه بالنسبة لمعرفة تاريخ ملوك السودان القديم وكان من نتيجة الحملة تحطيم تلك المدينة. وقد اصطحب « بساماتيك الثانى » فى تلك الحملة أعداداً كبيرة من الجنود المرتزقة الإغريق ، الذين نقشوا أسماءهم على أقدام التماثيل الضخمة للملك رمسيس الثانى المنحوتة أمام معبد « أبو سمبل » الكبير عند عودتهم من السودان .(١)

وأطول نقش من تلك النقوش التى خطها أولئك المرتزقة يقول : « (دون هذا النص) عندما وصل الملك بساماتيك إلى الفنتين (أسوان) ، ولقد سجل هذا (النص) أولئك الذين أبحروا مع بساماتيك بن ثيوكلس Theocles ، وهم قد وصلوا (أى بعد أن وصلوا) إلى ما وراء Kerkis على قدر ماسمح النهر . وكان أولئك الذين يتحدثون بلغات أجنبية تحت قيادة Potasimto ، أما المصريون (فتحت قيادة) أحموسى Amasis » ثم ينتهى النص وهناك نقش آخر بالكرنك يتحدث عن تلك الحملة التى وصلت إلى طمبس (Pnubs) Tumbus ، وأنها بعد أن هزمت النوبيين أحتلت إقليم Shas شاس (= إقليم دنقله ؟) . ولقد عثر على أسماء بعض الجنود المرتزقة الكاريين (نسبة إلى مملكة كاريا إلى الجنوب الغربى من آسيا الصغرى وهى إحدى المستعمرات الإغريقية المنتشرة فى آسيا الصغرى فى ذلك الحين) — مسجلة على جدران معبد بوهين .

ولعل تعرض مملكة نبته لذلك الهجوم أن يكون من الأسباب المباشرة

---

(١) Emery, Egypt in Nubia, p. 223.

التى أدت إلى نقل العاصمة من نبته إلى مروى جنوبا فى زمن الملك أسبلتا ٥٩٣ — ٥٦٨ ق . م ، والتى تقع شمال الخرطوم بحوالى ٢٣٠ كم (وتسمى حاليا بالبجراويه) . ولا شك فى أن العامل الجغرافى لعب دوراً أساسيا فى نقل العاصمة من نبته إلى مروى فربما حدث تغير فى الأحوال الجوية ، وكان انتقال مركز الحكم نحو الجنوب استجابة لذلك العامل الطبيعى نتيجة لقلة الأمطار وصعوبة الحياة فى الأخوار المحيطة بالمنطقة .

والمتتبع لتاريخ الحضارة السودانية فيما بعد ، يرى أن أصحاب تلك الحضارة تعلموا من أعدائهم الآشوريين استعمال الأسلحة الحديدية ، واكتشفوا مناجم للحديد بالقرب من العاصمة الجديدة مروى ، وتوصلوا بمضى الزمن لصهر خام الحديد بطريقة عملية ، بل إنهم أضحوا فى فترة وجيزة من أهم مصدرى الحديد فى إفريقيا ، مما دعى رجل الآثار سايس Sayce الذى حفر فى مروى إلى أن يسمى مروى « برمنجهام » وسط أفريقيا . لما هو قائم هناك إلى اليوم من مخلفات عمليات صهر الحديد على مر السنين .

وبرغم تلك الأحداث الجسام التى تعرضت لها مملـكة نبته فى زمن الملك أسبلتا ، إلا أن ذلك الحاكم قد ترك كـثيراً من الآثار التى تدل على نشاطه :

فهناك احتمال كبير أن معبد الشمس بالبجراويه قد بنى فى زمن الملك أسبلتا الملقب بـ (مرى كارع) .

وفى هرم الملك أسبلتا فى نورى رقم ٨ عثر على تابوت خشبى من الجرانيت (نقل إلى بوسطن ويحمل رقم 23726) محلى بالمناظر الدينية التى تشبه نظيرتها فى مصر .

وعثر على لوحين للملك أسبلتا فى معبد آمون بجبل البركل (رقم ٥٠٠) عام ١٨٦٢ م واللوحين من الجرانيت :

أما اللوح الأول ، الذى نقل إلى المتحف المصرى ويحمل رقم ٤٨٨٦٦ ،

ويسمى لوح التتويج ، فؤرخ بالعام الأول من حـــكم الملك أسبلتا . وفى قمة اللوح صور الملك أسبلتا وأمه نسلسة Nasalsa أمام المعبود آمون فى نبته ، ومن خلفه زوجته المعبودة «موت» ، ويلاحظ أن النص المكون من ثلاثين سطراً من الـكتابة الهيروغليفية المصرية قد أزيلت منه عمداً الأسماء الملـكية فى عملية انتقامية من أحد الخصوم .

واللوح الثانى مؤرخ بالعام الثالث من حكم الملك أسبلتا ، ويطلق على هذا اللوح اسم « لوح التبنى » (Adoption - stela) وقد نقل إلى متحف اللوفر بباريس ويحمل رقم C.257 ، وعلى قمة اللوح منظر يمثل الملك أسبلتا وأمه الملـــكة نسلسه (وهى أم الملك أنلمانى أيضا) ، ثم الملـكة ماديقن Madiqen زوجة الملك انلمانى Anlamani شقيق أسبلتا ، وهم يقومون بتنصيب ابنته الملـكة الأخيرة المدعاة «حنوت ـــ تاخبيت» Henuttakhebit زوجة أسبلتا فى منصب كاهنة آمون فى نبته ـ أمام الثالوث المقدس «آمون ـــ موت ـــ خنسو » .(١)

---

(١) Porter-Moss VII, p. 217/218.

مملكة كوش ـــ العصر المروى

أو مملــكة مروى (٢٩٥ ق. م ـ ٣٢٠ ـــ ٣٥٠ م تقريبا)

يكاد يجمع المؤرخون على أن نقل العاصمة من مدينة نبته إلى مدينة مروى قد تم فى زمن الملك أسبلتا Aspelta (٥٩٢ ـــ ٥٦٨ق . م) ، بينما استمر تقليد تتويج الملوك فى نبته ، كما استمرت نبته تقوم بدورها كمركز دينى هام ومقر للمعبود « آمون القائم على الجبل المقدس » . وجدير بالذكر أن نقل العاصمة فى ذلك الوقت المبكر لم يتبعه مباشرة الانتقال بالدفن من نبته إلى مروى ، وإنما استمرت نبته تقوم بدورها كمستقر أبدى للملوك مروى حتى زمن الملك أركك ـــ أمانى ٢٩٥ ـــ ٢٧٥ ق . م الذى أنتقل بمقبرته ليدفن فى مروى (البجراويه) .

والواقع أن اسم مملكة مروى الذى أختاره المؤرخون لتلك المرحلة الهامة من تاريخ كوش . إنما هو نسبة إلى اسم العاصمة مروى الذى ورد فى النصوص الخاصة بذلك العصر (فى اللغة المروية : مزوى Mazewi . = مروى وقرأها الإغريق مروى) ، أما فى المصرية فكتبت Bedewi « بدوى». وإطلاق اسم العاصمة على الدولة من قبل المورخين المحدثين خاصة إنما هو لغرض التبسيط والدراسة وتحديد فترة تاريخية بعينها . وفى حقيقة الأمر إن تلك الدولة التى قامت فى شمال السودان منذ سقوط الدولة الوسطى المصرية ، ثم دخلت فى زمرة الدولة المصرية زمن الدولة الحديثة ، وبعدها ظهرت على مسرح الأحداث العالمية متخذة نبته عاصمة لها ، وتلى ذلك نقل العاصمة إلى مروى. إنما كانت دائما تسمى فى وثائق ذلك العهد كوش (كاس، أو كاسو، كشى، كش) سواء على لوح الملك كاموسى من الأسرة السابعة عشر، أو فى وثائق الدولة الحديثة المتعددة، أو فى مصادر تاريخ مملكة نبته، وفى المصادر البابلية والآشورية وفى المصادر المروية ثم فى نص الملك «عيزانا» ملك أكسوم ، الذى

وصف فيه احتلاله للبقية الباقية من حضارة تلك المملكة ، وأخيراً فى المصادر النوبية القديمة حيث سميت كوش باسم « كاس » (١) .

وتدل الشواهد على أن مدينة مروى كانت مأهولة بالسكان منذ مطلع تاريخ مملكة نبته ، بما فى ذلك المدينة والجبانة الملكية ، وهناك من يقول بإقامة فرع من الأسرة الملكية فى مدينة مروى كان يتبع الحكومة المركزية فى نبته منذ بداية ظهور البيت الحاكم فى نبته . .

ويروى المؤرخ الإغريقى هيرودوت ، الذى زار مصر ما بين عام ٤٤٨ ق . م ، عام ٤٤٥ ق . م (فى كتابه الثالث) — أن ملك الملوك الفارسى قمبيز بعد أن استطاع سلفه قورش أن يقضى على بابل عام ٥٣٩ ق.م ويكتسح كل ممالك الشرق ، وبعد أن ضم مصر إلى إمبراطوريته الشاسعة ، أرسل جيشا إلى إثيوبيا (ويقصد مملكة كوش) ما بين عامى ٥٢٥ ق . م ، ٥٢٢ ق.م وذلك بعد أن بعث إليها بجواسيسه فى صورة مبعوثين ، إلا أن ذلك الجيش الفارسى هلك معظمه فى الصحراء النوبية (ولعلها صحراء العطمور) ، واضطرت فلوله إلى العودة من حيث جاءت . ويصور لنا هيرودوت تلك الأحداث فى صورة قصصية ، فيبين كيف استقبل ملك كوش رسل الملك الفارسى ، الذين أرسلهم للتمهيد والاستطلاع لتلك الحملة المذكورة ، مبلغا إياهم افتضاح مقصدهم الرئيسى من الزيارة . وكيف قدم لهم ملك كوش قوسا مما يستعمله أهل كوش — والذين يصفهم الملك بطول العمر نظرا لنظام أكلهم الذى يعتمد أساسا على اللبن واللحم المسلوق — آمرا إياهم بأن يعرضوا القوس على مليكهم ، متحديا إياه أن يتمكن من شده ، ونحن لا نملك الدليل على صحة تلك الرواية . (٢)

وعندما تحدث المؤرخ «هيرودوت» عن تلك المملكة قال أيضاً أن الملك قمبيز الفارسى أرسل إليها جواسيسه ليكتشفوا حقيقة إحدى العجائب الكبرى التى اختصت بها ، ونقصد بها « معبد الشمس » . الذى قيل إن أمامه « مائدة قربان » ضخمة لا تخلو من لحوم الضحايا ليلا ولا نهارا ،

---

(١) Zyhlarz, Die Fiktion der Kuschitischen Völker Kush IV S.21.

(٢) Shinnie, Meroe, p. 16.

وذكر أن تلك المائدة تقع خارج « مدينة مروى »، ولعل هيرودوت بذلك أن يكون أول مؤرخ يذكر مدينة مروى باسمها ، بعد أن كان من قبله يكتفى بالاصطلاح العام الإغريقى الأصل « إثيوبيا »(١).

ولقد ثبت من حفائر جارستنج فى مروى أيضا أن عبادة الشمس كانت تمارس هناك . حيث كشف فى موقع غير بعيد عن العاصمة على الطريق إلى الجبانة الملكية عن معبد قال إنه معبد للشمس ، معتمداً على صورة كبيرة لقرص الشمس عثر عليها ضمن حطام الجدار الغربى للمقصورة ، وأستنتج أن هذا الموقع هو نفسه الذى كان يعنيه هيرودوت . وأعتماداً على بعض قطع من لوح جرانيتى خاص بالملك أسبلتا عثر عليها فى الجانب الغربى من الفناء الخارجى ، يمكن إرجاع أصل ذلك المعبد الشهير إلى زمن الملك أسبلتا (٥٩٢ – ٥٦٨ ق . م) بينما جدد المعبد وزيدت عليه إضافات أخرى فى القرن الأول قبل الميلاد ، إذ نحت على جدار الممر المحيط بالقصورة الرئيسية منظر وكتابات تحمل اسم الأمير أكنداد .

وهذا المعبد يضمه سور محيط من الآجر (الطوب الأحمر المحروق) بينما المدخل مغطى بالأحجار ، ويؤدى إلى المبنى الرئيسى فى وسط الفناء رصيف صاعد إلى فناء محاط بجدار مغطى جزء منه من الداخل بسقف تحمله الأعمدة التى تحيط بالمقصورة الكبيرة التى تضم داخلها المقصورة الرئيسية ، والتى يؤدى إليها درج على نفس محور المدخل. وجدار الفناء من الخارج (والذى يضم الأعمدةمن داخله)مزدان بمجموعة من الصور والرسوم الملونة ، وعملت من الملاط والجبس ولذلك زال معظمها . وما تبقى منها عبارة عن صورة تقليدية لأسرى الحرب على الجزء الأسفل من الجدار ، يحمل كل أسير اسمه مكتوبا بالهيروغليفية داخل العلامةشبه البيضاوية المعروفة باسم «خرطوش» بحيث يغطى الإسم معظم جسم الأسير ، وعلى الجدران الأخرى بقايا مناظر الاحتفالات بالنصر ، تأثرت كثيراً بفعل العوامل الطبيعية منذ أن كشف عنها جارستانج فى مطلع هذا القرن . منها ما يصور الملك جالسا على عرشه يستعرض مهرجانا للنصر . وسواء صدق رأى جارستانج بالنسبة لاعتبار هذا

(١) Shinnie, Meroe, p. 15 f.

المبنى هو نفس «معبد الشمس» الذى تحدث عنه المؤرخ هيرودوت من قبل ، فإن عبادة الشمس فى صورة الإله «آمون - رع» فى مملكة مروى مسألة لا تحتاج إلى دليل .

وقبيل فتح الإسكندر الأكبر لمصر ، أستطاع ملك كان يحكم النوبة السفلى ويدعى « خبباش » Chababash (بالمصرية Hmbs - wtn) ما بين عامى ٣٣٨ — ٣٣٥ ق . م - وكان يسيطر على النوبة السفلى مناهضا للملك المروى نستاسن Nastasen (٣٣٥ — ٣١٠ ق . م) - أن ينتهز فرصة الثورة التى قامت فى مصر ضد الحكم الفارسى ، ويدعى لنفسه حكم مصر .

وعلى اللوح التذكارى للملك نستاسن (رقم ٢٢٦٨ بالقسم المصرى بمتحف برلين الشرقية) ، ذكر الملك كيف أنه أرسل جيشا لمواجهة غريمة النوبى «خبباش» ، وكيف هزمه شر هزيمة (١) . واللوح من حجر الجرانيت إرتفاعه ١٦٣ سم وعرضه ١٢٧ سم وكان فى الأصل قائما فى مدينة نبته . والجزء العلوى من اللوح ، كما هى العادة المتبعة ، يحمل مناظر مصورة ، يليه نص هيروغليفى مصرى مطول ، يعتبر آخر نص من هذا النوع الطويل يكتب ويقام فى كوش طبقا لمعلوماتنا الحالية . وينتهى عند قاعدته بعلامة تمثل «الأرض» واللوح متوج عند قمته بالرمز الهيروغليفى الذى يعنى كلمة «السماء» (p. t) ، كأنما قصد باللوح أن يمثل جزءاً من أحداث ذلك العالم الذى تظلله السماء وتدور وقائعه فوق الأرض ، بينما يتوسط السماء قرص الشمس ذو الجناحين ، يفردهما حماية للملك وآل بيته . وقسم المنظر من تحتها إلى قسمين : القسم الأيمن يحمل صور الملك ومن خلفه زوجته الملكة سخمخ Sechmech ، وهو يقدم للإله آمون (المصور برأس كبش تلتف قرناه من حول الأذنين وفوق رأسه قرص الشمس والريشتان اللتان تمثلان تاج المعبود آمون(٢)) عقداً وقلادة كقربان . بينما تقدم الملكة قربانا سائلا وتحمل بيدها اليمنى آلة موسيقية Sistrum (صلصلة) وكانت تلك الآلة الموسيقية تستعمل عادة فى بعض الطقوس الدينية وعلى الأخص ما يتعلق منها بالمعبودة حتحور ، أما القسم الأيسر من المنظر العلوى فيصور الملك أيضا ومن خلفه أمه الملكة الدعاة بلخ Pelech وهما يقدمان نفس القربان

(١) Nubien und Sudan in Altertum pp 23-27; Schäfer. Die Aethiopische Königsinschrift, Urk. 111, 137 ff:L D.V, 16.

(٢) انظر لوحة ١٤ - ١ .

لصورة المعبود آمون فى شكله الآدمى (الممثل فى هيئة شاب على رأسه ريشتان طويلتان ويتدلى من خلف الرأس شريط طويل) . ومن حول المنظر تنتشر الكتابات باللغة المصرية المصورة تشرح عمليات تقديم القرابين (١) .

وقد يبدوا مفيداً أن نستعرض الأحداث التاريخية التى وردت فى هذا اللوح وضمنها عملية تتويج الملك : ... لقد كنت « الإبن الطيب » (ولى العهد) فى مروى عندما استدعانى والدى الطيب آمون فى نبته فطلبت من الإخوة الملكين (بقية الأمراء) أن يصحبونى ليكونوا معى ولكنهم ردوا على بالنفى قائلين لا : لن نذهب معك (إلى الإله آمون فى نبته حيث تتوج) ، فأنت ابنه الطيب (المقصود بالدعوة) ، إن آمون فى نبته والدك يحبك أنت . (كناية على مبايعة بقية الأمراء لولى العهد) ..حينئذ أسرعت مبكرا (مرتحلا إلى الشمال) فبلغت (واحة إسترس Istris (ربما فى صحراء بيوضه) حيث نصبت معسكرى وقضيت الليل . . . ولقد بلغنى (ما يقوله الناس) فى نبته من أننى سأصبح ملكا على البلاد . وفى الصباح الباكر استأنفت سفرى وبلغت (مكانا يقال له) القمة أو المرتفع ، إنه الأسد الكبير والحديقة (؟) التى خرج منها الملك بعنخى — ألرا Pianch - Alara (ربما كان هو نفسه ألرا ،وأن كلمة بعنخى وضعت لتعنى دوام الحياة) .

وعندما أصبحت ديار آمون على يسارى أقبل موظفوا معبد آمون فى نبته (وغيرهم) من الكبار .. وقالوا : إن والدك آمون فى نبته قد وضع تحت قدميك حكم « تاسق » (الاسم القديم للنوبة)،ثم عبرت النهر إلى بيت (الإله) رع . (المقصود هو آمون — رع) ، وتركت العربة تصعد فبلغت المعبد الكبير .... وفتحت البوابات الضخمة ... (هنالك) سلمنى والدى الطيب آمون فى نبته ملكية « تاسق » . وتيجان الملك حورسيوتف ، وعزم الملك بعنخى — ألرا ... لقد أعطانى ملكية تاسق وعلوه Aloe والأقواس التسعة (أرض أصحاب الأقواس) والأرضين الخصبتين .... (وعندما) أقبل (الأمير النوبى) حبس — وتن (خباش) أرسلت إليه جيشا من دارو

(١) Hintze, Civilizations, pl. 75.

هزم قواته . ونهبت مراكبه وأراضيه وماشيته وقطعانه وكل Daro ما يمكن أن يعيش عليه الناس من كورتى Korti حتى تارودى Tarudi .

وأرسلت جيشا ضد العدو جنوبى Ndknt وحاربوه وهزموه هزيمة كبيرة وأسرت أميرة Ijhk ، وسقت كل النساء أسرى وكل الحيوانات مع ذهب كثير ، وعدد ٢٩٫٦٥٩ من الأبقار و٥٥٫٣٤٩٠٩ من الماعز و ٢٢٣٦ من النساء ، وأمرت بهدمه ما يغذى كل البلاد ، ثم قدمت لك ـ ياآمون نبته ـ (قربانا من الشموع) .

وأرسلت حملة ضد العدو فى أرض Rbl وفى أرض Ikrkrh وهزمتهما وأسرت الأمير Rbhda (ونهبت) كل ماله من الذهب الكثير الذى لا يمكن عده (بالإضافة إلى) عدد ٢٣٢١٦ من الأبقار وعدد ٦٣١٠٧ من الأغنام، وكذا حريمه مع كل ما يمكن أن يعيش عليه الناس، وسلمت الأمير لوالدى آمون فى نبته ... »

كما يذكر الملك فى نفس النص أنه أرسل حمله إلى العدو Irrs (قبائل بدوية شمالى عطبره) « وهزمته وأسرت أمير ماس Mas و Ibsh ونهبت ممتلكاته» وسلمه الملك للإله آمون فى نبته «ثم أرسات جيشا ضد العدو Srbrt وهزمته وأسرت الأمير ... »

وأرسلت حملة كبيرة ضد العدو Mjhk ، واستسلم لى العدو عند شجرة جمز Srsr . وعندما سرقت هدايا الملك أسبلتا (التى أهداها الملك) للإله آمون فى جماتن Gematen [= كوه الحالية]، أرسلت حملة لتعاقب العدو Mdd (أ، Mjj) (البجا ؟) ... الخ ... ».

والواقع أن معظم النصوص التى خلفها ملوك ذلك العصر باللغة المصرية على قلتها كانت تتخذ طابعا تقليديا كالتقارير الرسمية : فكانت رحلة التتويج التى تنطلق من مروى ، تبدأ بزيارة الأماكن المقدسة الأربعة وأولها نبته حيث يتوج الملك فى معبد آمون . ثم يتوجه إلى مدينة تير Ter عند الشلال الرابع وكوه عند الشلال الثالث وأخيراً إلى مدينة بنبس Pnubs (Tumbus) فوق جزيرة أرجو Argo جنوبى الشلال الثالث ، وينتهى النص بذكر النشاط الحربى فى صيغه الحوليات .

أما الأعداء الذين وجهت إليهم الحملات فكانوا فى الغالب مجموعة القبائل

الرحل الضاربين فى الصحراوين الشرقية والغربية،والذين كان خطرهم على مدن الوادى الأخضر محققا . أما إحتمال أن يكون ضمن هؤلاء الأعداء أحد من أكسوم فلا يقوم عليه دليل (أنظر بازل دافيدسن أفريقيا تحت أضواء جديدة ترجمة جمال أحمد ص٢٩٠).

هذا ويقسم بعض المؤرخين مملكة مروى إلى قسمين القسم الأول يبدأ بعصر الملك أسبلتا وينتهى بوفاة الملك نستاسن صاحب النص المذكور .

وأعتقد أن محاولاتنا فى سبيل وضع قائمة بالتتابع الزمنى لملوك مروى مازالت فى أول الطريق ، ولكن ذلك لا يمنع أن نسجل واحدة من هذه المحاولات التى توصل إليها علم الآثار المروية حتى الآن وهى القائمة المعدلة للأستاذ هنتزا (١) :

أمانى باخى Amanibakhi (نورى ؟) ٣١٠– ٢٩٥ ق٠م .

أركك — أمانى Arkakamani

(البجراويه الجنوبية رقم ٦) ٢٩٥— ٢٧٥ ق٠م

(يلاحظ انتقال الدفن إلى مروى « البجراوية »)

أمانى -- سلو Amanislo (البجراوية الجنوبية رقم ١٠)٢٧٥— ٢٦٠ ق م

الملكة برتره ؟ Bartare (البجراوية الجنوبية رقم ٥) ٢٦٠— ٢٥٠ ق٠م

أمانى.. تيكا Amani .. tekha (البجراوية الشمالية ٤) ٢٥٠– ٢٣٥ ق٠م

اريخ أمانى Arnekhamani(البجراوية الشمالية ٥٣)٢٣٥– ٢١٨ ق٠م(٢)

أرقأمانى (أرقمانى) Arqamani = Ergamenes

(البجراوية الشمالية ٧) ٢١٨– ٢٠٠ ق٠م

تابرقا (طابرقه) Tabirqa = ? Adikhalamani

(البجراوية الشمالية ٩) ٢٠٠– ١٨٥ ق٠م

... إوال ؟ (... iwal) رقم٨ بالبجراوية الشمالية ١٨٥— ١٧٠ قم

الملكة شنكداخيته (Shanakdakhete) (رقم ١١) ١٧٠— ١٦٠ ق.م(٣)

---

(١) Hintze, Inschriften, p. 17. 19. Studien, 33; Shinnie Meroe, p. 58—61 Wenig, MIO, 13, 1—44 :

ويعتقد Wenig أن الدفن انتقل من نورى إلى البركل ثم إلى البجراويه ، وبناء عليه عدل وزمن حكم الملك أركاك أمانى ليصبح ٣١٥ — ٢٧٠ ق م .

(٢) صاحب معبد الأسد بالمصورات الصفراء

(٣) صاحبة أقدم نص بالهيروغليفيه المروية يمكن تأريخه على معبد آمون بالنقعه (F).

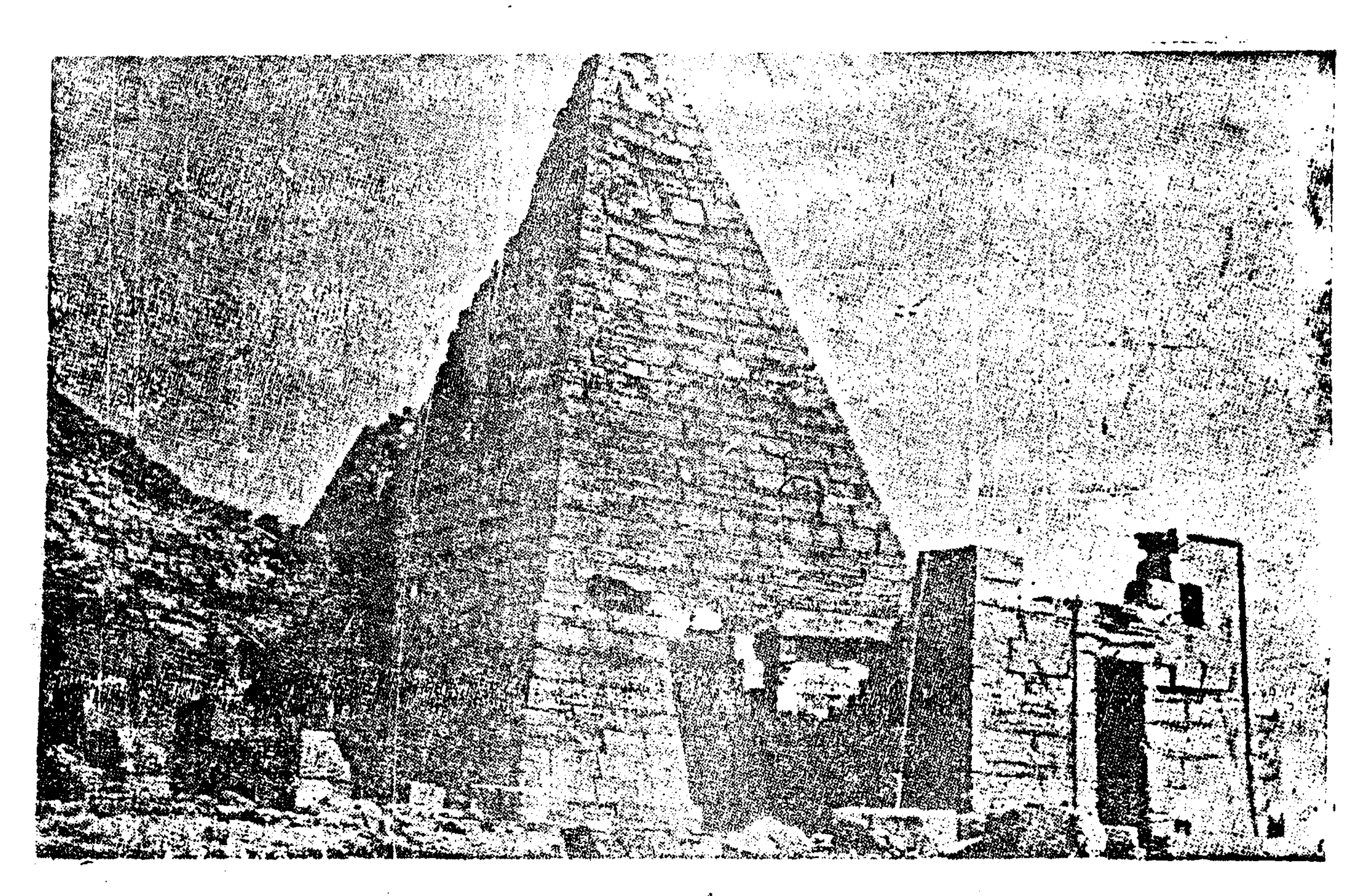
ك .. K...	رقم ١٢	١٦٠—١٤٥ ق.م
(نقرنسان) (Naqrinsan) ؟	رقم ١٣	١٤٥—١٢٠ ق.م
(تنيد أمانى (Tanyidamani)	رقم ٢٠	١٢٠—١٠٠ق.م
(... خالى) ؟ (... Khale)	رقم ٢١	١٠٠—٨٠ق م (١)
(... أمانى Amani ... (؟)	رقم ١٤	٨٠—٦٥ ق.م
(أمانى —خبالا) (Amanikhabala)	رقم ٢	٦٥—٤١ ق.م
الملكة أمانى شخيته Amanishakbete	رقم ٦	٤١—١٢ق.م(٢)
نتاك — أمانى Natakamani	رقم ٢٢	١٢ق.م—١٢ م
الملكة أمانى —تيره Amanitere	رقم ١	١٢ قم—١٢م(٣)
شر كارير (Sherkarer)	رقم ١٠	١٢—١٧ م
بسا كار (Pisakar)	رقم ١٥	١٧ — ٣٥ م
أمانى ترقيده Amani-taraqide	رقم ١٦	٣٥—٤٥ م
الملكة أمانى — تنميميده Amani-tenmemide	رقم ١٧	٤٥—٦٢ م
أمانى —خناشان Amani-khatashan	رقم ١٨	٦٢—٨٥ م
تار كنوال Tarekeniwal	رقم ١٩	٨٥—١٠٣ م(٤)
أمانى — خاليكا (Amani-khalika)	رقم ٣٢	١٠٣—١٠٨ م
أرتنيس — بخه (Aritenyesbekhe)	رقم ٣٤	١٠٨—١٣٢ م
أقر كأمانى (Aqrak-amani)	رقم ٤٠	١٣٢—١٣٧ م
أدقتالى (Adeqetali)	رقم ٤١	١٣٧—١٤٦ م

(١) صاحب اللوح رقم MFA 23.736 فى متحف بوسطن .

(٢) حيث عثر فيه فرايبى على كنز ملوك مروى. وعثر لها فى مروى على معبد بالمروية .

(٣) أسماؤهما كتبت بالهيروغليفية المروية وبالمصرية على معبد الأسد بالنقعه وكانت العون فى التعرف على نطق الحروف المروية .

(٤) صاحب آخر نص كتب بالهيروغليفية المروية .



لوحة رقم ١٠ هرم ـ الملك نتاك ـ أمانى رقم ٢٢ فى الجبانة الشمالية بالبجراويه (مروى)
التى استمر الدفن بها فى المدة من ٢٥٠ ق.م الى ٣٥٠ م (تصوير المؤلف)



تكيدأمانى	Takid-amani	رقم ٢٩	١٤٦ — ١٦٥ م
?	(..reqerem)	رقم ٣٠	١٦٥ — ١٨٤ م(١)
	. . . . . .	رقم ٣٧	١٨٤ — ١٩٤ م
	(Teritedakhatey)	رقم ٣٨	١٩٤ — ٢٠٩ م
أريسبخه ...	Aryesbekhe	رقم ٣٦	٢٠٩ — ٢٢٨ م
ترتنيدا	Teritnide	رقم ٥١	٢٢٨ — ٢٤٦ م
أرتنيدا	Aretnide	رقم ٣٥	٢٤٦ — ... م
تقريد أمانى	Teqerideamaui	رقم ٢٨	٢٤٦ — ٢٦٦ م
تمليريد أمانى؟	(Tamelerdeamani)	رقم ٢٧	٢٦٦ — ٢٨٣ م
؟	(Yesbekheamani)	رقم ٢٤	٢٨٣ — ٣٠٠ م
؟	(Lakhideamani)	رقم ٢٦	٣٠٠ — ٣٠٨ م
؟	(Maleqerebar)	رقم ٢٥	٣٠٨ — ٣٢٠ م

(١) صاحب كبش سوبا الموجود فى الكاندرائية الإنجيلية بالخرطوم ؛ انظر Shinnie, Meroe p. 97. الذى يرى أن هذا التاريخ متأخر نسبياً ، إذا ما أخذ فى الاعتبار طراز النحت وشكل الكتابة على قاعدة التمثال .

علاقة مملكة مروى بالمملكة البطلمية فى مصر

كان الملك المروى نستاسن Nastasen يحكم فى مروى ، عندما قام الإسكندر الأكبر بفتح مصر فى نهاية عام ٣٣٢ ق . م وبداية عام ٣٣١ ق . م

وفى زمن الملوك البطالمة ، خلفاء الإسكندر الأكبر فى مصر ازدهرت مملكة مروى واستطاعت أن تحتل مكانا مرموقا طوال المدة التى استقر فيها خلفاء الإسكندر فى مصر منذ الثلث الأخير من القرن الرابع قبل الميلاد حتى دخول الرومان مصر فى الثلث الأخير من القرن الأول قبل الميلاد — وخلال تلك المدة سيطرت مملكة مروى على التجارة الأفريقية إلى دول العالم القديم حول البحر المتوسط . وكانت تلك التجارة تعود عليها بالربح الوفير . فبالإضافة إلى المنتجات التقليدية . كالعاج . وريش النعام، والأبنوس ، وجلود الحيوانات النادرة ، وربما أصبح الذهب والحديد أيضا ضمن تلك المنتجات المصدرة — ولا جدال فى أن تلك التجارة كانت من أهم مصادر ثراء الدول فى العالم القديم . بل إن الصراع كان يدور بين الدول حينذاك فى سبيل السيطرة على طرق التجارة العالمية وعلى الأخص تجارة الشرق الأقصى عبر البحر الأحمر . فأنشأ البطالمة الموانى على شاطىء البحر الأحمر لجذب التجارة العالمية إلى بلادهم(١) . وليحاولوا منافسة الأنباط الذين سيطروا على الطريق البرى من الخليج الفارسى عبر الصحراء إلى «البطراء» عاصمة النبطيين ما بين البحر الميت وخليج العقبة .

والملاحظ أن هذا العامل التجارى الهام قد لعب دوراً كبيراً فى ازدهار المملكة المروية فى السودان القديم . وفى القرن الأول الميلادى بدأت مملكة أكسوم — التى قامت فى المنطقة الجبلية الشمالية لإثيوبيا الحالية

(١) الموانى البطلمية على شاطىء البحر الأحمر هى:
Berinice, Myos — hormos, Philotera

تنافس مملكة مروى للسيطرة على التجارة الافريقية فأثر ذلك تدريجيا على ازدهار مملكة مروى .

وكانت منطقة النوبة السفلى منطقة محايدة ، وهى تلك المنطقة المعروفة فى الوثائق باسم أرض الاثنى عشر آر (Ar = ٧½ ميل) ، وترجمها الاغريق «دودى — كاس — خوينوس » Dodekaschoinos وتقع بين مملكة مصر البطلمية فى الشمال ، ومملكه مروى فى الجنوب ، وكانت علاقة مملكة مروى بالبطالمة ودية على وجه العموم ، وكان كهنة إيزيس فى فيلاى يعلنون أن تلك المنطقه خاصة بمعبودتهم ، وادعوا ملكيتها ، معتمدين على انتشار مذهب إيزيس فى كل من مصر والسودان القديم ، فكما يذكر المؤرخ ديودور الصقلى كان للكهنة سلطة قتل الملك وتعيين غيره طبقا للطقوس ، ويذكر المؤرخ ديودور الصقلى فى كتابة الثالث عن إثيوبيا (مروى) أن الكهنة كانوا يمارسون فرض سلطانهم على الملوك فى مروى وأنه فى زمن ثانى ملوك البطالمة حاول الملك الاثيوبى (المروى) إرجمينيس Ergamenes أن يعيد الأمور إلى نصابها ، وكيف أنه خرج بجنوده إلى الأرض المقدسة حيث المقصورة الاثيوبية الذهبية (ربما يقصد معبد إيزيس) وأخضع جميع الكهنة وخالف التقليد القديم(١) . ولقد تبين من مقارنة أقوال ديودور مع ما جاء على الآثار أن المقصود بذلك هو الملك أركك — أمانى Arkakamani (الملك المروى الذى حكم فى الفترة ما بين عام ٢٩٥ – ٢٧٥ ق . م وكان معاصرا للملك بطليموس الثانى الملقب بفيلادلفوس = المحب لأخته ٢٨٤ – ٢٤٦ ق . م) وربما كان سبب الخطأ الذى وقع فيه المؤرخ ديودور الصقلى وذكره لاسم إرجمينيس . Ergamenes II (وهو النطق الاغريقى لاسم الملك المروى أرقمانى Arqamani ٢١٨ – ٢٠٠ ق . م) كمعاصر لبطليموس الثانى فيلادلفوس هو التقارب فى نطق اسمه مع نطق اسم الملك المروى أركك — Arkakamani ، هذا بالاضافة إلى شهرة الملك المروى المدعو إرجمينيس

---

(١) Hintze, Civilizations, p. 23, Inschriften, S. 16 17, Shinnie, Meroe, pp. 16/17, Bevan, 244.

Ergamenes (Arqamani) فى العالم الأغريقى فى ذلك الوقت(١) ،ذلك أن المؤرخ ديودور الصقلى عاد وذكر فى نفس الموضع السابق أن الملك المروى المذكور قد تأثر بالحضارة الاغريقية ، وأنه درس الفلسفة ، ولو أننا لا نملك دليلا على صحة هذا الزعم .

ويرتبط بثورة الملك أركك — أمانى ضد الكهنة عموما ، رفضه الانصياع لسنة السلف فى استمرار الدفن بالقرب من العاصمة الدينية القديمة نبته فى نورى، والانتقال بالدفن إلى العاصمة مروى بالنسبة لأفراد البيت المروى المالك ، حتى لا يترك الفرصة مواتية للكهنة مرة أخرى لاستعادة سيطرتهم .

ويذكر المؤرخ ديودور أن الملك بطليموس الثانى قام بحملة إلى إثيوبيا (مملكة مروى) ربما كان مرجعها إلى رغبة ذلك الملك فى استكشاف تلك البلاد ، وتأمين الطريق التجارى ، حيث كانت الحاجة ماسة للحاصلات الافريقية وعلى الأخص الذهب والفيلة للقتال . ولكن الواضح أن نظرة البطالمة إلى النوبة عموما وإلى مملكة مروى لم يكن الغرض منها محاولة ضم تلك البلاد . فلقد ذكرت المصادر أيضا (Bevan, op· cit. p. 76) أن رحالة إغريقى يدعى « داليون » Dalion من عصر بطليموس الثانى قد استطاع لأول مرة أن يصل إلى أبعد من مروى وأنه ألف كتابا عن إثيوبيا(مروى). ويذكر المؤرخ بيفان Bevan أنه استقى هذه المعلومات من كتاب التاريخ الطبيعى لبلينى (٢) . ويذكر نفس المصدر أن رجلا إغريقيا آخرا يدعى سيمونيدس Simonides قد عاش خمس سنوات فى مروى وكتب كتابا عن إثيوبيا ، وهناك أقصوصة من بردية باللغة الاغريقية عثر عليها فى الفنتين (أسوان) ولعلها تقرير من الحاكم البطلمى هناك إلى الملك الذى يحتمل أنه بطليموس الثانى وفيها ما يشير إلى أنها ذات صلة بحملة بطليموس الثانى

---

(١) Hintze, Inschriften, S. 173
Hycock, Kush XIII, 264 f.

(٢) Pliny, Nat. History VI § 194.

على مملكة مروى(١)، ومعروف أيضا أن البطالمة أقاموا مجموعة من المراكز المحصنة على طول الساحل الشرقي لاستقبال التجارة وعلى الأخص الفيلة الأفريقية، ومنها ميناء «بطليموس ثيرون» على شاطىء البحر الأحمر ما بين بورتسودان والحدود الارترية لتسهيل التجارة مع الشرق الأقصى «وبرنيس» Berenice عند مصوع، «وأرسينوى» بالقرب من باب المندب، ومحطة أخرى تحمل اسم «برنيس» عند مدخل باب المندب من ناحية خليج عدن(٢). ومما يذكر أن الملك المروى أركك — أماني المعاصر للملك بطليموس الثاني هو أول من أمر ببناء هرمه في مروى بالقرب من العاصمة نفسها، بعد أن استمر دفن ملوك مروى لفترة طويلة في الشمال في نورى حيث العاصمة الدينية القديمة نبته، رغم نقل العاصمة والملك والحكم إلى مروى منذ زمن الملك أسبلتا ٥٩٢ — ٥٦٨ ق.م.

ومما هو جدير بالذكر أيضا أن يعثر على عملة برونزية للملك بطليموس الثالث في حفائر المجموعة المركبة بالمصورات الصفراء. كما استعملت الأبجدية الاغريقية بجانب الأبجدية المروية كعلامات معمارية تساعد في وضع العناصر المعمارية في عمارة المصورات في أماكنها بعد نحتها وإعدادها.

وظهر أثر تلك الصلات الحضارية بين البطالمة وبين مملكة مروى متمثلا في عمارة منطقة المصورات الصفراء وعلى الأخص في معبد الأسد الذى بناه الملك أرنخ — أماني Arnekhamani (٢٣٥ — ٢١٨ ق.م)، فالكتابة المصرية على المعبد اتخذت طابع الكتابة الهيروغليفية المصرية التى كانت مستعملة في زمن البطالمة، وتحاكى تلك النصوص المسجلة على معبد إيزيس في فيلاى. وكذلك اتخذ الملك المروى ارنخ — أماني Arnekhamani لنفسه لقب الملك بطليموس الرابع ٢٢١ — ٢٠٣ ق.م. «خبر — كا — رع»، ومعناه «روح الإله رع دائمة» وقد حاكى كلاهما في ذلك الملك سنوسرت الأول

---

(١) Bevan, op. cit. p. 77.

(٢) Shinnie, op. cit. p. 34.

من الدولة الوسطى والذى كان يلقب أيضا «خبر — كا — رع»، كما أن الكتابات المنقوشة على معبد الأسد تشبه إلى حد كبير كتابات معابد فيلاى (عند أسوان) البطلمية من حيث اللغة وطريقة الكتابة .

وهناك المعبد الذى أقامة الملك المروى إرجمينيس Ergamenes فى دكه Pselcis=Dakka (بالنوبة السفلى) للمعبود توت ، ولا نتبين فيه إلا أثر الفن المصرى القديم بدون أى تأثير إغريقى . وهو نفس المعبد الذى أضاف إليه الملك بطليموس الرابع بعض الاضافات(١) . وفى زمن الملك المروى Adikhalamani خليفة الملك المروى إرجمينيس Ergamenes (ويسمى أحيانا فى المراجع القديمة Ezekher-Amun ، الذى حكم ما بين عام ٢٠٠ — وعام ١٨٥ ق . م ، وهو صاحب الهرم رقم ٩ بجبانة البجراويه الشمالية) شيدت مقصورة فى دبود Dabod فى النوبة السفلى تحمل اسمه وكانت على الطراز المصرى أيضا ولا يبدو فيها أثر العمارة الاغريقية (٢).

وذكر عن هذا الملك المروى Adikhalamani أنه استغل فرصة الثورة التى قامت فى مصر ضد حكم الملك بطليموس الخامس الملقب بالظاهر Epiphanes ٢٠٣ ١٨١ ق . م وأسرع بالإستيلاء على النوبة السفلى(٣). وكذلك عثر فى النوبة السفلى تحت موقع معبد كلابشة ، الذى أقامة فيها بعد الامبراطور الرومانى أغسطس أكتافيانوس ، على آثار تحمل اسم الملك بطليموس التاسع الملقب بالمنقذ (سوتر الثانى) ابن الملكة كليوبتره الثالثة ١١٦ — ١٠١ ق . م(٤). وفى زمن حكم الملك بطليموس الثالث عشر(٨٠—

(١) Porter & Moss VII, 46 : Arkell, History. pp. 158/9.

(٢) Bevan. op. cit. p. 245

(٣) Bevan p. 260/261

(٤) De Meulenaere, Ptolemee IX Soter II à Kalabcha Chronique d'Égypte XXXVI. No. 71, 1961, pp. 98/105.

٥١ ق . م) أقيم معبد صغير فى «جزيرة بجه» إلى الغرب من جزيرة فيلاى جنوبى خزان أسوان القديم، وفى نفس الجزيرة التى عمر فيها ملوك الدولة الحديثة، والذى يحتمل أن ملوك الدولة الوسطى أيضا قد أقاموا فيها قلعة من قبل .

ويذكر أنه خلال الأيام الأخيرة من حياة الملكة الشهيرة كليوباتره السابعة، أنها أرسلت إبنها من القائد الرومانى أنطونيوس إلى الجنوب لكى تبعده عن خطر الرومان الذين كانوا يدقون أبواب مصر حينذاك بعنف شديد(١).

---

(١) انظر مصطفى مسعد ، الإسلام والنوبة ١٩٦٠ القاهرة ص ٢٥ وهناك يذكر :
Wooley & MacIver, Karanog, The Romano—Nubian Cemetery. p. 85.

تطور العلاقات بين مملكة مروى

وبين الإمبراطورية الرومانية

فى أول أغسطس عام ٣٠ ق. م استطاع الامبرطور الرومانى أغسطس أكتافيانوس (١٠٠-٤٤ ق.م) فتح مدينة الإسكندرية عاصمة المملكة البطلمية فى مصر بعد أن هزم قوات كليوباتره المتحالفة مع غريمه أنطونيوس فى موقعة أكتيوم البحرية على الشاطىء الغربى لبلاد اليونان . ومن يومها دخلت مصر فى حوزة الامبرطورية الرومانية المترامية الأطراف .

والواقع أن المصادر التى تتضمن إشارات عن العلاقات بين مملكة مروى وبين الرومان ينحصر معظمها فيما ورد فى أقوال المؤرخين أمثال بلينى الأكبر وديوكاسيوس وسترابون . وبعضها أشارت إليه آثار ذلك العهد سواء منها الآثار الرومانية أو المروية :

« فأثر أنقره » — الذى يحتوى على موجز لأعمال الأمبراطور أغسطس أكتافيانوس ، وهو عبارة عن نص لاتينى مع الترجمة اليونانية يحمل عنوان « أعمال أغسطس المؤلة » وقد عثر عليه عام ١٥٥٥م فى أنقره (١) — يشير إلى مدى اهتمام الرومان بأمر توسيع حدود الإمبراطورية نحو الجنوب عندما ورد فى النص ذكر حملة أمر الامبراطور بإرسالها إلى إثيوبيا (مملكة مروى) حيث قال : « بأمرى وتحت رعايتى اقتيد جيشان فى نفس الوقت تقريبا ، أحدها إلى إثيوبيا (مملكة مروى) والآخر إلى بلاد العرب التى تسمى بالسعيدة (اليمن) ، وقد هلكت قوات ضخمة من كلا الشعبين فى المعركة ، وسقطت بلدان عديدة ، فى إثيوبيا تقدم (الجيش) حتى

---

(١) انظر عبد اللطيف أحمد على « مصر الرومانية فى ضوء الأوراق البردية » ــ ١٩٦٠ القاهرة ص ٤٨ وما بعدها ؛

E.G. Hardy. The Monumentum Ancyranum. Oxford.pp,121/125

بلدة نبته ، وهى أقرب مكان من مروى ، وفى بلاد العرب تقدم (الجيش) حتى بلدة ماريبا فى أراضى السبئيين » .

ولقد اتضح أن الحملة الإثيوبية التى تحدث عنها أثر أنقره وقعت بعد حملة اليمن الفاشلة التى كانت قد قامت فى عامى ٢٥/٢٤ ق .م تحت قيادة ثانى ولاة الرومان على مصر والمدعو اليوس جاللوس Aelius Gallus (٢٦/٢٤ق.م) ، وكان الغرض منها تحويل الطريق التجارى فى البحر الأحمر إلى الموانى المصرية الخاضعة للرومان على شاطىء ذلك البحر مثل « برنيقى » Berenike المقابلة لمدينة « قفط » و « ميوس هرموس » Myos-hormos ثم فيلوترا Philotera ، بعد أن كان حكراً على القبائل العربية فى اليمن Arabia Felix (Eudaemon) العرب السعيدة وكذلك القبائل الصومالية على الجانب الآخر من البحر .

وفى وثيقة أخرى هامة — عبارة عن نص مكتوب بالمصرية المصورة واللاتينية واليونانية عثر عليه مسجلا على حجر جرانيتى فى جزيرة فيلاى Philae جنوبى أسوان ، ويعود إلى السنة الأولى من حكم القيصر أغسطس أكتافيانوس (١٥ أبريل عام ٢٩ ق م)، يعدد أول والى رومانى على مصر المدعو كورنللوس جاللوس C. Cornelius Gallus — والذى كان يعتبر أحد قواد أكتافيانوس — إنتصاراته فيذكر أنه « استمع إلى سفراء ملوك الإثيوبيين عند فيلاى ، وقبل ذلك الملك تحت الحماية ، وعينه حاكما على تريا كنتاسخونوس الإثيوبية » (والكلمة إغريقية ومعناها ثلاثون اسخوينوس ، والأسخوينوس = ٦٠ استاديون وهو يساوى ١٨٥ متراً أى مسافة الـ ٣٣٣ كيلومتراً التى تمتد جنوبى الشلال الأول عند أسوان حتى الشلال الثانى عند وادى حلفا = منطقة النوبة السفلى)(١) .

ومعنى ذلك أن ملك مروى قبل حماية الرومان ، ونحن لا نملك ما نؤيد

---

(١) انظر عبد اللطيف أحمد على — المرجع السابق ص ٥٩ وما بعدها وهامش ٢٠ ثم
Milne, Grafton. A History of Egypt Under Roman Rule p. 5,6 London 1924.

به أقوال ذلك الوالى الرومانى ، ولكن المؤكد أن ذلك هو أول اتصال فعلى بين مملكة مروى من جهة وبين الإمبراطورية الرومانية من جهة أخرى.

أما ما ورد فى « أثر أنقره » على لسان الإمبراطور أغسطس أكتافيانوس عن إرسال حملة إلى مملكة مروى ، فكان المقصود منه هو تلك الحملة التى قادها ثالث ولاة الرومان على مصر المدعو بترونيوس(٢٤/٢١ ق.م Petronius) لمواجهة الحملة التى قام بها ملوك مروى ووصلوا حتى أسوان. بعد أن نقضوا الإتفاق الذى عقده معهم أول ولاة الرومان على مصر ، منتهزين فرصة سحب بعض القوات الرومانية من مصر لتنضم إلى حملة اليمن الفاشلة . وكان سير الأحداث كما يلى (١):

تمكنت القوات المروية من الإعداد لحملة بقيادة الملك ترتقاس Teriteqas وزوجته أمانى ريناس Amanirenas (وهى التى لقبتها المصادر الكلاسيكية بالكنداكه Candace-Kanake ، وهى كلمة مروية معناها إما الملكة الحاكمة أو الملكة الأم ، ووردت الكلمة فى الوثائق الإغريقية الرومانية Candace وهى القراءة الكلاسيكية للكلمة المروية التى كانت تكتب Kdke أو Ktke بمعنى أن حرفى nd فى الإغريقية يقابلان الحرف d ، z فى المروية ، وهذا ظاهر أيضا فى كتابة اسم المعبود المروى مندوليس ، فهو فى الإغريقية يكتب Mandulis ولكنه فى الكتابة المصرية للكلمة المروية يكتب Mrwle أو Mlwle أو Mtwle أو Mutwl أى أن حرف r فى المصرية أو d فى المروية يقابل حرفى nd فى الإغريقية(٢)) . وصحب الملك والملكة أبنها الأمير المتوج أكنداد Akinidad فى عام ٢٤ ق.م واستطاعوا التقدم شمالا حتى بلدة دكه Pselkis=Dakka بمنطقة النوبة السفلى المصرية(٣).

(١) Milne, op. cit., pp 9/11; Hintze, Studien, p. 24 ff; Shinnie Meroe, pp. 47/48.

(٢) Priese, Dissertation S. 225 229, Nr. 20 Das meroitosche Sprachmaterial in den ägyptischen Inschriften des Reiches von Kush.

(٣) انظر المرجع السابق لعبد اللطيف أحمد على ، ص ٦٧ — ٦٩ ؛ Emery, Egypt in Nubia. p. 225 6.

وعثر على نص في معبد دكه يحمل اسم الملك ترنقاس والملكة أمانى ريناس والأمير أكنداد ، وعلى نص آخر كان الملك قد أمر بتسجيله هناك قبل قيامه بالحملة المذكورة (١).

وحدث بعد ذلك أن توفى الملك ترنقاس ، فتولى إبنه الأمير المتوج أكنداد قيادة الحملة المروية وبصحبته أمه الملكة الحاكمة أمانى - ريناس، وواصل الجيش المروى المؤلف من ٣٠٫٠٠٠ (ثلاثين ألف) محارب تقدمه شمالا . ومع أن ذلك الجيش لم يكن جيد التسليح ، إلا أنه استطاع هزيمة الحامية الرومانية المكونة من ثلاث كتائب (٣×٦٠٠) والتى كانت ترابط على حدود مصر فى منطقة الشلال الأول ، وتمكن المرويون فعلا من فتح فيلاى وجزيرة الفيلة (الفنتين) وأسوان نفسها ، وكانت تلك البقعة كعبة للمصريين والمرويين . وكانت رسل ملوك مروى تصل إليها سنويا محملة بالهدايا للمعبودة إيزيس ، التى كانت ترمز إلى الأمومة وإلى الخير والجمال ، وتعتبر رمزاً للسماء ، وهى التى شبهها اليونان بأفروديت والرومان بفينوس .

وحمل الجيش المروى الفاتح معه لدى عودته أسرى وغنائم كثيرة ضمنها بعض تماثيل الإمبراطور أغسطس التى كانت مقامة فى فيلاى ، كشاهد على انتصارهم على الرومان . والجدير بالذكر أن الحفائر التى قام بها العالم الإنجليزى جارستانج Garstang فى منطقة القصر الملكى بالبجراويه حيث موقع العاصمة مروى ، كشفت عن رأس تمثال برونزى للإمبراطور أغسطس ارتفاعها ٤٨٫٢٥ سم (نقلت إلى المتحف البريطانى فى لندن . وموجود منها نسخة طبق الأصل بمتحف الخرطوم) . وعثر على الرأس المذكور مدفونا أمام قاعدة حجرية ضخمة ، من حولها مجاز من الأعمدة فيما يشبه المظلة. ويبدو أن الأمير المتوج المروى كان قد أمر باقامة التمثال الرومانى على تلك القاعدة عند احتفاله بالنصر ، بالقرب من المعبد الكبير للإله آمون وغير بعيد من القصر الملكى وملحقاته . ولعل فى ذلك صدى بعيداً للتقليد الذى كان سائداً فى مصر القديمة ، وكان يقضى بأن تجمع الغنائم كلها عند أقدام المعبود آمون فى معبده الكبير بالكرنك ، حيث مكان القلب من العاصمة طيبه .

---

(١) Shinnie, Meroe. pp. 84 5 . Hintze, Studien, p. 25.

حينذاك أمر الأمير المتوج أكنداد بتخليد انتصاره على الرومان بنقش أخباره على لوحين كبيرين بالخط المروى (Akin I,II) ، عثر عليهما عند مدخل المعبد الصغير الذى بنى لعبادة الإله أبيس Apis فى حاداب Hammadab على بعد حوالى ثلاثة كيلومترات إلى الجنوب من البجراوية ، ثم نقل اللوح الأول (Akin. I) إلى المتحف البريطانى (رقم ١٦٥٠) ويسمى فى المراجع لوح حماداب .(١)

واللوح الثانى (Akin. II) عبارة عن قطعة من الجرانيت لنفس الملك عثر عليه فى ذات المنطقة على يمين مدخل المعبد الصغير . ونقل إلى متحف الخرطوم . ويتناول هذا اللوح أيضا موضوعاً تاريخيا . ويتألف النص من ٣٥ سطراً من الكتابة المروية المبسطة ، ويمكن أن نتبين على الجزء العلوى من اللوحة آثار تقديم قرابين (٢) .

ولم يرض الإمبراطور الرومانى بما حدث ، فأمر واليه فى مصر بترونيوس بالزحف جنوبا لاستعادة ما فقده ، فخرج فى جيش مؤلف من عشرة آلاف من المشاة وثمانمائة من الفرسان وأستطاع صد المرويين وتعقبهم حتى دكه ، وفشلت المحادثات التى جرت بين الطرفين والتى استمرت ثلاثة أيام ، قام الرومان بعدها بالإستيلاء على دكة وقصر إبريم Primis ، حيث بقيت تحصيناتهم قائمة إلى ما قبل تكوين بحيرة السد العالى ، ثم دخل الرومان نبته العاصمة الثانية لمملكة مروى ، عام ٢٣ ق . م . هنالك أسرع ملك مروى بتسليم أسرى الرومان وإعادة الغنائم التى كان المرويون قد

(١) Monneret de Villard. Kush VII pp. 104/110 and pl. XXVI; Hintze, KushIX. pp, 279—282.
Meroitic Newsletter, Bulletin d'informations Méroitiques, No. 2. p. 14 REM 1003.

(٢) Meroitic Newsletter. No. 3 October 1969. p. 5, REM 1039; Shinnie, Meroe, pp. 84/5.



لوحة رقم ١١ - بقايا قصر الملكة أماني — شختيه — ٤١ ق.م — ١٢ ق.م بواد بانقا (صاحبة الهرم رقم ٦ بالجبانة الشمالية بالبجراوية ، والتي ادعى فرليني أنه عثر بداخله على المجوهرات المروية النادرة) (تصوير المؤلف)

أحضروها معهم من منطقة أسوان . حينئذ قفل الوالى الرومانى عائداً إلى الإسكندرية ، بعد أن ترك حامية قوامها أربعمائة من الجنود لديهم مؤونة تكفيهم لمدة عامين . بيد أن الوالى الرومانى اضطر للعودة إلى منطقة الصراع فى إبريم Primis بعد أن حاصرتهم القوات المروية بأعداد غفيرة ، وتمكن من فك الحصار عن الحامية الرومانية .

هنالك أسرع الملك أكنداد وأمة الملكة الحاكمة بطلبان السلام ، وساعتها أحال الوالى الرومانى رسلهما إلى الإمبراطور أغسطس ما بين عامى ٢١/٢٠ ق . م الذى كان يقضى وقتا للراحة فى جزيرة ساموس ببحر إيجه قرب سواحل آسيا الصغرى . وبعد أن استقبل الإمبراطور المبعوثين حددت شروط اتفاق حسن الجوار ، وبموجبها انسحب الرومان شمالا حتى بلدة المحرقة Hiera Sykaminos التى تقع جنوبى دكه ، والتى اعتبرت أقصى نقطة للحدود الجنوبية للإمبراطورية الرومانية .

وماتت الملكة أمانى ريناس ، بينما استمر ابنها الملك أكنداد فى الحكم بعض الوقت، حيث بنى بالاشتراك مع الملكة أمانى ـ شخيته Amanishakhete بعض إضافات معمارية للمعبد ت (T) فى كوه(١).

وتعطينا الخبيئة الذهبية التى عثر عليها المغامر الإيطالى فرلينى عام ١٨٣٤م فى هرم الملكة أمانى ـ شخيته رقم ٦ بالجبانة الشمالية بالبجراويه والتى ترجع إلى حوالى عام ٢٥ ق . م ، صورة من حياة القصور فى مروى فى ذلك الحين أيام الصراع مع الرومان ، والكنز فى معظمه مكون من أساور ذهبية ثقيلة الوزن وخواتم زخارفها مصرية وهيلينية (إغريقية) وبعضها مروى الطراز . ولا جدال فى أن تلك الحلى قد صنعت فى مروى ، وأنها عبارة عن حلى تخص الأسرة المالكه فى مروى بعضها موروث من أجيال سابقة . وقد آل معظم هذا الكنز إلى متحف برلين الشرقية ومتحف ميونخ ، بعد تدخل العالم الألمانى لبسوس الذى أوصى بشرائه(٢) .

---

(١) Hintze. op. cit. p. 26; Kawa 105/106.

(٢) راجع ص ١ ؛ والملكة أمانى شخيته فى صاحبة قصر واد بانقا ، لوحة رقم ١١

وعلاوة على ما سبق ، فقد أمر الملك أكنداد بكتابة إسمه على جدران « معبد الشمس » بمروى بالهيروغليفية المروية [Mer. 2] [١].

وحول الرومان المنطقة الواقعة ما بين المحرقة وأسوان إلى مجموعة من الحصون القوية ، فأقاموا معسكرات لهم فى دكه وكلابشه وقرطاسى ودبود جنوبى الشلال الأول . وبالإضافة إلى تلك الحصون فإنهم أقاموا معابد جديدة وأضافوا إلى بعض المعابد القائمة من قبل . ولعل أهم ما بناه الرومان بالنوبة السفلى المصرية من معابد أن يكون معبد كلابشه ، الذى أمر الإمبراطور أغسطس أكتافيانوس بإقامته على أنقاض معبد مصرى من زمن الملك المصرى أمينوفيس الثانى أضاف إليه ملوك البطالمه [٢].

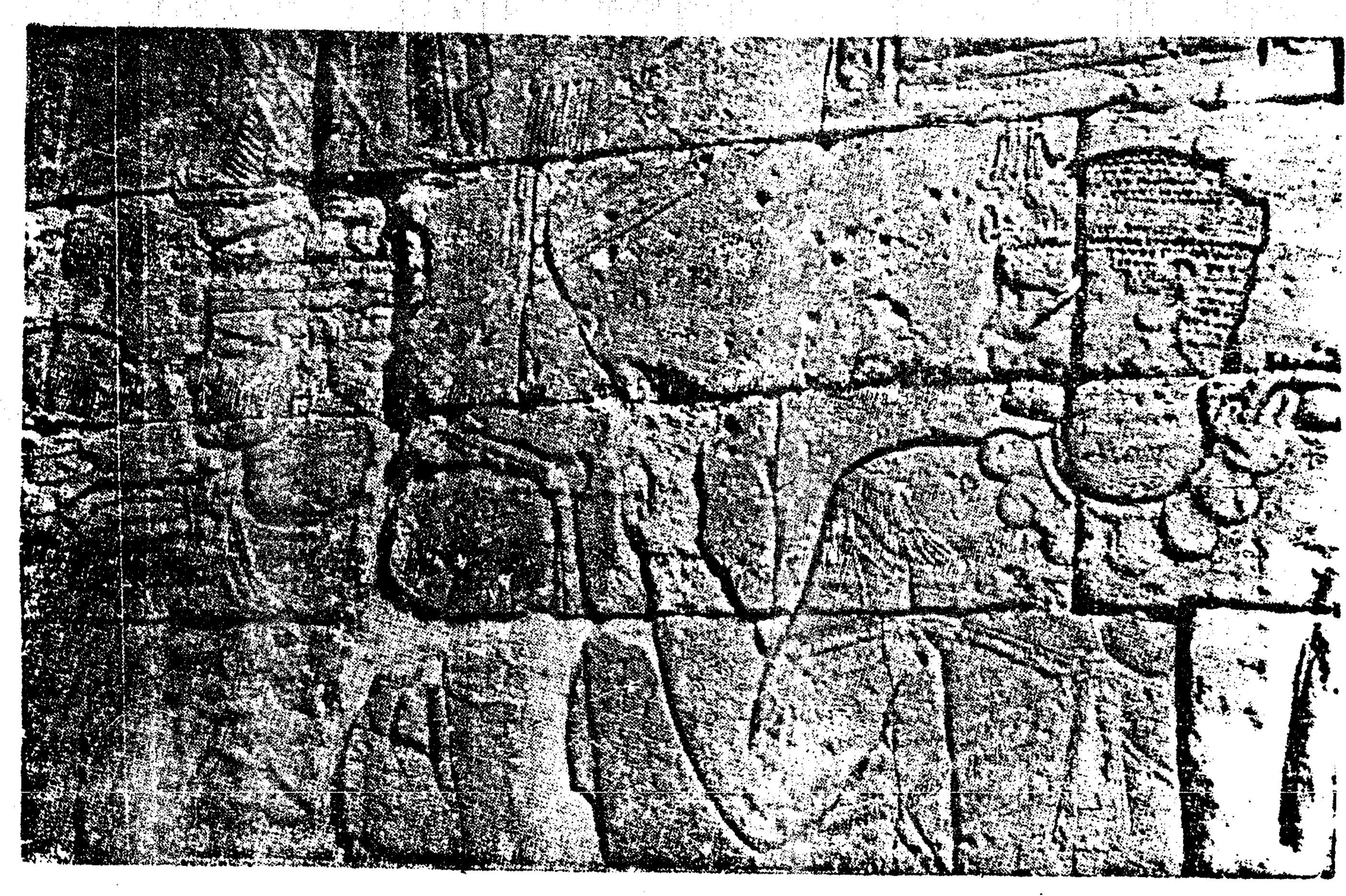
ولا جدال فى أن بناء معبد كلابشة بحجمه الكبير فى هذه المنطقة دليل على مدى إهتمام الرومان بالنوبة السفلى منذ بداية حكمهم لمصر ، ويوضح أهمية موقع كلابشه ، كمركز دينى لعبادة « مندوليس Mandulis » ، أحد معبودات منطقة النوبة .

وكادت الإستراتيجية الرومانية تجاه مروى تتخذ طريقا مختلفا ، وذلك عندما حاول الإمبراطور الرومانى نيرون Nero (٥٤ — ٦٨ م) أن يمهد لغزو مملكة مروى ، فأرسل بعثتين ، ذكر أن الغرض من إحداهما هو استكشاف منابع النيل حوالى عام ٦٢ م ، أى فى عهد الملك المروى Amanitenmemide ٤٦-٦٢م. أما الثانية فكانت بغرض الإستطلاع والتجسس تمهيداً لحمله حربية حوالى عام ٦٦م أو عام ٦٧م، حين كانت تحكم فى مروى الملكة Amanikhatashan ٦٢ — ٨٥ م ووصلت البعثتان حتى مستنقعات النيل الأبيض . وذكر كذلك أن نيرون كان يستعد للوقوف فى وجه ازدياد نفوذ مملكة أكسوم الحبشية فى الجنوب الشرقى — والتى أخذت تلفت الأنظار إليها — ولكن الذى حدث أن ثورة اليهود الكبرى فى مملكة يهوذا وفى

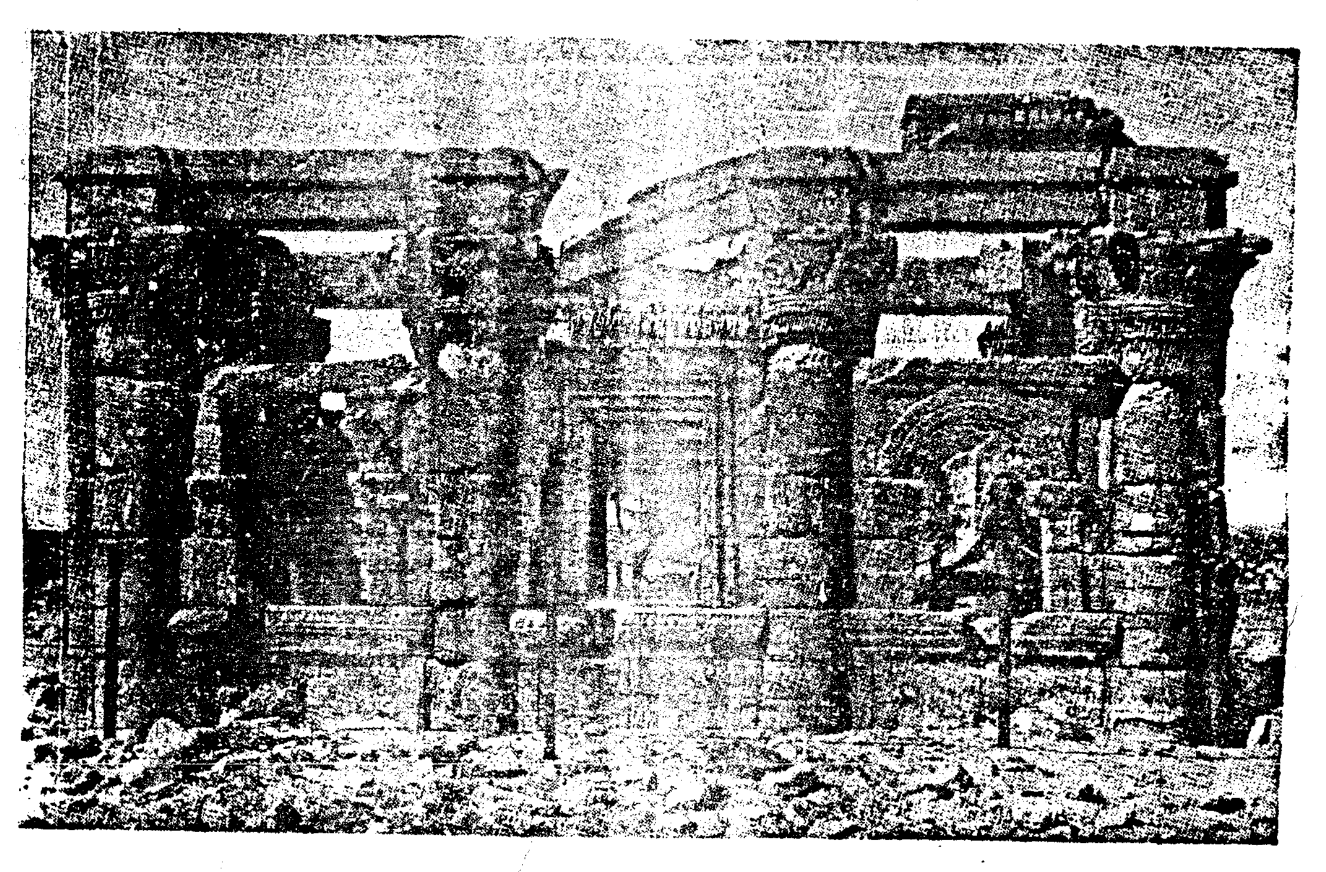
---

(١) Hintze, Studien. p. 25.

(٢) De Meulenaere, Chronique d'Égypte XXXVI. No. 71, pp. 98—105.



لوحة رقم ١٣ — الملك نتك — أماني ومن خلفه ولي عهده الأمير أريكانخارير ضمن موكب تحية المعبود أبدماك ، جزء من صورة بالنحت البارز على أحد الجدران الخارجية لمعبد الأسد بالنقعه



لوحة رقم ١٢ — المعبد الصغير (الكشك الرومانى) بالنقعه　　(تصوير المؤلف)

المدائن المصرية وفى ليبيا اضطرت الرومان إلى سحب معظم قواتهم المرابطة فى جنوب مصر لتقوم بواجبها الأساسى فى الشرق للمحافظة على كيان الإمبراطورية الرومانية . (١)

كما أمر الإمبراطور أغسطس بإقامة إضافات معمارية تحمل اسمه فى دبود ودندور ودكه . ويذكر ملن(٢) أن بعثة (رومانية) خرجت (من مصر ووجهتها مروى) عام ١٣ ق . م لمقابلة ملكة مروى قد تركت نقوشا فى دكه وهى فى طريق عودتها ، ولعله يقصد نفس البعثة التى يتحدث عنها النص الاغريقى على معبد دكه(٣) بوصفها بعثة مروية تحت قيادة رجل يدعى حربوقراس Harpocras ،وبعد عودة البعثة من عند القيصر أغسطس فى روما تركت نقشا فى دكة وذلك عام ١٣ ق . م . وفى النقش يبدى المبعوث تقديره وأحترامه للمعبود المحلى لدكه (٤) .

وقد درج الملوك المرويون على إرسال المبعوثين محملين بالهدايا الثمينة إلى معبد إيزيس فى فيلاى ، فى حين ترك المبعوثون نصوصا باللغات المروية أو المصرية أو الاغريقية فى فيلاى، كشاهد على تواجدهم فى رحاب المعبودة إيزيس .

وفى ألقاب أصحاب اللوحات الجنائزية المروية(شواهد القبور) من فرص وكرنوج Faras, Karanog وغيرها بالنوبة السفلى ، ما يدل على استمرار الصلات بين مروى وبين روما . حيث يرد لقب « المبعوث إلى روما » apê e Ar[ê] melis (Kar-112) ; ثم المبعوث الكبير إلى روما apêtelkh Arêmelis (Rome) (Inschr. 129). ضمن ألقاب أصحاب تلك اللوحات .

ولقد ظهر أثر تلك الصلات بين مملكة مروى وبين الرومان فى فن العمارة :

---

(١) Hintze, Civilizations. p. 26; Studien. p. 70; Milne pp. 22/23.

(٢) Milne, p. 10

(٣) Shinnie, Meroe, p. 49

(٤) Hintze, Studien. p. 26

(٥) Hintze, Studien. p. 29.

فالمعبد الصغير فى النقعه المسمى « بالكشك الرومانى »(١) فيه الكثير من العناصر المعمارية الرومانية كالعقود وتيجان الأعمدة . وفى العمارة الرئيسية بمنطقة المصورات بعض من الأثر الهيلنستى والرومانى على الأخص فى طراز الأعمدة ، واتضح أن المهندس المعمارى المروى الذى ساهم فى إقامة أجزاء من العمارة الرئيسية للمعبد الكبير قد استعمل رموزاً عبارة عن حروف من الأبجدية الإغريقية إلى جانب المروية نحتها فى ظهر القطع الحجرية لكى تساعد فى انتظام وضع أجزاء الإفريز الحجرى فى مكانها من العمارة .

وفى مدينة مروى فى المنطقة التى تضم القصور الملكية ومعبد آمون كشفت حفائر جارستانج عن أثر من آثار اتصال الحضارة المروية بالحضارة الرومانية المتقدمة ، ونعنى به « الحمام الرومانى » وهو عبارة عن حوض عميق نسبيا مربع أو مستطيل الشكل محفور فى الأرض ملحق به قسم مستدير يشبه البئر أو المغطس ولكنه متصل بالحوض الرئيسى ولعله كان لغرض الإغتسال قبل الدخول إلى الحمام وكانت المياه تصل إليه عن طريق قناة مبنية من الأحجار ، تدخل إلى مبنى الحمام ثم تدور حول الحوض ، وهناك تختلط بالعطور ، وتسقط مياهها من خلال أفواه تماثيل للأسود ، ليتمتع بها المستحمون على أنغام الموسيقى والغناء . ويحيط بحافة الحوض إفريز من الحليات وتماثيل للموسيقيين . وكانت المياه تسحب من النيل القريب بواسطة ساقية . وقد عمل نظام لصرف مياه الحوض . والمرء أن يتخيل كيف كان الملوك وأفراد أسرهم يلجأون وقت الظهيرة إلى المتعة واللهو داخل هذا الحمام .

وضمن الرسوم البارزة التى يحفل بها معبد الأسد بالنقعه(٢) ـ الذى يرجع تاريخ بنائه إلى نهاية القرن الأول قبل الميلاد وبداية القرن الأول الميلادى ـ صورة لأحد الآلهة بالمواجهة على أحد الجدران الداخلية وفيها صور الوجه كاملا ، ويظهر من طريقة الرسم الأثر الرومانى واضحا . فهو قريب الشبه بالآلهة الرومانية .

وكان للعقائد الدينية أثر كبير فى تطور العلاقات بين مملكة مروى

---

(١) انظر اللوحة رقم ١٢ ؛ مع العلم أن هذه المنطقة لم تجر فيها حفائر منظمة حتى الآن .

(٢) انظر لوحة رقم ١٣ .

وبين الامبراطورية الرومانية . فمع أن كل شعب منهما كانت له معبوداته الخاصة إلا أن معبودة شهيرة من معبودات وادى النيل قد فرضت نفسها على الجميع .

فالمعبودة المصرية « إيزيس » قد اشترك فى تقديسها كل من المرويين والمصريين والرومان ، وأضحى معبدها فى جزيرة فيلاى على الحدود بين مصر الرومانية وبين مملكة مروى مزارا للجميع . وكثيرا ما تركت الوفود المروية كتابات تدل عليها ، مدونة على جدران ذلك المعبد كما ذكرنا من قبل .

وكان لتقديس بعض الطوائف الرومانية لإيزيس المصرية ـ المروية بعض التطورات :

فخلال القرن الثانى قبل الميلاد انتقلت عبادة الإلهة إيزيس إلى روما نفسها بواسطة الإغريق الذين استوطنوا مصر أو إحدى المناطق المجاورة لإيطاليا والتى وصلتها ديانة إيزيس من قبل . ولقد ازداد عدد أتباع إيزيس وخاصة بين الفقراء إلى درجة اضطرت معها الحكومة الرومانية عام ١٨٦ ق . م إلى اتخاذ سياسة حازمة ضد نشاط أتباع تلك العقيدة ، فأمرت بهدم معابد إيزيس القائمة فى روما ، وكذا هيا كل المعبود المصرى سيرابيس ، ذلك المعبود الذى رفعه البطالمة فوق جميع الآلهة الأخرى ، محاولين بذلك التوفيق بين المصريين والإغريق فى العقائد الدينية ، فكان المفروض أن يتخيل فيه المصريون إلههم القديم أوزيريس ، وأن يرى فيه الإغريق صورة إلههم زيوس ، رب الأرباب . والجدير بالذكر أن إيزيس كانت تعتبر فى نظر تلك العقيدة زوجة المعبود البطلمى سيرابيس . وكان لطول استيطان الحضارة الهيلينية (الإغريقية) فى مصر أيام حكم البطالمة أكبر الأثر فى انتشار العقائد المصرية إلى العالم الغربى فى بلاد اليونان ثم إلى غيرها من البلاد التى استوطنها الإغريق أو اتصلوا بها لسبب أو لآخر .[١]

وظلت عقيدة إيزيس فى روما بعد ذلك بين مد وجزر ، فعاصرت أيام ازدهار فى زمن الإمبراطور يوليوس قيصر إلى أن اعترف بها رسميا

(١) عبد اللطيف أحمد على : مصر الرومانية فى ضوء الأوراق البردية — القاهرة ١٩٦٠ ص ١٤٧ وما بعدها.

عام ٤٣ ق.م ، وازدهرت أيضا فى عام ٣٩ م زمن الامبراطور كاليجولا ، ثم فى عام ٦٩ م قبل اعتلاء فلافيوس فسبسيانوس عرش الامبراطورية . حينذاك بدأ العصر الذهبي لايزيس فى روما ، إلى حد أن صورة إيزيس فى معبدها بساحة مارس ظهرت على العملة التى سكها الامبراطور فسبسيانوس(١) . وفى عام ٩٤م أعاد الامبراطور دميتيان ابن الامبراطور فسبسيانوس بناء معبد إيزيس الذى دمرته النيران عام ٨٠م . كما أقام مسلة عند مدخل المعبد زينها بالنقوش الهيروغليفية ، تحمل تخليداً لهذا العمل . وهكذا نرى أن إيزيس (معبودة وادى النيل) قد لعبت دوراً لا يستهان به فى محيط العقائد الدينية فى عالم الرومان وهذا يفسر السبب الذى من أجله أضحى معبدها فى فيلاى قرب أقصى الحدود الجنوبية للامبراطورية الرومانية مزارا للرومان أنفسهم أيضا .

ولم يكن معبد إيزيس فى جزيرة فيلاى هو المعبد الوحيد لايزيس الذى كان يقصده المرويون ، بل إن إيزيس قد امتد سلطانها إلى مروى العاصمة ، حيث بنى لها معبد هناك(٢). نسبه المكتشف لإيزيس اعتمادا على ظهور تمثالان صغيران لها عند مدخل المعبد ، ويقع معبد إيزيس هذا إلى الشمال من معبد آمون الكبير خارج مدينة مروى القديمة ، ولم يتم اكتشافه بشكل علمى كامل حتى الآن ، فلا يزال غارقا فى الرمال .

وفى مطلع هذا القرن حاول جارستانج الكشف عن جزء من المبنى ، فتبين أنه يتألف من قسمين كبيرين يتضح من شكلهما أنهما معبدان ، أحدهما يقع على مستوى أعلى من الآخر . والمبنى الذى يقع على المستوى الأعلى يتكون من صالتين للأعمدة يؤديان إلى مقصورة حيث يقوم المذبح على أرضية من القيشانى (الفيانس) وعثر فى هذا المعبد على لوحة تاريخية هامة خاصة بالملك ترتقاس Teriteqas وزوجته الملكة أمانى — ريناس Amanirenas وابنهما الأمير أكنداد Akinidad الذين عاشوا فى نهاية القرن الأول قبل

---

(١) أنظر المرجع السابق ص١٥٣ وما بعدها

(٢) Shinnie, Meroe. p. 84

الميلاد ، والذين تحدثت عنهم المصادر الرومانية الكلاسيكية على أنهم قادة الحملات ضد الرومان فى منطقة النوبة وأسوان ، وذلك بعد احتلال الرومان لمصر بوقت قصير .

أما المبنى السفلى الذى يقع على مستوى أدنى من المبنى السابق فعثر فيه على تمثالين كبيرين للكين (أو ربما لإلهين) ولعلها كانا قد أقيما فى الأصل عند مدخل المعبد ، كما عثر على تمثالين صغيرين لايزيس فى هذا المبنى ، اعتبرهما جارستانج أساساً لينسب المعبد إلى إيزيس ، ولكن الحفائر فى المستقبل سوف توضح لنا هذه النقطة بالذات .

وفى متحف كوبنهاجن « جليبتوتيك نى كارلسبرج » بالدنمارك تمثال من الحجر الرملى ارتفاعه ٢٫٢٣ متراً يحمل رقم ١٠٨٢ لأحد ملوك مروى ، عثر عليه عند الكوم الذى كان يغطى مكان المعبد ، ولعله كان يقوم عند مدخل المعبد ، والتمثال لا يحمل أى كتابة تشير إلى صاحبه .

وفى « المصورات الصفراء » تظهر إيزيس على جدران معبد الأسد الذى بناه أرنخ — أمانى Arnekhamani (٢٣٥ — ٢١٨ ق . م) (١) .

وفى « واد بانقا » بنى لايزيس معبد أضاف إليه الملك نتك أمانى(١) ، حيث عثر العالم الألمانى لبسيوس على القاعدة الحجرية المخصصة للقارب المقدس الذى كان يحمل تمثال إيزيس(٣) ونقلها إلى متحف برلين الشرقية رقم ٧٢٦١ (ارتفاع القاعدة ١١٨سم وعرضها ٨٠سم وارتفاعها ٨٣سم) . والقاعدة المذكورة تحمل اسم وصور كل من الملك المروى نتك — أمانى والملكة أمانى — تيره (١٢ ق م — ١٢م) اللذان صـــوروا على جانبين متقابلين من جوانب القاعدة الحجرية ، بينما صورت الإلهتان على الجانبين الآخرين ، وكل الصور ترفع أيديها لتحمل علامة السماء ومن فوقها عدد من النجوم ، يتوجها قرص

(١) Hintze. Die Inschriften des Löwentempels von Musawwarat Berlin 1962. Taf. IV.

(٢) Hintze, Inschriften 21.

(٣) Nubien u. Sudan in Altertum S. 34 f. Abb. 5.

(٤) L. D. V, 55; Griffith, Meroitic Inscriptions I, 67-68. No.41.

الشمس وهذه القاعدة الحجرية ذات أهمية قصوى بالنسبة لفك رموز الكتابة (الأبجدية) الهيروغليفية المروية ، ذلك أنه بالإضافة إلى النصوص المكتوبة بالهيروغليفية المصرية على جوانب تلك القاعدة ورد اسما الملك والملكة بالهيروغليفية المصرية وبالهيروغليفية المروية ، وبمقارنة الحروف بعضها البعض أمكن التعرف على طريقة نطق بعض الحروف المروية ، ومن هذا المنطلق بدأت الأبحاث الناجحة لفك بقية رموز الكتابة المروية بواسطة العالم الإنجليزى جريفث F. Griffith فى عام ١٩١٠ م .

وبعض الألواح الملكية التذكارية (وليست شواهد قبور) كانت تحمل صورا للملك يقدم قربانا إلى إيزيس مثل لوح الملك أمانى — خبالا Amanikhabale ٦٥ — ٤١ ق . م الذى عثر عليه فى هيكل المعبود آمون بالبجراويه (ويحمل رقم ٥٢٢ بمتحف الخرطوم)(١). هذا وتبدأ النصوص المروية الدينية والمدون معظمها على موائد القربان وعلى الألوح الجنائزية (شواهد القبور التى عملت لكى توضع فى المقبرة) عادة باسم المعبودة إيزيس، وكان المرويون يكتبونه ووشى Wêshe ثم يرد اسم المعبود أزوريس، وكانوا يكتبونه آشورى Ashêre, Shêreyi، وتلك النصوص كانت فى العادة عبارة عن دعاء إلى إيزيس وأوزيريس من صاحب الأثر (شاهد القبر أو مائدة القربان) مع ذكر اسمه واسم أمه أولا ثم اسم أبيه ، ونادرا ما كان يذكر اسم الأب قبل الأم (مثل Karanog 34) ثم بعض المناصب التى تولاها فى حياته ، وتنتهى بطلب تقديم القربان فى صورة ماء زلال وخبز طازج على روح الميت ، وأحيانا كان اللوح الواحد يخصص لشخصين ، وربما لأخوين مثلا (Kar. 29). وهناك موائد قربان تحمل صور إيزيس تقوم بتقديم القربان ومعها إله الجبانة أنوبيس . وقد عثر على عدد كبير من موائد القربان وشواهد

---

(١) Meroitic Newsletter No.3 p. 4. REM 1038:Hintze. Civilizatilons. p.27 123, Kush IX, 1961. p. d. 278—279.

وفى « بصه » أقيم معبد مروى كشف Crowfoot عن جزء منه عام ١٩٠٧ وهناك أيضا كشف عن خمس تماثيل للأسود تحمل أحدها اسم الملك أمانى — خبالا بالهيروغليفية المروية . ونقلت جميعها إلى حديقة متحف الخرطوم: Hintze, Kush VII,p. 178

القبور المروية التى تحمل نصوصا دينيةموزعة على متاحف العالم ، ومعظمها محفوظ بمتحف القاهرة ، وعلى الأخص ماعثر عليه منها فى كرنوج وشبلول وعنيبه، وفى متحف الخرطوم ، ومعظمها عثر عليه فى منطقة مروى ، وفى متحف بوسطن بالولايات المتحدة الأمريكية ومتحف برلين الشرقية والمتحف البريطانى وفى غيرها من متاحف العالم .

ولقد قام الأستاذ هنتزا بنشر بعض موائد القربان الملكية التى عثر عليها من قبل فى منطقة أهرامات مروى واستخلص منها بعض النتائج اللغوية والتاريخية الهامة .

نهاية مملكة مروى

وفى نفس الطريق الذى كنا نلجأ إليه دائما للبحث عن مصادر لتاريخ الحضارة المروية — إذا ما أعيتنا الحيلة فى البحث عنها من خلال المصادر المروية نفسها بسبب ندرة أعمال الكشف عن التراث السودانى — نسعى إلى التراث الحضارى للدول المجاورة لمملكة مروى والتى كانت لها علاقات معها لمعرفة شيء مؤكد عن الأيام الأخيرة لأصحاب الحضارة المروية .

وقد استرعى انتباه المؤرخين لتاريخ السودان القديم لوح الملك «عزانا» ملك مملكة أكسوم فى الحبشة ـ والنص مكتوب بالإثيوبية القديمة التى يطلق عليها Ge'ez ويوجد منه نسخة بالإغريقية ـ لما جاء فيه من معلومات قيمة تشير إلى تلك الأيام الأخيرة من عمر الحضارة المروية (١) :

فالملك عزانا ملك أكسوم يدعى سيطرته على سبأ وحمير فى جنوب شبه الجزيرة العربية ثم ريدان Raidan ومنطقة سيامو جنوبى أكسوم ، ومنطقة البجا وهى المنطقة التى تقع فى الصحراء إلى الشمال الغربى من أكسوم بالإضافة إلى سيطرته على كاسو = كوش أى مملكة مروى كما يسميها المؤرخون. وقد حكم عزانا ما بين ٣١٧ — ٣٤٢م طبقا لرأى كامرير Kamerer وما بين عام ٣٢٥ وعام ٣٧٥ م طبقا لرأى لتمان Littman، ويمكن أن نقول أن حملة عزانا على مناطق الحضارة المروية وقعت حوالى عام ٣٢٥م. والجدير بالذكر أن هذه هى المرة الأخيرة التى يذكر فيها اسم كوش (أى مملكة مروى) فى الوثائق التاريخيه لذلك العصر .

ومن خلال وصف الملك عزانا لحملته على جيرانه السودانيين ـ النوبا وكاسو ـ

---

(١) L.P. Kirwan. The Decline and Fall of Meroe. Kush VIII p. 163 ff.

Noba ,Kasu فى الغرب، يتضح أن الصورة هناك قد تغيرت كثيرا ، فلم تعد منطقة الحضارة المروية القديمة وقفا على الشعب المروى (كا-و - كاشو - كوش) فحسب وإنما ظهر عنصر بشرى جديد فى المنطقة، يتمثل فى القبائل النوبية Noba التى استغلت ضعف المملكة المروية، وبدأت متجمع تدريجيا فى مناطق الحضارة المروية بعد أن رحلت عن مواطنها الأصلية فى كردفان . وكان ضعف مملكة مروى نتيجة عوامل كثيرة أهمها الصراع مع مملكة أكسوم. فمن النصوص نعلم أن الملك عيزانا ادعى ملك كوش (أى مملكة مروى) ربما من قبل أن يقوم بعمليته لضرب النوبيين ، الذين تزعموا الثورات والتحرش بمملكة أكسوم لسنوات طويلة ، كما هو واضح من كلام الملك . معنى ذلك أن النوبيين كانوا قد سيطروا على مملكة مروى منذ عدة سنوات .

ومملكة أكسوم الحبشية (التى قامت فى الجزء الشمالى للمرتفعات الاثيوبية نتيجة هجرة من جنوبى شبه الجزيرة تشمل السبئيين ربما فى أواخر الألف الأخيرة قبل ميلاد المسيح) أصبحت فى بداية القرن الأول الميلادى مركزا تجاريا متقدما . بل إن عاصمتها أكسوم تطورت لتصبح أكبر سوق لتجارة العاج فى شمال شرق أفريقيا، وانتشرت فيها المعابد والقصور والتماثيل والآثار التذكارية الأخرى كاللوحات الشاهقة ، وكان لعبادة القمر — التى انتقلت إلى أكسوم من سبأ — شأن كبير قبل دخول المسيحية إلى أكسوم . وتبادلت أكسوم التجارة مع الإسكندرية أكبر موانى البحر المتوسط حينذاك . وكانت أدوليس Adulis هى ميناء أكسوم على البحر الأحمر، وأخذت تنافس مروى فى اجتذاب التجارة الأفريقية والسيطرة على طرق التجارة الخارجية . ومن الطبيعى أن نفترض وجود علاقات متنوعة بين مروى وأكسوم بحكم الجوار تارة ، وبسبب التنافس للسيطرة على تجارة أفريقيا تارة أخرى ، ومن أجل ذلك علينا أن نعيد النظر فيما تحت أيدينا من وثائق قليلة يمكن أن تنبئنا بوجود علاقات بين كل من الحضارتين الأفريقيتين :

١ — وفى جبل قيلى Jebel Qeili نقش صخرى يصور انتصارا للملك شركارر Sherkarer (٦ — ١١ م) على أعداء يعتقد الأستاذ هنتزا

أنهم من أكسوم . وفى « جبل قيلى » بالإضافه إلى ما ذكر نقش صخرى آخر يمثل ملكة مروية وأمير (؟) يقفان أمام إله برأس الكبش لعله آمون وآلهة أخرى.

والنقش التذكارى الأول مسجل على صخرة جرانيتية عند سفح جبل قيلى J. Qeili بطريقة الحفر السطحى ويغطى مساحة ٣٫٧٠ مترا × ٢ مترا ويتكون من أربعة عناصر رئيسية :

ا — الملك شركارير يقف ماتح بكامل زينته ، وأسلحته « القوس والسهام والحربة » فى يده اليمنى ويتقبل الأسرى من :

ب — صورة لأحد الآلهة بالمواجهة تتكون من وجه مستدير وحوله هاله كقرص الشمس يخرج منه مايشبه الأشعة بعدد ١٢ شعاعا — ويدين، اليمنى تمتد للملك بحزمة من الذرة يقدمها إليه . واليسرى تمسك بحبل تتجمع فيه سبعة أحبال يقيد كل منهم أسيرا،يقدمهم الإلة الملك الذى يمسك بطرف الحبل بيده اليمنى علاوة على أسلحته . وصورة الإله تستحق الدراسة حقا ، فلم يظهر منه إلا الرأس والكتفين والذراعين ، بمعنى أن الرسام لم يظهر منه غير ذلك .

حـ — وتحت أقدام الملك صورة لأربعة أسرى مكتوفى الذراعين والساقين.

د — وفى مستوى أقدام الملك وأسفل صورة الإله صور لسبعة أسرى عرايا أو شبه عرايا ، كأنهم يسبحون فى الهواء فى أوضاع فيها صدق فى الإخراج . وغطاء الرأس للأسرى بقمته المدببة ملفت للنظر .

وفى أعلا صورة الملك خرطوشان (أى بيضاويان لكتابة اسم الملك) . الخرطوش الأيسر يحتوى على اسم الملك شركارير Sherkarer بالهيروغليفية

---

(١) Hintze. Preliminary Report of the Butana Expedition 1958 Kush VII (1959) p. 189 ff. fig. 2; Porter—Moss VII p. 272.

المروية ، والآخر يحتوى على الاسم الثانى أو إحدى صفات الملك وتقرأ « من — شلخه » ، والمؤرخ يتصور وقوع معركة فى جبل قيلى بين مهاجمين من الشرق وبين جيش الملك المروى شركارير فى مطلع القرن الأول الميلادى . وهناك احتمال كبير أن المهاجمين من أكسوم .

ومما هو جدير بالذكر أن جبل قيلى يقع غير بعيد من الطريق الموصل بين الخرطوم بحرى وكسلا .

٢ — تحدثنا فى مكان آخر من هذا البحث عن بعثة استطلاعية أرسلها الامبرطور نيرون (٤٥ — ٦٨ م) إلى مملكة مروى ، وقلنا أنه ربما كان ينوى مستقبلا ضم مملكة مروى إلى الامبرطورية الرومانية، ولكن الأحداث الدولية شغلته عن تحقيق ذلك الهدف . وهل يمكن أن نضيف أن نيرون كان يسعى من وراء ذلك إلى الحد من ازدياد نفوذ مملكة أكسوم واحتمال تهديدها للحدود الجنوبية والتجارة الخارجية للامبراطورية الرومانية ؟

٣ — وفيما يتعلق بحملات حربية شنتها أكسوم ضد مروى قبل زمن الملك عزانا الأكسومى فهناك مصدران :

(ا) نص إغريقى على لوح من حجر البازلت عثر سايس Sayce على قطعة منه فى مروى تحمل رقم ٥٠٨ بمتحف الخرطوم ، وهو تخليد لانتصار أحد ملوك أكسوم قبل عزانا على القوات المروية ، حيث أن النص يذكر الإله الوثنى آرس Ares ولم يذكر الديباجة المعتادة للملك عزانا المسيحى(١) .

(ب) نص اغريقى نقل جزء منه فى القرن السادس الميلادى الراهب المصرى (الطبوغرافى) كسماس Cosmas Indicopleustes فى أدوليس Adulis يرد فيه اسم مروى . ويحتمل أن النص يرجع إلى النصف الثانى من القرن الثالث الميلادى(٢) .

٤ — ولا نريد أن نطلق الكلام دون دليل ، ونذهب إلى ما ذهب إليه

(١) Hintze. Studien. p. 31.

(٢) Kirwan. op. cit. p. 171. : وهناك يذكر كروان المرجع :
McCrindle, The Christian Topography of Cosmas. p. 65 f.

بازل دافيدسن من أن الصراع بين مملكة مروى وبين مملكة أكسوم قد بدأ منذ أيام الملك حور سيوتف (٤٠٤ — ٣٦٩ ق . م) والملك نستاسن (٣٣٥ — ٣١٥ ق م) (أنظر بازل دافيدسن ، أفريقيا تحت أضواء جديدة ص ٢٩٠ ترجمة جمال أحمد بيروت)

ذلك أن الأمر يحتاج إلى مزيد من البحث والدراسة . كذلك الحال بالنسبة لما ورد فى وثائق الدولة الحديثة المصرية عن الاتصال بشعب بنط ، وهل كان جزءاً من الشعوب التى سكنت المرتفعات الشمالية لإثيوبيا .

٥ — وفى كتاب « دليل الملاحة فى البحر الأحمر » المسمى باختصار Periplus والذى كتبه بحار إغريقى مجهول فى القرن الأول الميلادى ، ما يفيد أن أكسوم كانت حلقة الوصل فى تجارة العاج ما بين مينائها أدوليس Adulis على شاطىء البحر الأحمر وبين المناطق الواقعة على الجانب الآخر من النيل (١) .

٦ — دخل الدين المسيحى إلى اكسوم منذ حكم الملك عيزانا أى فى النصف الأول من القرن الرابع الميلادى . بينما لم يصبح هذا الدين رسمياً فى السودان إلا فى منتصف القرن السادس الميلادى ، وعن غير طريق أكسوم ، أى عن طريق مصر وبيزنطة مباشرة .

كان ذلك موجزاً للدور الذى لعبته مملكة أكسوم وساعدت به على أفول شمس الحضارة المروية.

أما العوامل الأخرى التى تسببت فى القضاء على الحضارة المروية فى السودان الشمالى فأهمها : أنه فى زمن الإمبراطور دقلديانوس Diocletian ٢٨٤ — ٣٠٥ م قرر الرومان الانسحاب من منطقة النوبة السفلى عام ٢٩٧ م وسمحوا لقبائل البلميين بالاستيطان فى المنطقة ، حتى تكون بمثابة حاجز يحمى حدود مصر الرومانية من الهجمات المتكررة للنوبيين ، الذين أخذوا فى الاستيطان التدريجى فى مناطق نفوذ الحضارة المروية ، وتسببوا أخيراً فى القضاء على مملكة مروى .

---

(١) Emery, op. cit. p. 172 .

وكان من نتيجة استيطان البلميين فى النوبة السفلى أن أغلق الطريق كلية فى وجه أية علاقات مروية مع مصر، فزادت عزلة مملـكة مروى عن غيرها من ممالك العالم القديم. ويربط « كيروان » تلك العزلة بحقيقة أن آخر نص ديموطيقى (مصرى) للملك مروى فى فيلاى جنوبى أسوان حيث معبد إيزيس يرجع إلى المدة ما بين ٢٦٥ — ٢٦٦ م.

فالنص مؤرخ بالعام الثالث للإمبراطور الرومانى تربونيانوس جاللوس Trebonianus Gallus، حين أرسل الملك المروى تقردمانى Teqeridamani رسله إلى الإمبراطور الرومانى حاملين الهدايا، وكانت البعثة بقيادة المدعو Pasmun بن Paese(١) وجدير بالذكر أن هذا النص هو الذى ساعدنا فى تحديد فترة حكم الملك المروى تقردأمانى ٢٤٦ — ٢٦٦م بالنسبة لسابق معرفتنا لمدة حكم الإمبراطور الرومانى تربونيانوس جاللوس(٢)

ويعتقد أن سبب إرسال تلك البعثة المروية كان لطلب المساعدة الرومانية ضد قبائل « النوبا السود » Black Noba، الذين كانوا يهددون مملـكة مروى، والذين تسببوا أخيراً فى إسقاطها. كما ساعدوا أيضا فى استقلال قبائل البلميين بعد أن استغلوا فرصة ضعف الحكومة المركزية فى مروى.

(١) Graffiti, Ph. 416 and Ph. 68, Hintze Studien p. 21 and p. 29

(٢) Milne, p. 70; Emery, Egypt in Nubia, p. 233

الفصل السابع

خلفاء الحضارة المروية فى السودان القديم

البلميون Blemmyes والنوبيون (النباطيون) Nobatae

ومصادرنا عن هذه الرحلة تنقسم إلى قسمين :

١ — نتائج الحفر فى مناطق الحضارة فى بلانه وقسطل وإبريم ،والتى سماها العلماء « المجموعة المجهولة » X-Group .

٢ — المصادر الكلاسيكية المعاصرة للأحداث ، بواسطة المؤرخين أمثال بروكوبيوس Procopius وألمبيودوروس Olympiodorus .

انتهزت الشعوب البدوية الضاربة فى الصحارى المجاورة لحوض النيل فرصة ضعف مملكة مروى وبدأت فى تحقيق حلمها القديم فى الإستقرار فى الوادى الأخضر . ووفدت على الوادى فى مواقع كثيرة مجموعات كبيرة منهم ، وأخذت فى الإستيطان التدريجى ، ففى النوبة السفلى كشفت الحفائر عن حضارة جديدة ، أطلق عليها مكتشفها اسم « المجموعة المجهوله X-Group » وكان مركزها فى بلانه وقسطل بالنوبة المصرية على الحدود الشمالية للسودان . وهذه الحضارة فى مجموعها عبارة عن خليط من عناصر مروية وبيزنطية ومصرية ، أما من ناحية العنصر البشرى لأصحاب حضارة المجموعة المجهوله فالأرجح أنهم من العناصر النوبية بعد اختلاطها بسكان وادى النيل(١) .

---

(١) Hintze, Civilizations, p. 29

وقبل أن ندخل فى تفاصيل أقوال المؤرخين عن دور الشعوب التى ورثت منطقة الحضارة المروية ، يتعين علينا أن نتدارس مجموعة البينات التى خرج بها البروفسور إمرى بعد أن كشف عن مقابر ملوك وأمراء «المجموعة المجهولة» فى بلانه وقسطل ، ثم مقابر تلك المجموعة فى إبريم ، ذلك أن المكتشف حدد بعض المميزات لأصحاب تلك الحضارة ، حتى يمكن فى المستقبل أن نقرر مدى تطابق حضارتهم مع أى من البلميين أو النباطيين(١) :

١ — من الناحية العنصرية فإن أصحاب « المجموعة المجهولة » ينتمون إلى خليط من العناصر القريبة الشبه بالمرويين ، ولكن العنصر الزنجى لديهم أقوى وأوضح .

٢ — انتشرت تلك الحضارة فى معظم أنحاء النوبة السفلى والعليا من عام ٢٥٠ م إلى عام ٥٥٠ م تقريبا .

٣ — كانت مقابر ملوكهم تقع فى بلانة وقسطل ، ومحتوياتها خليط من عناصر الحضارات المصرية والبيزنطية (الرومانية الشرقية) والأفريقية الخالصة ، بينما كانت العاصمة فى مكان ما بالقرب من مواقع الدفن المذكورة ، وربما فى « جبل عده »(أ ، عدا) التى تقع إلى الشمال ، وغير بعيد من الجبانة الملكية فى بلانه وقسطل .

٤ — كانت أهم مدنهم كلابشه وقصر إبريم وجبل عده وفرص وجمى وفركه وصاى وواوى .

٥ — إن مدافنهم فى كل من إبريم وبلانه وقسطل تغطى مرحلة زمنية تبلغ ٢٥٠ عاما .

٦ — مدافنهم فى قصر إبريم استمر استعمالها مدة أطول من مقابرهم

(١) Emery, Egypt in Nubia, p. 244 ff.

فى بلانه وقسطل ، وكانت إبريم أكثر مناطق الدفن تركيزاً ، وربما أضافت نتائج الحفائر فى قصر إبريم كثيراً من البينات التى تعين فى التعرف على أصل هذا الشعب الذى كون تلك الحضارة

٧ — كانوا وثنيين يعبدون آلهة مروى ومصر .

٨ — تقع حضارتهم فى الترتيب الحضارى والزمنى بعد حضارة مروى مباشرة ، وتنتمى إليها .

٩ — كان ملوك تلك الحضارة يلبسون التيجان وشارات الملك المروية ، التى ورثوها عن حضارة مروى المحتضرة .

١٠ — تصميم مقابرهم يبين أنها منقولة عن تصميم المقابر المروية .

١١ — الفخار المستعمل لديهم يشير بوضوح إلى الأثر المروى ، إذا استثنينا الفخار المستورد من الخارج .

١٢ — أثاث مقابرهم واضح فيه الأثر المروى والأثر البيزنطى (المسيحى الرومانى) .

١٣ — استعملوا فى قتالهم الدروع المصنوعة من جلود الثيران ، والحربة والسيف والفأس والقوس والسهام .

١٤ — لم يستعمل أصحاب المجموعة المجهولة الكتابة على الإطلاق .

١٥ — عندما زار المؤرخ ألمبيودوروس Olympiodorus (٤٠٧ — ٤٢٥م) منطقة النوبة السفلى زمن احتلال الرومان لمصر ، وخاصة مدينة إبريم ، كان أصحاب « المجموعة المجهولة » هم سكان المنطقة ، والذين سماهم « البالميين Blemmyes » ، ولكن ينبغى علينا أن نتحفظ بالنسبة لهذا القول ، ذلك أن المؤرخين الرومان كانوا يخطئون كثيراً إذا ماتناولوا أمراً يتعلق بعلم الأجناس .

١٦ — مارسوا عادة التضحية بالأتباع ودفنهم مع الميت مباشرة(١) .

ومن خلال أقوال المؤرخين نتبين الآتى :

كان البلميون ضمن الشعوب الخاضعة لمملكة مروى، كما ذكر المؤرخان استرابون وإراتوس — ثينيس Eratosthenes (عام ١٩ ق.م) ، وكانوا يقطنون على طول الجانب الشرقى للنيل مجاورين للحدود المصرية .

وفى زمن الإمبراطور الرومانى دكيوس Decius حوالى منتصف القرن الثالث الميلادى ، هاجم البلميون حدود مصر الرومانية ، ثم عادوا فهاجموها مرة أخرى عام ٢٦١ م ، وسيطروا على منطقة النوبة السفلى . ولعل سكان النوبة قد انتهزوا فرصة ضعف مملكة مروى وأعلنوا استقلالهم عنها .

وفى زمن الامبراطور أرليان Aurelian هاجم البلميون الحدود المصرية الرومانية متحدين مع الثوار المصريين الذين آزروهم ، وذلك عام ٢٧٢ م ، وتوغلوا فى صعيد مصر حتى مدينة قفط ، وسيطروا على كل تلك المنطقة ، إلى أن تمكن الرومان عام ٢٧٤م من إجلائهم عنها ، ولكنهم عادوا عام ٢٧٦م وسيطروا على مدينتى قفط وبطلمية (المنشأة عند جرجا) ، إلا أن الرومان استطاعوا أن يطردوهم إلى خارج الحدود عند المحرقه .

وهكذا أصبح البلميون يشكلون خطراً دائماً على حدود مصر الرومانية ، مما دعى الامبراطور الرومانى دقلديانوس Diocletain عام ٢٩٧م إلى إتخاذ قراره بانسحاب الرومان من منطقة النوبة السفلى إلى أسوان عند الشلال الأول ، فى حين استدعى النباطيين Nobatae لاحتلال المنطقة مابين الشلالين الأول والثانى ليقوموا بصد أى هجمات مستقبلة للبلميين . والمؤرخ البيزنطى بروكوبيوس Procopius — الذى عاش فى منتصف القرن السادس الميلادى — هو المؤرخ الوحيد الذى ذكر أن النباطيين Nobatae كانوا يقطنون حول الواحة الخارجة ، فهو يذكر أن الامبراطور الرومانى دقلديانوس Diocletain (الذى توفى عام ٣١٣ م) أمر بنقل النباطيين ، الذين كانوا يعيشون حول

(١) ومن أجل تلك الاعتبارات يرجح إمرى أن أصحاب المجموعة المجهولة هم البلميون .

الواحة الخارجة ، ليستوطنوا منطقة النوبة السفلى Dodekaschoinos التى تقع مباشرة إلى الجنوب من مدينة أسوان ، وتمتد حتى الشلال الثانى ، ليعملوا على حماية حدود الإمبراطورية الرومانية من غارات قبائل البلميين.(١) ولعل بروكوبيوس قد اعتمد فى قوله هذا على الرواية الشفهية ، أو ربما نقل عن غيره من المؤرخين الذين ضاعت أعمالهم الأصلية ولم تصل إلينا . ومن أجل ذلك لا يصح أن نعتمد على رواية هذا المؤرخ فيما يتعلق بموضوع يخص علم الأجناس .

ولم يظهر اسم النباطيين Nobatae ضمن المؤلفات التى عاصرت الأحداث نفسها ، وأول مرة ظهر فيها هذا الإسم كان فى بردية ثيودوسيوس الثانى Theodosios (٤٢٥ - ٤٥٠ م)(٢). يضاف إلى ذلك أن المؤرخ برسكوس Priscus (برسيق عند المؤرخين العرب) ذكر النباطيين عندما تحدث عن المعاهدة التى عقدها الإمبراطور مكسيمينوس Maximinus مع كل من النباطيين والبلميين عام ٤٥١ .(٣)

وبذلك ضمن الرومان السلام على حدود مصر الجنوبية لمدة طويلة .

ويذكر المؤرخ الإغريقى المبيودوروس Olympiodorus أن البلميين متحالفين مع النباطيين فى أيامه (٤٠٧ — ٤٢٥ م) عادوا للإغارة على حدود مصر الجنوبية ، بعدما أصبحت المسيحية ديانة رسمية للإمبراطورية الرومانية كلها بما فى ذلك مصر .

وحينما دخلت مملكة النباطيين Nobatae فى الدين المسيحى ، وأغلقت المعابد الوثنية وضمنها معبد إيزيس الشهير بفيلاى عند أسوان ، ونقلت تماثيله النفيسة إلى القسطنطينية عاصمة الإمبراطورية الرومانية الشرقية ، ثار

---

(١) Herzog, Die Nubier, p. 45 ff.

(٢) مصطفى مسعد ، الإسلام والنوبة ص ١٩ ، هامش ٥٨ وهى البردية التى تشير إلى نداء أسقف أسوان إلى الأمبراطور تاودسيوس الثانى لحماية كنائس أسوان والفنتين من البلميين والنوباديين .

(٣) المرجع السابق ص١٣ ؛ Herzog, Die Nubier, p. 47

البلميون لآخر مرة عام ٤٠٥م فتصدى لهم «الملك سلكو Silco» ملك النباطين، الذى سجل أخبار انتصاره باللغة الاغريقية على جدران معبد الامبراطور أغسطس فى كلابشه. وبذلك قضى على البلميين.

وأقرب ترجمة إلى الصدق لذلك النص المعقد كالآتى:

«أنا سلكو ملك النباطين، وكل الاثيوبيين ذهبت إلى Talmis (كلابشه) ، Taphis وحاربت البلميين مرتين، وأعطانى الإله النصر، وبعد الثلاث مرات انتصرت مرة أخرى (عليهم) واحتللت مدنهم، وثبت نفسى هناك مع جيوشى، وفى المرة الأولى هزمتهم وعقدت معهم سلاما. وحلفوا لى بأوثانهم، وصدقت إيمانهم، لأننى اعتقدت أنهم رجال أمناء، ثم عدت إلى أقاليمى العليا، وعندما أصبحت ملكا لم أتخلف عن الملوك الآخرين، ولكنى كنت فى مقدمتهم (بأعمالى) فؤلئك الذين يحثون عن القتال معى فإننى لم أتركهم يقعدون فى بلادهم، إلا بعد أن خضعوا لى، لأننى أسد فى البلد الأسفل (وغزال؟) فى البلد العلوى. وحاربت البلميين من إبريم حتى Telelis مرة. ثم (حاربت) النباطيين الآخرين فى البلد العلوى (الجنوبى)، واكتسحت بلادهم لأنهم سعوا إلى القتال معى.

أما سادة البلاد الأخرى الذين تقاتلوا معى فأنا لم أتركهم يقعدون فى الظل، بل فى الخارج تحت الشمس. بدون أن يشربوا قطرة ماء فى داخل بيوتهم، لأنهم كأعداء لى، فإنى أخذت نساءهم وأطفالهم».

ويفهم من حديث «سلكو» أنه خرج لضرب البلميين فيما بين الشلال الأول وقصر إبريم أكثر من مرة.

وبرغم ما قاله المؤرخون عن استيطان البلميين فى النوبة فى مرحلة أو فى أخرى، فإن الأمر من وجهة نظرى يمكن تفسيرة على الوجه الآتى:

١ — إن البلميين ماهم إلا قبائل البجا الضاربين فى الصحراء الشرقية فيما بين النيل والبحر الأحمر جنوبى الحدود المصرية. ومن العسير أن ننسب إليهم حضارة «المجموعة المجهولة». والبلميون هم أحفاد تلك

القبائل القديمة التى غالبا ما أثارت الاضطراب فى مصر والسودان فى الزمن القديم وعرفت أيضا باسم المازوى ، وهى نفس القبائل التى سعى ملوك مروى القديمة إلى قتالها لتستقر لهم الأمور على حدود مملكتهم .

٢ — حضارة « المجموعة المجهولة » قد تكون من إنتاج فرع من النباطيين أو النوبيين بمعنى أصح ، والذين أخذ تجمعهم يتضح منذ القرن الثالث الميلادى فى الجزء الشمالى من مواطن الحضارة المروية التى أخذت شمسها تأذن بمغيب .

٣ — إن النباطيين (أو النباديين فى بعض المراجع) عبارة عن فرع من الشعوب النوبية ، أخذت فى الاستيطان التدريجى فى وادى النيل فى منطقة الحضارة المروية ، منتهزة فرصة ضعف مملكة مروى ، حتى إذا ما احتضرت حضارتها أجهزت عليها تلك القبائل النوبية ، وكونت على أنقاضها ثلاث ممالك وثنية ، فى الشمال « مملكة النباتيا Nobatia » وعاصمتها فرص ، وفى الوسط « مقرة Makuria » وعاصمتها دنقله العجوز ، وسمى سكانها بالنوبا الحمر — ثم « علوه Aloe » فى الجنوب وعاصمتها هى سوبا Soba ، وسمى ساكنوها بالنوبا السود .

خــاتمة

دخلت الممالك النوبية فى الدين المسيحى ابتداء من عام ٥٤٠ م حتى عام ٥٨٠ م نتيجة لبعثات التبشير البيزنطية ، وأصبحت تابعة للكنيسة البيزنطية مباشرة .

وفيما بين عام ٦٥٠م وعام ٧١٠م اتحدت المملكتان النوبيتان الشماليتان . النباتيا (النوباطيا) والمقرة و كونتا «مملكة دنقله» . وكان ذلك ضمن خطة للوقوف فى وجه الفتوحات العربية فى أفريقيا ، بعد أن دخل الإسلام مصر عام ٦٤٠م وعزل تلك الممالك عن الكنيسة الأم فى بيزنطة عاصمة الإمبراطورية الرومانية الشرقية .

واستطاعت قوات مملكة دنقله عام ٧٤٥ م أن تتوغل فى مصر ، وفى عام ٩٦٢م احتلت القوات النوبية صعيد مصر حتى مدينة أخميم ، واستمر تفوق القوات النوبية على القوات العربية لزمن طويل إلى أن تمكن السلطان صلاح الدين الأيوبى عام ١١٧٠ م من إخراج النوبيين من مصر . وفى عام ١٣٢٣م سقطت «مملكة دنقله» فى يد القوات العربية الإسلامية.

وقد كشفت البعثة البولندية فى كل من فرص ودنقله العجوز عن آثار قيمة من ذلك العهد ، وعلى الأخص تلك الصور الملونة على جدران كنيسة فرص ، والتى تمثل مولد السيد المسيح عليه السلام ، ثم السيدة العذراء تحمل طفلها مع بعض القديسين ورجال الدين(١) . وتعد من أقدم المصورات المسيحية على الإطلاق . وقد احتفظ متحف الخرطوم بهذه الثروة الفنية النادرة التى تبلغ ١٢٠ لوحة تنتمى إلى عصور مختلفة.

فى عام ١٥٠٤ م استطاعت «مملكة الفونج» الإسلامية — التى تقع إلى الجنوب من علو وتتخذ من سنار عاصمة لها — أن تفتح مملكة علوه وتضمها إليها وبهذا انتهى عهد ممالك النوبية المسيحية (٢) .

---

(١) Hintze, Civilizations, p. 29 ff. ;Kirwan, A Contemporary Account of the Conversition of the Sudan to Christianity, S.N.R., vol. XX, p. 290 ff.

(٢) لوحة رقم ١٤

وحضارة النوبة فى العصر المسيحى غنية بكل مقومات الحضارات العظيمة . استعمل أهلها اللغة النوبية القديمة فى الكتابة ، بعد أن استعاروا الحروف الإغريقية وبعض الحروف المروية وطوعوها لكتابة لغتهم. وبنوا الكنائس والأديرة فى أماكن عديدة من السودان ، فى علوه وفى دنقله العجوز وفى فرص؛ على غرار « البازيليكا » البيزنطية — وهى طراز الكنائس الرئيسى للعصر البيزنطى . ومازالت هذه المرحلة من التاريخ فى حاجة إلى مزيد من البحث عن التراث القومى عن طريق أعمال الحفر ، ذلك أن معظم معلوماتنا عن تلك المرحلة مصدره أقوال الرحالة والمؤرخين العرب من أمثال اليعقوبى عام ٨٩١ م ، وابن سليم الأسوانى فى القرن العاشر الميلادى ، والذى نقل عنه المقريزى ، ويعتبر تقريره عن ممالك النوبة المسيحية أهم تلك التقارير جميعا ، ثم أبو صالح الأرمنى فى بداية القرن الثالث عشر (١) ، إلى جانب بعض الكتابات الدينية باللغة النوبية القديمة وبعض شواهد القبور التى كشفت عنها بعثات إنقاذ آثار النوبة .

---

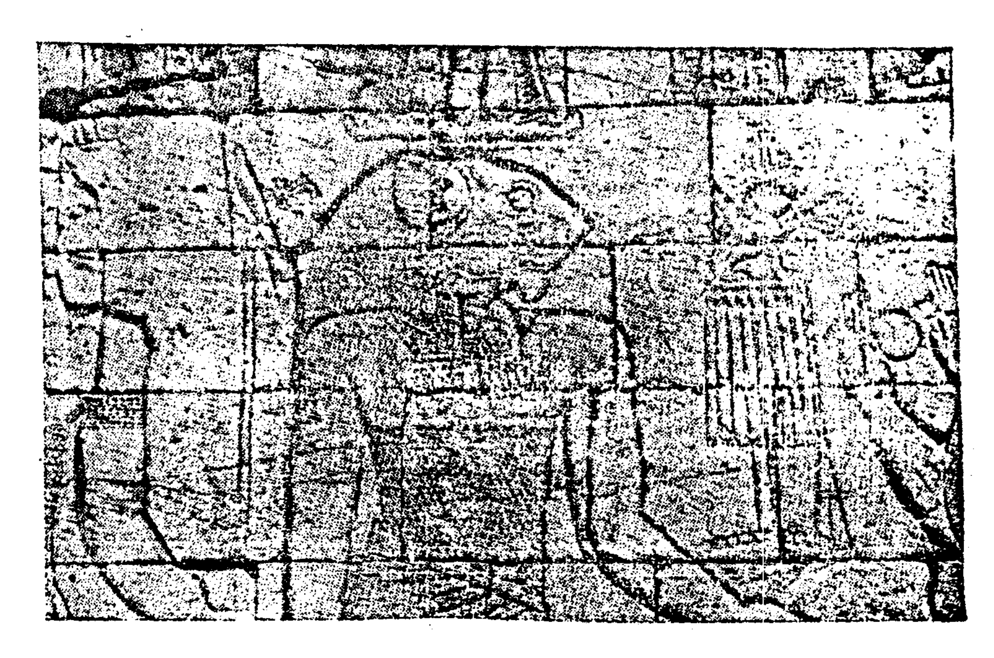
(١) Shinnie, Soba, p.12



لوحة رقم ١٤ — السيدة العذراء مريم تبارك الملكة الأم ـ مارثا Martha
من مناظر كنيسة «فرص» ، التي نقلتها البعثة البولندية إلى متحف الخرطوم



لوحة رقم ١٥ ا — المعبود آمون على هيئة الكبش يحمل قرص الشمس
يتوسط المعبود أرنسنوفيس — على رأسه تاج مؤلف من ريش طويل — إلى اليمين —
ثم المعبود المروى سبيومكر بتاجه المزدوج — إلى اليسار — من المصورات الصفراء



لوحة رقم ١٥ ب ـ المعبود أبدماك [الاسد]
على جدران معبده بالنقعة
(تصوير المؤلف)



لوحة رقم ١٦ — صورة فريدة للمعبود أبدماك

برأس أسد متوج ويدين آدميتين وجسم ثعبان ضخم على جانب بوابة معبد الأسد بالنقعه

أشهر معبودات السودان القديم

آمون Amon : الإله الأكبر فى نبته ومروى وطيبه ، يصور فى هيئة شاب على رأسه قلنسوة (طاقية) عليها ريشتان طويلتان ويتدلى منها شريط طويل خلف الرأس، وأحيانا يصور فى شكل إنسان له رأس الكبش . لأن روحه كانت تحل فى الكبش. الذى يعتبر رمزه المقدس. يؤلف مع زوجته الإلهه «موت» وابنهما إله القمر «خنسو» ثالوثا مقدسا . بنيت له المعابد فى أماكن كثيرة منها صنم والبركل ومروى والنقعه ، وآمون أصلا معناها الخفى لأن آمون فى الأصل كان يمثل الهواء . وكانت تماثيله وصوره تلون باللون الأزرق وهو لون الأثير . أضاف إليه أتباعه كل صفات الإله رع وأطلقوا عليه اسم آمون رع. (لوحة رقم ١٥ ا)

أبدماك Apedemak : معبود سودانى صرف ظهر فى وقت متأخر نسبيا. اعتبر إلها للحرب ، أقيمت له المعابد فى مروى والنقعه والمصورات . كان يصور فى هيئة إنسان له رأس أسد ، وصور أيضا فى النقعه فى هيئة ثعبان كبير له رأس أسد ويدان آدميتان ، وعلى رأسه تاج مركب كتيجان الملوك(١). كما صور على معبد النقعه فى شكل إنسان له أربعة رؤوس (ثلاث منها فقط ظاهرة) وأربعة أذرع . ومعابده ذات تصميم بسيط فى الغالب .

أبيس Apis : معبود اتخذ الثور رمزا له ،واتحد مع بتاح معبود منف ومع أوزيريس واعتبر رمزا للخصب ، وله معبد فى مدينة مروى .

أرنسلوفيس Arensnuphis : صور فى هيئة إنسان ذى لحيه على رأسه تاج مزدان بإفريز من الثعابين . يتوجه ثلاث ريشات طويلات ، عبد فى مواقع كثيرة منها كلابشه والمصورات الصفراء .

أوزيريس Osiris : يكون مع زوجته إيزيس وإبنهما حورس ثالوثا مقدسا . ويعتبر ملك العالم السفلى ، وأوزيريس المتجدد فى شكل ابنه حورس يمثل النيل فى صراعه مع الصحراء ، التى كان المعبود «ست» (إله الشر) يرمز إليها . ويرمز أوزيريس أيضا لكل

(١) انظر لوحة رقم ١٥ ب ثم لوحة رقم ١٦ .

ملك متوفى، ويصور على هيئة المومياء (أو الجسد المحنط) وعلى رأسه التاج المزدوج وفي يديه شارات الملك. وهو محور أسطورة إيزيس وأوزيريس التي تجسد الصراع بين الخير والشر.

إيزيس Isis : زوجة إله الخير أوزيريس وأم حورس، تمثل الخير والأمومة والسحر. اعتقد القدماء أن لها قدرة على شفاء المرضى. مركز عبادتها في فيلاى عند أسوان بنيت لها المعابد في مروى، وظهرت على الآثار في مناطق أثرية كثيرة. كان لها نفوذ كبير في مروى وفي مصر وفي روما أيضا.

توت Thot : إله العلم والمعرفة، كاتب الآلهة، يصور في هيئة إنسان برأس طائر الإيبس Ibis - أبو منجل - الذي يشبه طائر أبي قردان - وفي يده أدوات الكتابة. ظهر في مواكب الآلهة على جدران معبد الأسد بالمصورات الصفراء.

ددون Dedun : إله النوبة ومورد البخور للآلهة. يصور في شكل آدمي. ساواه القدماء بالمعبود أرنسنوفيس في فيلاى.

حتحور Hathor: كانت في الأصل هي البقرة التي أشفقت على حورس الطفل وأرضعته في الأسطورة - إيزيس وأوزيريس - ولذلك فإن اسمها معناه «حصن أو مأوى حورس» ثم أصبحت ترمز إلى معاني إنسانية نبيلة. وفي طقوس عبادتها استعملوا نوعا خاصا من الصلاصل. ومعابدها ذات أعمدة تيجانها على هيئة وجه أنثى بأذني بقرة تحمل فوق رأسها الصلصلة المذكورة. بنى طهارقه معبداً صخريا لها في حضن جبل البركل.

حورس Horus: وريث أبيه أوزيريس والمنتقم له من قاتله. يرمز إلى كل ملك حي. يصور عادة في شكل إنسان له رأس الصقر. واعتبر أيضا إله الشمس.

خنوم Chnum : ينسب إليه خلق البشر بواسطة عجلة الفخار كأنه الصانع ، أو الخالق . يصور فى هيئة إنسان له رأس الكبش . اعتقد القدماء أنه المشرف على منابع النيل عند أسوان .

رع Re : إله الشمس، وله عدة صور ، يظهر على الآثار فى شكل إنسان له رأس الصقر يحمل قرص الشمس . اتحد مع الإله آتوم ، والإله آمون . وهو فى الأصل يمثل الشمس فى الظهيرة .

ساتيس Satis : زوجة خنوم تصور فى شكل أنثى آدمية . سيدة جزيرة إلفنتين عند أسوان . وتؤلف مع خنوم والإلهة عنوقيت ثالوث منطقة النوبة .

سبويمكر Sebiumeker : ظهر لأول مرة فى حفائر معبد الأسد بالمصورات . وحتى الآن لم يظهر فى أية منطقة أخرى . لقب بسيد منطقة المصورات «إبر Ipbr» وسيد النوبة . وعلى مدخل المعبد رقم ٣٠٠ بالمصورات يقوم تمثال لهذا المعبود يمسك فى يده حبلا يلتف حول تمثال أسد رابض(١) .

(١) Hintze, Inschriften .S. 22/33. ؛ ثم أنظر لوحة رقم ١٥ .

جدول زمـــــنى

العصور الحجرية		قبل بداية الألف الرابع ق . م
المجموعة الأولى	حوالى	٣٠٠٠ ق.م
المجموعة الثالثة	حوالى	٢٢٠٠ ق.م — ٢٠٤٠ق.م
حضارة كرمه	حوالى	٢٢٠٠ ق.م
دولة كوش	حوالى	١٧٣٠ ق.م — ١٥٨٠ ق.م
مملـكة كوش :	حوالى	٦٥٦ ق.م — ٣٢٠/٣٥٠م
ا — العصر النبتى	حوالى	٦٥٦ ق.م — ٢٩٥ ق.م
ب — العصر المروى	حوالى	٢٩٥ ق.م — ٣٢٠/٣٥٠ م
حضارة المجموعة المجهولة	القرنين الرابع والخامس	تقريبا
البلميون — النوبيون		٢٥٠ م — ٥٥٠م تقريبا
العصر المسيحى :		
مملـكه دنقله	من عام ٥٤٠/٥٨٠ م إلى	— ١٣٢٣ م
مملـكة علوه	من عام ٥٤٠/٥٨٠ م إلى	— ١٥٠٤ م

الاختصارات

Ann, d. Serv. Annales du Service des Antiquités de l'Égypte, Le Caire.

BAR. Breasted, Ancient Records of Egyptian, Historical documents from the earliest times to the Persian conquest, Chicago 1906.

B. M. British Museum.

JEA. Journal of Fgyptian Archaeology, London.

Ku. Kuru

Kush . Journal of the Sudan Antiquities Service, Khartoum.

L.A.A. Annales of Archaeology and Anthropology issued by the Institute of Archaeology, University of Liverpool, Liverpool.

LD. Lepsius Denkmäler.

Meroit Inscr. Meroitic Inscriptions.

Mém. Miss. Fr. Mémoires publié par les membres de la mission français du Caire.

M.F.A.B. Bulletin of the Museum of Fine Arts, Boston.

MIO. Mitteilung des Instituts für Orientforschung, Berlin.

Mitt. d. dt. Inst. Mitteilengen des deutschen Instituts fuer Aegyptische Altertumskunde in Kairo, Berlin.

Nu. Nuri.

RCK. Royal Cemetery of Kush.

Rec. d. trav. Recuiel de travaux relatifs à la philologie et à l'archéologie égyptiennes et assyriennes, Paris.

S. N. R. Sudan Notes and Records, Khartoum.

S P A W. Sitzungsberichte der Preussischen Akademie der Wissenschaften, phil.-hist. Klasse.

Urk. Urkunden des ägyptischen Altertums, begründet von Georg Steindorff, in Verbindung mit Siegfried Schott, herausgegeben von Hermann Grapow.

ZAS. Zeitschrift fuer ägyptische Sprache und Altertumskunde, Berlin-Leipzig

Wb. Wörterbuch der ägyptischen Sprache, A. Erman und H. Grapow.

WbZ. Wörterbuch der ägyptischen Sprache, A. Erman und H. Grapow, Zettelkatalog.

المـــراجع

Arkell, A.J. : A history of the Sudan, London 1955.

" : "Varia Sudanica" in JEA, XXXVI, p. 36.

" : Notice of Recent Publications. JEA 37, 1951.

: The Old Stone Age in the Anglo-Egyptian Sudan, Khartoum, 1949.

: Early Khartoum, Oxford 1949.

: Shaheinab, Oxford 1953.

Abdel Latif A. Aly : عبد اللطيف أحمد على، مصر الرومانية فى ضوء الأوراق البردية: القاهرة ١٩٦٠

Badawi, A.M. : أحمد بدوى ، فى موكب الشمس . الجزء الثانى ، الطبعة الأولى : vol. II., Cairo 1950.

Bakir, A. : Slavery in Pharaonic Egypt. Cahier no. 18, Sup, Ann. d. Serv. Caire 1952.

Bakr, M. : Untersuchung zur Herkunft der 25. Dynastie, Dissertation, Berlin 1962.

" : The Relationship Between C-Group, Kerma Napatan and Meroitic Cultures, in Kush XIII., pp. 261—264.

انظر أبحاث المؤلف فى آخر الكتاب .

Bates, O. : The Eastern Libyans, London 1914.

Blackman, A.M. : The Temple of Derr, "Les Temples immergés de la Nubie", Le Caire 1913.

Bonnet, H, : Reallexikon der ägyptischen Religionsgeschichte, Berlin 1952.

Breasted, J.H.: Ancient Records of Egypt. Historical documents from the earliest times to the Persian conquest, vol, III, Chicago 1906.

: Geschichte Aegyptens. Deutsch von H. Ranke, Köln 1957.

Brugsch, H. : Reise nach der Grossen Oase El-Kharge in der Libyschen Wüste. Leipzig 1878.

Brunner-Traut, E. : Der Tanz im Alten Aegypten. Aegyptologische Forschung, 6, 1938.

Brunton, G. : Mostagedda, London 1937.

Budge, E.A.W. : A history of Egypt. vol. VI : Egypt under the Priest-Kings and Tanites and Nubians, London 1920.

" : The Egyptian Sudan, its history and monuments, vol. I, London 1907.

Carnarvon and Carter : Five Years Explorations at Thebes, Oxford 1912.

Carter, H. : Tutench-Amun III, Leipzig 1934.

Champdor, A. : Die Altaegyptische Malerei, Leipzig 1957.

Couyat, J. et Montet, P.: Les Inscriptions du Ouadi Hammâmât. Mém. de l'Institut Français au Caire, XXXIV, Le Caire 1912.

Davies, N.: The Tomb of Amenmose (Nr. 89) at Thebes. JEA 26, p. 131 ff.

: The Tomb of Ken-amun at Thebes, The Metropolitan Mus. of Art, Egyptian Expedition. New York 1930.

Davies N., Gardiner A. : The Tomb of Huy (No. 40). The Theban Tombs Series, IV memoir, London 1926 pp. 23-25.

Devéria, Theodûle : Le Papyrus judicaire de Turin et les papyrus Lee et Rollin, Etude Egyptologique, Paris, MDCCCLXVIII.

Drioton, E., Vandier, J.: Les Peuples de l'Orient Méditerranéen, II. L'Égypte, Paris 1952.

Dunham, D. : The Royal Cemetries of Kush :
I. El-Kurru, Cambridge 1950.
II. Nuri, Boston 1955.
III. Decorated chapels of the meroitic Pyramids at Meroe and Barkal, Boston 1952.
IV. Meroe and Barkal, Boston 1957.
V. The West and South Cemeteries at Meroe 1963

« : An experiment in reconstruction at the Museum of Fine Arts, Boston. JEA 26.

Edel, E. : Der Reisebericht des Hrw-hwj-f, Inschriften des Alten Reiches, V, Sonderdruck aus den ägyptologischen Studien Deutsche Akademie der Wissenschaft, Institut fuer Orientforschung Berlin 1955.

Edwards, I E. : The Pyramids of Egypt, London 1952.

Emery-Kirwan : Excavations between Wadi Es Sebua and Adindan 1929-1931, Mission Archéologique de Nubie 1929-1934, Service des Antiquités de l'Égypte 1935.

Emery, W. :Royal Tombs at Ballana and Qustul, Mission Archéologique de Nubie 1929-1934, Service des Antiquités de l'Égypte, 1938.

« Archaic Egypt, London 1961.

« Egypt in Nubia, London 1965.

Firth, C.M. : The Archaeological Survey of Nubia, Report for 1908/9, Cairo 1912, Report for 1909/10, Cairo 1915.

Gardiner, A. : The Defeat of the Hyksos by Kamose : The Carnarvon Tablet, No. I, JEA 3, p. 95 ff.

Gardiner, A. and Peet : The Inscriptions of Sinai, Part I, Egypt Exploration Fund, London 1917.

Garstang-Sayce and Griffith : Meroe, The City of the Ethiopians, An Account of the 1st Season 1909—1910, Oxford 1911.

Gauthier, H. : Livre des Rois de l'Egypte, Tome III et IV, Le Caire 1914/1916.

« : Dictionnaire des noms géographiques, T. I, IV, V, Le Caire 1915, 1927, 1928.

« : Le Fils Royaux de Ramsès Pa-Ched-Bastit, Annales des Services des Antiquités de l'Egypte, No. 18, pp. 259-260,1918/1919.

« : Les Temples immegrés de la Nubie :
Le Temple d'Amada, Le Caire 1913.
Le Temple de Kalabchah, Le Caire 1911.

Giorgini, M.S. : Excavations at Soleb, Kush VI, 1958, pp. 97 ff.

Grapow. H. : Aegyptische Personennamen zur Angabe der Herkunft aus einem Orte, ZAS. 73, 1937, S. 44 ff.

« : Die Inschrift der Königin Katimala, ZAS. 76, 1940, S. 24 ff.

Griffith, P. : Meroitic Studies, JEA III, 1916, p. 111, IV, 1917 p. 21 ff, XV, 1929, p. 71, London.

« : Meroitic Inscriptions, I, p. 57 ff, London 1911/12.

« : The Cemetery of Sanam, Oxford Excavations in Nubia, p. 105 ff., from the Annals of Archaeology and Anthropology, vol. X, Liverpool 1923.

Gunn, B. : A middle Kingdom Stela from Edfu, Ann. d. Serv. XXIX, p. 5-14, 1929.

Habachi, L. : The Graffiti and work of the Viceroys of Kush in the region of Asswan, Kush V, p. 13 ff., 1957.

Hamza, M. : Excavations of the Department of Antiquities at Qantîr (Faqus District) (Season May 21st—July 7th 1928). Ann. d. Serv. XXX. 1930.

Helck, W. : Zur Verwaltung des mittleren und des neuen Reiches, Probleme der Aegyptologie, Bd. III, Leiden-Köln 1958.

Hermann, A. : Das Grab eines Nachtmin in Unternubien. Mitteilungen des deutschen Instituts in Kairo, Bd. 6, S. 12 ff. Berlin 1936.

Herzog, R. : Die Nubier, Berlin 1957.

Hewes, Gordon W. : Prehistoric Investigations on the West Bank in the Batn el Hagar by the University of Colorado Nubian Expedition, in Kush XIV. pp. 25—43

Hintze, F. : Die Sprachstellung des Meroitischen, Afrikanische Studien 1955, S. 357.

« : Studien zur meroitischen Chronologie und zu den Opfertafeln aus den Pyramiden von Meroë, Abhandlung der Deutschen Akademie der Wissenschaften, Berlin 1959.

Nubien und Sudan im Altertum, Sonderaustellung Berliner Aegyptischen Museums, 1963.

Fritz Hintze und Ursula Hintze Civilizations of the Old Sudan, Leipzig 1968; Meroe und die Noba, ZAS 94, 1967., p. 79—86.

Stand und Aufgaben der chronologische Forschung, Internationale Tagung für meroitische Forschungen September 1971. Berlin.

Some Problems of Meroitic Philology. in the same Conference.

Hölscher, W. : Libyer und Aegypter, Aegyptologische Forschung Heft 4, Hamburg 1937.

Hycock, Towards a date of King Ergamenes, Kush XIII. pp. 264—266.

Janssen, J. : Annual Egyptological Bibliography, Leiden 1958.

Junker, H. : Bericht über die Grabungen der Akademie der Wissenschaften in Wien auf den Friedhöfen von *Ermenne* im Winter 1911/12, Wien 1925.

« : Bericht ueber die Grabungen der Akademie der Wissenschaften in Wien auf den Friedhöfen von *Kubbanieh-Nord* 1910/11, Wien.

Kaiser, W. : Stand und Probleme der ägyptologischen Vorgeschichtsforschung, ZAS 81, 1956, S. 87 ff

Kamal, A. : Rapport sur Quelques Localités de la Basse-Égypte, Ann. d. Serv. 1906, pp. 236–237.

Katznelson, I. : Certains Traits de l'Organisation d'Etat en Nubie du VI au IV Siécles avant notre ére, XXV Congrès international des orientalistes, Moscou 1960

The Study of the History of the Napatan and Meroitic Kingdom, Present State and Tasks.

Kees, H. : Kulturgeschichte des Alten Orients, I Aegypten, Anhang Nubien, Muenchen 1933.

« : Herihor und die Aufrichtung des thebanischen Gottesstaates. Nachrichten der Gesellschaft der Wissenschaften zu Göttingen. Phil.Historische Klasse. Fachgruppe I, Altertumswissenschaft, Bd. II. Nr. 1, Göttingen 1936.

« : Das Priestertum in Aegyptischen Staat. Probleme der Aegyptologie I, Leiden—Köln 1953. S. 264 ff.

« : Der Götterglaube in Alten Aegypten, Berlin 1956.

Kirwan, L. P. : See, Emery, The Decline and Fall of Meroe, Kush VIII, 163 ff.

Krall, J. : Beiträge zur Geschichte der Blemyer und Nubier, Wien 1898.

Lacau, P. : Une Stèle du Roi "Kamosis", Ann. d. Serv. 39, pp. 254-271, pl. XXXVII and XXXVIII.

Leclant, J. et Raccab, A. : Dans les Pas des Pharaons, Paris 1958.

« : L'Archéologie Méroitique, Recherches en Nubie et au Soudan, Résultats et Perspectives, Etudes et Documents Tschadiens-Memoires I (pages 245 à 262, 1969).

Les recherches archáologiques dans le domaine meroitique, Internationale Tagung für meroitische Forschungen Berlin 1971.

Lepsius, R. : Denkmäler aus Aegypten und Aethiopien, III, V. Berlin 1849-1859.

Lhote, A. : Les Chefs-D'Oeuvre de la Peinture Egyptienne, Paris 1954.

Macadam, M.F.L. : The Temples of Kawa, I, II, Text and Plates, Oxford 1949.

Mac Iver, D. and Woolley, L.: Buhen. University of Pennsylvania, Egyptian Department of the University Museum, Exp. 15 Nubia, vol. 7, 8, Pennsylvania, 1911.

Mariette, A. : Monuments divers recueillis en Égypte et en Nubie, Paris 1889.

Maspero, G. : Histoire Ancienne des Peuples de l'Orient Classique. Les Empires, Paris 1899.

Meyer, Ed. : Geschichte des Altertums I, 350—353 : Das Reich von Napata und die Eroberung Aegyptens durch die Aethiopen. Stuttgart 1884.

Morenz, S. : Aegyptische Religion, Stuttgart 1960.

Möller, G. : Metallkunst der Alten Aegypter. Berlin 1925.

Moortgat, A. : Geschichte Vorderasiens bis zum Hellenismus, in: A. Scharff-Moortgat, Aegypten und Vorderasien im Altertum, Weltgeschichte in Einzeldarstellungen, Muenchen 1950.

Moss, R. : The ancient Name of Serra, JEA 36, p. 41/42, 1950.

Mus'ad, Mostafa مصطفى مسعد . الإسلام والنوبه ، القاهرة سنة ١٩٦٠

Mueller, W. M. : Who were the ancient Ethiope? Orient, Studien, Philadelphia, 1894, p. 7.

Newberry, P. E. : Beni Hassan, I. Archaeological Survey of Egypt, Ed. by F. L. Griffith.

Otto, E. : Der Weg des Pharaonenreiches, Stuttgart 1953.

Peet, T. E. : Great tomb robberies of the twentieth Egyptian Dynasty, vol. I and II. Oxford 1930.

« : The Chronological Problems of the twentieth Dynasty, JEA, 14, pp. 52—73, 1928.

« : The Supposed Revolution of High - priest Amenhotepe under Ramses IX, JEA 12, pp. 254-259, 1926.

Petrie, F. : Diospolis parva 1698/9, The Egypt Exploration Fund, 20, London 1901.

« : Qurneh. British School of Archaeology in Egypt an Egyptian Research account, London 1909.

« : Royal Tombs of the 1st Dynasty, I, London 1909.

« : A Season in Egypt, London 1888.

Petrie, F : Sedement, I, British School of Archaeology in Egypt, London 1924.

Porter-Moss : Bertha Porter and Rosalind Louisa Baufort Moss, assisted by Ethel Wordsworth Burney, Topographical Bibliography of Ancient Egyptian Historical Texts, Reliefs and Paintings, VII, Nubia, the Deserts, and outside Egypt, Oxford 1951

Posener, G. : Pour une Localisation du Pays Koush au Moyen Empire, Kush VI, 1958.

« : Princes et Pays de l'Asia et Nubie. Bruxelles 1940.

« : Beiträge in Knaures Lexikon der ägyptischen Kultur, in Zusammenarbeit mit Serge Sauneron und Jean Yoyotte, Muenchen-Zuerich. S. 27—28,48—49, 87 ff, 152 ff, 188 ff.

Priese, K.H. Nichtägyptische Namen und Wörter in den ägyptischen Inschriften der Könige von Kush I, MIO, XIV, 2, 1968, pp. 165—191.

Der Beginn der Kuschitischen Herrschaft, ZAS, 98, 1, S. 19—32.

Ranke, H. : Aegyptische Personennamen I. Glueckstadt-Hamburg 1935.

« : Keilschriftliches Material zur altägyptischen Vokalisation, Abh. d. Kgl. Preus. Akademie der Wiss., Berlin 1910.

« : Die Religion in Geschichte und Gegenwart. Separatdruck aus Bd. I. Aegypten (I-Iv); Aethiopien im Altertum. Tuebingen.

Reisner, G. : Excavations at Kerma Parts I—III and IV—V. Harvard African Studies. vol. V, VI. Cambridge 1924.

« : Archaeological Survey of Nubia. Report for 1907-1908. vol. I.

« : Note on the Harvard-Boston excavations at El-Kurruw and Barkal in 1918/19. JEA 6. 1920, pp. 61-64.

« : Accessions to Egyptian Collection during 1914, B. Excavations at Kerma. Hebzefa— Prince of Assiut and Governor of the Sudan. MFAB XIII. Boston 1915. p. 71 ff.

« : Excavations at Napata, The Capital of Ethiopia, MFAB XV. Boston 1917. p. 25-34.

« : Known and Unknown Kings of Ethiopia. MFAB XVI. Boston 1918, pp. 67-82.

« : The Royal Family of Ethiopia, MFAB XIX, Boston 1921. p. 21-38.

« : The Pyramids of Meroe and the Candaces of Ethiopia. MFAB XXI. Boston 1923. pp. 12-27.

« : Excavations in Egypt and Ethiopia. MFAB XXIII. Boston 1925, pp. 18-28.

« : The Discovery of the Tombs of the Egyptian XXV th Dynasty, Sudan Notes and Records. vol. II. 1919. pp. 237-254.

« : Outline of the Ancient History of the Sudan. IV; The First Kingdom of Ethiopia. Sudan Notes and Records. vol. II, 1919. p. 357.

Reisner G: Report on the Egyptian Expedition of Harvard University and the Boston Museum of Fine Arts 1913, Excavations at Kerma II, ZAS 52. 1913. p. 34-49.

« : Inscribed Monuments from Gebel Barkal, The Granite Stela of Thutmoses' III. ZAS 69. 1933. pp. 24-39.

« : The Viceroys of Ethiopia. JEA. VI. pp. 28-55.

Salah el. Shami : صلاح الدين الشامي، الموانى السودانية، القاهرة ١٩٦١. سلسلة الألف كتاب رقم ٣٧٨ .

Salem, M. S. محمد سعد سالم، بحث فى حضارة كرمه ، الخرطوم ١٩٧٠

Säve-Söderbergh, T. : Aegypten und Nubien. Lund 1941.

« : A Buhen Stela from the Second Intermediate Period, JEA 35, 1947, pp. 50-58.

« : The Hyksus Rule in Egypt. JEA 37. 1949. pp. 53-71.

« : A Nubian Kingdom of the Second Intermediate Period. Kush IV. 1956. pp. 54-61.

Schäfer. H. : Urkunden der alten Aethiopenkönige (Urkunden des ägyptischen Alterums. Abt. III) 1905.

« : Urkunden des Alten Reiches. 2. Aufl. (Urkunden des ägyptischen Altertums. herausg. v. G. Steindorff, I, Leipzig 1932-33.

« : Aegyptische Goldschmiedearbeiten. Unter Mitwirkung von G. Mueller und W. Schubart, Mitt. aus der ägypt. Sammlung der Kgl. Museen zu Berlin, Bd. I, S. 55 ff., Berlin 1910.

« : Die äthiopische Königsinschrift des Louvre, ZAS XXXIII, 1895, pp. 101-113.

Scharff, A. : Der historische Abschnitt der Lehre fuer Merikarī, Sitz. d. Bayer. Akad. d. Wiss. Phil.hist. Abt., Jahrgang 1936, Muenchen.

Scheil, D. : Le Tombeau de Djanni, Mém. Miss. Fr., V, p. 592 ff.

Shinnie, P.L. : Meroe, A Civilization of the Sudan., Ancient Peoples and Places, Thames & Hudson London 1967.

Schmidt, G. : Das Jahr des Regierungsantritts König Taharqas, Kush VI, S. 121 ff., 1958.

Sethe, K. : Die Aechtung fiendlicher Fuersten, Völker und Dinge auf altägyptischen Tongefässscherben des MR, Berlin 1926.

Simpson, W. Kelly : Heka-Nefer, Publications of the Pennsylvania-Yale Expedition to Egypt, No 1, New Haven & Philadelphia 1963.

Smith, W.S. : Ancient Egypt, Boston. Mus. of Fine Arts, Boston 1946.

Spiegelberg, W. : Die Demotischen Denkmäler-Die Demotischen Inschriften, Bd. II, Text, S. 190 and II Tafel Nr. 30841.

Steindorff, G. : Aniba, I, II. Service des Antiquités de l' Égypte, Miss Archéol. de Nubie 1929-1934, Glueckstadt 1935-1937.

Thabit, H.T. : The Tomb of Djehuty-Hetep, Prince of Serra, Kush V, 1957, p. 81 ff.

Trigger, Bruce G. Meroitic Language Studies : Strategies and Goals, Internationale Tagung für meroitiseche Forschungen Berlin 1971.

Vercoutter, J. : New Egyptian texts from the Sudan, Kush IV, pp. 66-82.

» : Excavations at Sai 1955/57, Kush VI, 1958, p.148 ff.

Virey, P. : La Tombe des Vignes à Thèbes. Rec. de Trav. XX. 1898. pp. 211-223. XXI. 1899. pp. 127-133. 137-149. XXII. 1900. pp. 83-97. Paris.

Wenig, St., Bemerkungen Zur Chronologie des Reiches von Meroe, MIO, XIII, 1—44.

Wendorf. F. : The Prehistory of Nubia two volumes. Dallas. Texas 1968.

Wild. H. : Une danse Nubienne ,d'époque, pharaonique, Kush VII. 1959.

Wreszinski. W. : Atlas zur altägyptischen Kulturgeschichte. Bd. 1-3. Leipzig 1923. 1935 und 1936.

Zeissel. H.v. : Aethiopen und Assyrer in Aegypten. Aegyptol. Forschung. Muenchen. Beiträge zur Geschichte der ägyptischen Spätzeit. Glueckstadt 1955.

كشاف

١ — الأعلام

(ب)

(ت)

٢ — المعبودات

٣ ـــ الأماكن

(أ)

(ش)

(ص)

(ع)

(ف)

اللوحات والأشكال

محتويات الكتاب

صفحة

الفصل الثالث

الفصل الرابع

الفصل الخامس

الفصل السادس

أبحاث المؤلف

1. Untersuchung Zur Herkunft der 25. Dynastie, Berlin 1962.
بحث في أصل الأسرة الخامسة والعشرين (بالألمانية) أو أصل الحضارة السودانية القديمة
قدم إلى جامعة هومبولد ببرلين – للحصول على درجة الدكتوراه عام ١٩٦٢.

2. "Drei Meroitische Opfertafeln aus Qustul" in Kush XII,1964
« ثلاث موائد قربان مروية من قسطل » ، نشر على لبعض النصوص باللغة المروية ،
في مجلة آثار السودان Kush XII 1964.

3. "The Relationship between the C-Group, Kerma, Napatan and Meroitic Cultures" in Kush XIII 1965. pp. 261-264, tables 1,2 on pp. 79,81.

4. "Meroitische Inschriften aus der Umgebung von Aniba". in Kush XIV. (1966) p. 336–p. 346.
= "Meroitic Inscriptions found near by Aniba" with English Summary.

5. "The Influence of the Ancient Egyptian Culture on Africa", International Conference "The Sudan in Africa" Feb. 1968. Khartoum.
وتم طبع هذا البحث في مجلة جامعة القاهرة بالخرطوم العدد الأول ١٩٧٠ ص ١٠١ – ١١٧ تحت عنوان « أثر الحضارة المصرية القديمة على حضارات أفريقيا » .

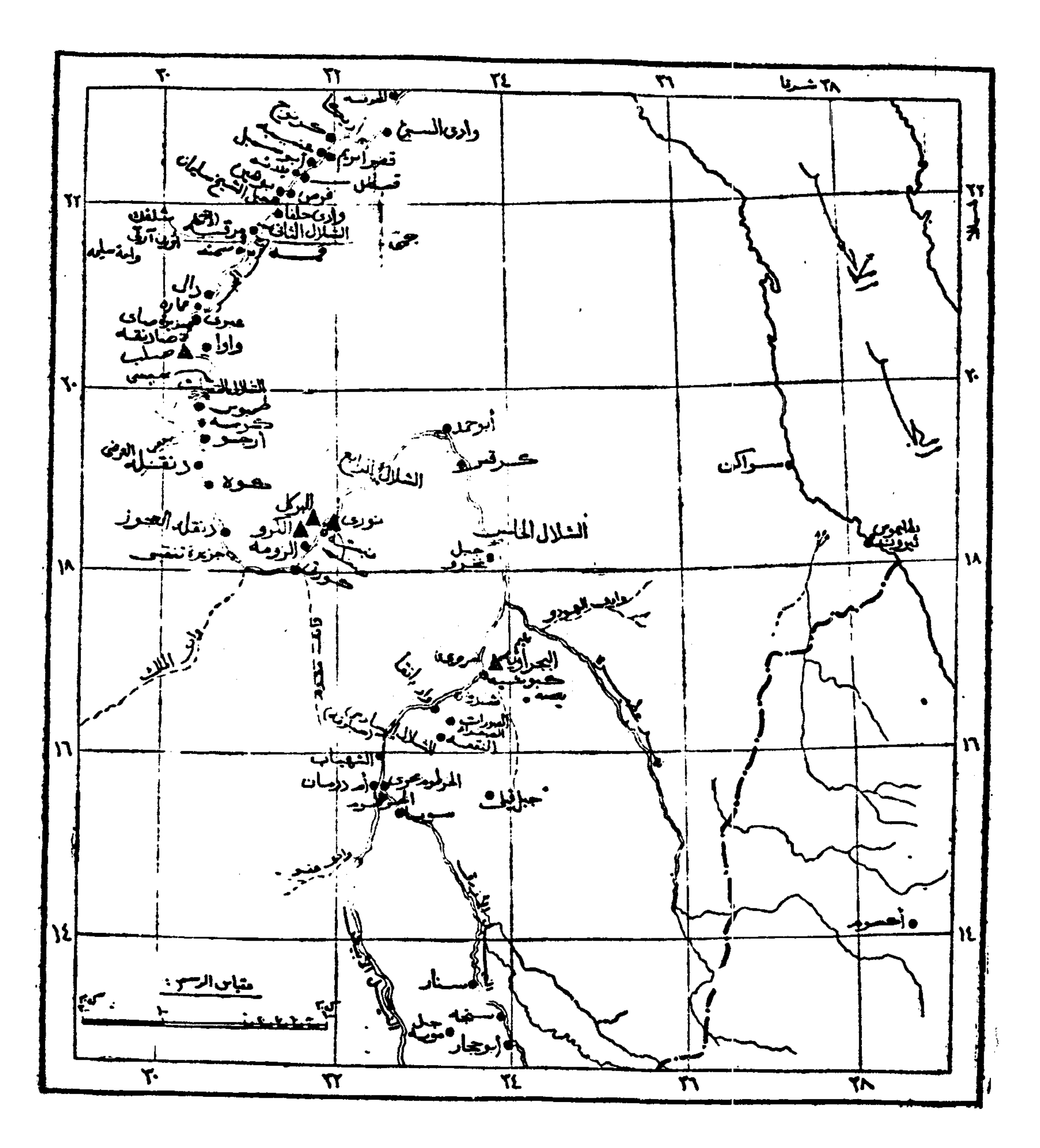
6. "Die Muttersprache der Napatanischen Königsfamilie". International Congress of Orientalists at Ann Arbor USA, August 1967 = اللغة المروية لغة ملوك نبته

7. المدخل إلى تاريخ السودان القديم . القاهرة ١٩٦٨

8. "Amon, der Herdenstier" ZAS 98 Erestes Heft S. 1-4. Tafel 1. (1970). Berlin. نشر على لنصوص هيروغليفية على أحد التماثيل .

9. « العلاقات الحضارية بين السودان ومصر في العالم القديم » مجلة الدراسات السودانية تصدرها شعبة أبحاث السودان – كلية الآداب جامعة الخرطوم العدد ٢ المجلد ١ يونيو ١٩٦٩ ص ٦٣ – ٨٠.

10. Felsinschriften aus Aniba نقوش على الصخور في عنيبه باللغة المروية
تحت الطبع في مجلة اللغة المصرية التي تصدر بالألمانية في برلين ZAS .



أهم المواقع الأثرية فى السودان القديم

رقم الايداع بدار الكتب ١٠٠٩٠ لسنة ١٩٩٨
الترقيم الدولى I.S.B.N 977-05-1629-5